دراسات في

تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر

الأستاذ الدكتور
عاصم محروس عبد المطلب
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية التربية بدمنهور
جامعة الإسكندرية

الأستاذ الدكتور
صلاح أحمد هريدي
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب بدمنهور
جامعة الإسكندرية

مكتبة بستان المعرفة
لطبع ونشر وتوزيع الكتب
كفر الدوار - الحدائق ☎: ٢٢٤٢٢٨/ ٠٤٥
الإسكندرية: ٠١٢٣٥٣٤٨١٤

دراسات فى

تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر

دكتـور
عاصم محروس عبد المطلب
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية التربية بدمنهور
جامعة لإسكندرية

دكتـور
صلاح أحمد هريدى
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر
كلية الآداب بدمنهور
جامعة الإسكندرية

٢٠٠٤

مكتبة بستان المعرفة
لطبع ونشر وتوزيع الكتب
كفر الدوار – الحدائق ☎: ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨
الإسكندرية ٨٢٣٥٣٤٨١٤

الكتاب: دراسات في تاريخ الشرق الأقصى الحديث والمعاصر
المؤلفان: عاصم محروس عبد المطلب & صلاح أحمد هريدى
رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية: ١٧٩٨٠/٢٠٠٢
الترقيم الدولي: I.S.B.N 977- 6015- -
الطبعة: الأولى
الناشر: **مكتبة بستان المعرفة**
كفر الدوار - الحدائق - ٦٧ ش الحدائق بجوار نقابة التطبيقيين
☎: ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨ الإسكندرية: ٠١٢٢٣٥٣٤٨١٤

مقدمـــة

تميزت الدراسات التاريخية فى العقود الماضية بالخروج من شرنقة الدراسات القُطرية والإقليمـية إلى الدراسات الكوكبية فـيما يُعد علامة فـارقة على مسـار الدراسات العلمية الحـديثة . ومن هنا ، تكمن أهميـة دراسة تاريخ الشرق الأقـصى فى العصور الحـديثة والمعاصرة . ناهيك عن ثـراء تجربة هـذه المنطقة وحيوتها ودورها الفاعل فى منظومة التاريخ العالمى .

وقـد وقع الاختيـار على عـدة بلاد ذوات تاريخ ممتـد فى عـمق الزمان ومـصاحبات تجارب رائـعة وأحداث ذات سمـات درامية مثـيرة . وتنقـسم هذه الموضـوعات إلى أربعـة فصـول رئيسـية . يتناول أولها العملاق الصـينى بدءاً من ملامحها الجغرافـية العامة مروراً بلمحـة تاريخية سريعة حتى اندلاع حـرب الأفيون الأولى ثم الثانية واستمرار الأحداث حتى نهاية الحرب العالمية الثانية .

ويـسـتعـرض الفـصل الثـانى قصـة عـملاق آخـر وهو اليـابان . ويُسـتـهل الفـصل ببانـوراما جـغـرافـية مع نبـذة تاريخـيـة ، ثم استعـراض الحروب اليابانية الصينيـة ١٨٩٤ - ١٨٩٥ ، الروسية

اليابانية ١٩٠٤ - ١٩٠٥ ، وخلال الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ - ١٩١٨ ، الصينية اليابانية ١٩٣٩ - ١٩٤٥ ، ويرصد الفصل الثالث تاريخ اندونيسيا بداية من الوجود البرتغالى ثم الهولندى في اندونيسيا ، مروراً بجاوة وشركة الهند الشرقية الإنجليزية ، حرب الأمير ديبونيجورو وما بعدها حتى ما بعد أحداث الحرب العالمية الثانية . أما الفصل الرابع والأخير فيعالج تاريخ عدة دول تنتمى لجنوب شرق آسيا مثل جزر الفلبين وكمبوديا ولاوس وسيام وبورما .

وعلى الله قصد السبيل

المؤلفان

أكتوبر ٢٠٠٢

الفصل الأول

الصين

أ.د/ صلاح أحمد هريدى

الصيـن الشـعبيـة

تشغل الصين الشعبية مساحات واسعة من شرق آسيا تقدر بنحو ٩٥٦١ ألف كم٢ [٣,٧٥ مليون ميل٢] وهو ما يشكل ٢٢٪ تقريباً من إجمالى مساحة القارة ، لذلك تأتى الصين الشعبية فى المركز الثالث بين دول العالم من حيث اتساع المساحة بعد الاتحاد السوفيتى وكندا .

وتمتد أراضى هذه الدولة بين دائرتى عرض ١٨ْ ، ٣ْ شمال خط الاستواء ، وبين خطى ٧٤ْ ، ١٣٥ْ شرقاً ، مما يعكس الامتداد الكبير للدولة وخاصة أنه من المعروف أن المساحة بين شرقها وغربها يتجاوز ٥٠٠٠ كيلو متر فى حين تزيد المسافة بين حدودها الشمالية والجنوبية على ٥٥٠٠ كيلو متر ، وقد نتج عن هذا الامتداد الكبير عدة حقائق نذكر منها مايلى :[١]

أ - تعدد الدول التى للصين حدود مشتركة معها حيث يبلغ عددها ١٣ دولة تشمل كوريا الشمالية والجنوبية ، الإتحاد السوفيتى ، منغوليا ، أفغانستان ، باكستان ، الهند ، نيبال ، بوتان ، بورما ، لاوس ، فيتنام ، بالإضافة إلى هونج كونج ، كما أن الأراضى الصينية تواجه دول اليابان والفلبين والصين الوطنية وأندونيسيا مما أثر بشكل مباشر فى الثقل السياسى للصين الشعبية ودورها الكبير بين دول آسيا بصفة خاصة[١] .

ب - تنوع الموارد الطبيعية فى الدولة بصورة لا يوجد مثيل لها إلا فى دول محددة بالعالم وخاصة الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة الأمريكية . وستظهر هذه الحقيقة بصورة واضحة عند دراسة النشاط الاقتصادى .

---

(١) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، دراسة فى الجغرافيا الاقليمية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، ص ٢٧٣ .

جـ - تباين خصائص البيئة الطبيعية وخاصة فيما يتعلق بالملامح المناخية ولتأكيد ذلك ، أن أطراف الصين الجنوبية تنتمى مناخياً ، لإقليم المناخ الموسمى ، فى حين تنتمى أطرافها الشمالية لاقليم المناخ البارد ، لذلك بينما تسقط الثلوج بغزارة على شمال الصين خلال شهور الشتاء تمارس الزراعة الربيعية الناجحة فى جزيرة هونان بجنوب البلاد .

د - إختلاف التوقيت بصورة كبيرة بين أجزاء الدولة المختلفة . ولتأكيد هذه الحقيقة ، أنه عند شروق الشمس على نهر ووسولى الصغير الواقع فى شمال شرق البلاد تكون هضبة بامير الواقعة فى أقصى غرب الصين غارقة فى دجى الليل .

هـ - عظم طول السواحل الصينية وكثرة تعرجاتها ، حيث يبلغ مجموع أطوال السواحل الصينية الممتدة من مصب نهر [يالو] على الحدود الصينية الكورية شمالاً إلى مصب نهر [بايلون] على الحدود الصينية الفيتنامية جنوباً نحو ١٤٠٠ كيلو متر ، ويصنع خط الساحل قوساً كبيراً يتجه صوب الجنوب الشرقى بصورة عامة ليطل على العديد من المسطحات البحرية التى تشمل بحر [خليج] بوهاى ، البحر الأصفر ، بحر شرق الصين ، بحر جنوب الصين .

ويتناثر فى مياه الصين الاقليمية عدد من الجزر أكبرها مساحة هونان فى الجنوب ، بالإضافة إلى أرخبيلات صغيرة تمتد فى بحر جنوب الصين إذ تعرف بجزر بحر الصين الجنوبى وتضم أربع مجموعات هى :

- جزر شيشا
- جزر نانشا
- جزر دونجشا
- جزر تتشونجان

وتعد الصين الشعبية أحد مراكز الحضارة البشرية القديمة ، حيث ظهرت حضارة مزدهرة فى حوض نهر وى هو - رافد للهوانجهو فى شمال الصين - منذ عام ٧٠٠٠ ق.م . وكانت هذه الحضارة متصلة بحضارات الهند وشرقى البحر المتوسط عن طريق وسط القارة حيث كانت توجد بعض الطرق البرية التى حملت إلى بلاد الصين معرفة زراعة القمح من نطاق نشأته الأولى فى شرق البحر المتوسط .

وتعرضت أراضى الصين خلال عصورها التاريخية القديمة كغزو القبائل الرعوية القادمة من أواسط آسيا وخاصة من منغوليا ، لذا شيد سور الصين العظيم لحماية أراضى الدولة من جحافل هذه القبائل المغيرة ، كما تأثرت الصين بالنفوذ الأوروبى بشكل واضح خلال القرن التاسع عشر بصفة خاصة والذى كانت له آثار سلبية عديدة تمثلت أميزها فى حرب الأفيون [١٨٣٩ - ١٨٤٢] التى شنتها المملكة المتحدة على الشعب الصينى لاضعاف قوته وقدرته على مقاومة النفوذ الأوروبى الذى نجح بعد ذلك فى إقامة مراكز استعمارية على النطاقات الساحلية للصين بصفة خاصة كانت تابعة لبريطانيا والمانيا وفرنسا . ونجحت هذه المراكز الأوروبية فى السيطرة على معظم تجارة الصين الخارجية لسنوات طويلة(٢) .

المظاهر الطبيعية

تبع اتساع مساحة الصين تنوع ظاهرات السطح بشكل كبير ، وكان امتداد كتلة الصين القديمة فى شرق آسيا لتشغل مساحات واسعة من الدولة الصينية ، وتتألف القاعدة الأركية لهذه الكتلة من صخور أركية قديمة لا تظهر فوق سطح الأرض حيث تغطيها تكوينات رسوبية أحدث بعضها بحرية تراكمت فوق قيعان البحار الداخلية التى غمرت

---

(٢) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، دراسة فى الجغرافيا الاقليمية ، ص ٢٧٤ - ٢٧٦ .

مياهها النطاقات منخفضة المنسوب من الكتلة التى تمتد شرقاً لتشمل النطاقات المغمورة تحت مياه البحر الأصفر وبحر شرق الصين وبحر جنوب الصين .

ويمكن تمييز بين ثلاثة أشكال السطح فى الصين الشعبية هى السهول ، الهضاب ، الجبـال .

١ - سـهول الصيـن

تنتشر فى الجزء الشرقى من البلاد بصورة أساسية ، ويمكن تقسيمها حسب توزيعها الجغرافى إلى ثلاثة نطاقات رئيسية هى :

١ - السهل الشمالى الشرقى أو سهل منشوريا .

٢ - سهل الصين الشمالى أو السهل الصينى العظيم .

٣ - سهل اليانجتسى .

أما هضاب الصين فتشغل مساحات واسعة مترامية الأطراف من البلاد تتسم بتعقد سطوحها وتباينها بشكل حاد ، ويضم هذا القسم من أشكال السطح هضاب التبت ، منغوليا الداخلية [جوبى] التكوينات الصغراد يونان / كويتشو(٣) .

أما السلاسل الجبلية فيوجد فى أراضى الصين عدد كبير من السلاسل الجبلية التى تمتد فى إتجاهات متباينة بصورة معقدة ، ويمكن تقسيم هذه السلاسل تبعاً لاتجاهاتها العامة إلى ثلاث مجموعات رئيسية هى(٤) :

---

(٣) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، دراسة فى الجغرافيا الاقليمية ، ص ٢٧٩ - ٢٨٤ .

(٤) المرجـع السـابق ، ص ٢٨٤ ، ٢٨٥ .

أولاً : سلاسل تتجه بصورة عامة من الغرب إلى الشرق ، وتشكل الجزء الأكبر من
سلاسل الجبلية في البلاد ، وهي تتسم بارتفاعها الكبير وامتداد معظمها في الجزء
غربي من الدولة وتضم الهملايا كولن ، قرة قورم ، التاى ، تيان شان ، تسن لنج
ان ، نانلينج[1] .

ثانياً : سلاسل تتجه بصورة عامة من الشمال إلى الجنوب .

ثالثاً : سلاسل تتجه بصورة عامة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي بالإضافة
لى السلاسل الغربية[2] .

---

(١) نفسه ، ص ٢٨٨ .

الصيـــن

أول اتصـال بـين أوروبـا والصــين

ظلت الصين طوال عصورها التاريخية قليلة الحاجة إلى الغرب بينما كان الغرب سعى فى لهفة للحصول على منتجاتها .

تجارة فى عهد اسرة هان

كانت للرومان تجارة واسعة فى السلع الصينية خصوصاً الحرير ، وكانت الطرق البرية سير من خنجان فى غرب الصين إلى بحيرة لوب نور وحوض نهر تاريم وتنتهى فى طاكية ، وقد وقعت هذه الطرق التجارية تحت سيطرة الأشفانيين أعداء روما ، ولهذا نب الرومان المرور بأراضى اعدائهم ، فاتخذوا البحر طريقاً هاماً يوصلهم إلى غرب هند حيث يجدون السلع الصينية الواردة براً عن طريق خوتان أو بحراً من جنوب صين[1] .

يام الامبراطورية العربية

جلبت دودة القز إلى القسطنطينية فى القرن السادس الميلادى ، وبدأ عقب ذلك انتاج لحرير فى أوروبا والشرق الأدنى ، وبذلك قل اعتماد الغرب على صادرات الصين من رير ، وأصبحت السلع الرئيسية التى تستوردها أوروبا من شرق آسيا هى التوابل بعض مواد الترف ، وصارت أكثر هذه التجارة فى أيدى العرب ، ومن دخل فى إسلام من غيرهم بعد القرن الثامن الميلادى ، واستمرت سيادة العرب على الطرق بحرية إلى شرق آسيا حتى القرن السادس عشر . وظلت الطرق البرية مقفلة فى وجه وربيين حتى قام المغول بغزو آسيا كلها من بحار الصين إلى روسيا[2] .

بشرون المسيحيون الأوائل

اقترن قيام امبراطورية المغول باهتمام الأوروبيين باعتناقهم المسيحية بدل الوثنية ، أملاً ى أن يصبح هؤلاء المغول حلفاء لهم ضد المسلمين ، وحمل جون أوف بلانوكاربينى سالة من البابا إلى جنكيز خان عام ١٢٤٦م . وفى عامى ١٢٤٩ ، ١٢٥٢ أرسلت

) تشسترا . بين ، الشرق الأقصى ، موجز تاريخى ، ترجمة حسين الحوت ، مراجعة فريد عبد الرحمن ، القاهرة ، ١٩٥٨ ص ٤١ .

١) تشسترا . بين ، الشرق الأقصى ، ص ٤٢ .

فرنسا بعثاتها تحت قيادة أندرو أوف لونجومو ، ووليم أوف روبرمك ولكن هذه البعثات فشلت تحويل المغول إلى المسيحية ، كما فشلت في عقد تحالف معهم ضد المسلمين ، غير أنها زادت من اهتمام الأوروبيين بشئون الشرق الأقصى[٣] .

ماركـوبـولـو

في عام ١٢٦٤م رحل اخوان من البندقية هما نيكولوبولو ، ومافيد بولو إلى بلاط قبلاي خان للحصول على امتيازات تجارية ، فردهما قبلاي إلى أوروبا برسالة إلى البابا يطلب فيها بعثة قوامها مائة من المبشرين ليقوموا بتعليم المغول ، وكان رد البابا أن أرسل راهبين خائري العزيمة من رهبان الدومينيك ، مابدءا رحلتهما حتى أصابهما الوهن نعجزاً عن اتمامها . وفي سنة ١٢٧٤ عاد الأخوان نيكولو ومافيو إلى الصين ومعهما ماركو بن نيكوبو وقضوا في الصين سبعة عشر عاماً في خدمة الخان ، ثم عادوا إلى أوروبا حيث دون ماركو بولو للأوروبيين أول تاريخ مفصل عن الصين[٤] .

جون أوف مونتي كورفينو

في سنة ١٢٨٩ أرسل البابا جون أوف مونتي كورفينو إلى بلاط الخان ، وقد بلغت جهوده حدا من النجاح جعله يعين رئيساً لأساقفه كامبالوك سنة ١٣٢٨ ، ولما قضت أسرة منج على حكم المغول عام ١٣٦٨ ، أزالت كل أثر للمسيحية والديانات الأخرى التي كان المغول قد أيدوها[٥] .

توقف التجارة البرية

بسقوط المغول انتهت التجارة الواسعة في الحرير والتوابل بين أوروبا والصين والهند ، فاعتمد الأوروبيون على المسلمين في الحصول على هذه السلع ، وأدى ذلك إلى ارتفاع أسعارها فأخذ كثير من الأوروبيين يبحثون عن طرق جديدة للوصول إلى شرق آسيا[٦] .

(٣) تشسترا . بين ، الشرق الأقصى ، ص ٤٢ .
(٤) تشسترا . بين ، الشرق الأقصى ، ص ٤٢ .
(٥) تشسترا . بين ، الشرق الأقصى ، ص ٤٢ .
(٦) تشسترا . بين ، الشرق الأقصى ، ص ٤٣ .

١ - الصيـــن والأوربيـــون

أ - البرتغاليـــون :

لقد أصبح المحيط الهادى (الباسيفيكى) مفتح الفجاج للسفن الأوربية منذ أن استتب الأمر لسلطان البرتغال بملـقا فى ١٥١١ . ولقى البرتغاليون بشبه جزيرة الملايو كثيراً من الصينيين معظمهم من "فوكين" ، سمعوا منهم الشىء الكثير عن ثراء الإمبراطورية الصينية العريض وتجارتها الضخمة . وكان أول برتغالى بلغ شاطىء الصين هو رافائيل بيرسترللو (١٥١٦) ، وقد سافر على إحدى السفن الصينية الطراز ، وعاد بعد رحلة شاقة مليئة بالمغامرة . وفى السنة التالية زار جورجى ماسكارياس - ميناء تشوانج تشاو ، وتاجر مع التجار الصينيين . وقد أقنعت المعلومات التى جمعها بيرسترللو وماسكارياس السلطات البرتغالية بفائدة فتح باب التجارة مع الصين . وأعدت لذلك الغرض بعثة سياسية ، وحمل الأسطول بقيادة فرناند دانترادى إلى كانتون توماس بيريز حمل رسالة من ملك البرتغال ، وكان دانترادى رئيساً للمحطة البرتغالية البحرية بملقا ، وقد أحضر معه شحنة ضخمة من الفلفل ، وهى سلعة كان الطلب عليها عظيماً ببلاد الصين فى جميع الأوقات . ولقى السفير استقبالا حسناً ، كما سمح الموظفون بكانتون لدانترادى أيضاً ببيع ما معه من فلفل وشراء ما يلزمه من البضائع الصينية بدلاً منه .

وكان الإمبراطور الذى يلى الحكم فى بيكين فى ذلك العهد هو كانج نى من أسرة منج . وقد أسس هذه الأسرة المالكة راهب بوذى قوى الوطنية هو تشويوانج تشانج ، الذى نظم المقاومة الوطنية ضد المغول الأجانب ، وكانت أسرته تلك صادقة النزعة القومية ، كما أنها تمثل نهضة وبعثاً جديداً للروح الصينية . وفى عهد تشويوانج تشانج الذى أطلق على نفسه لقب هنج وو الملكى ، مدت الإمبراطورية سلطانها إلى كوريا

نفسها وجزائر ريوكيو ، كما تقبلت الخضوع لسيادته بورما ، وغيرها من الدول والولايات البعيدة التابعة . وكان أباطرة اليابان يتقبلون السيادة الصينية بالرضا التام في مستهل حكم أسرة منج . فإن مجموعة متعاقبة من العواهل اليابانيين قد اعترفوا بتلك التبعية في مراسلات رسمية ، وقال ينج لو في مرسوم إمبراطوري موجه إلى الإمبراطور يوشي متسو : "أنت أيها الملك كنت دائماً موالياً وحكيماً ومخلصاً . وقد قمت على الدوام بالخدمات الجليلة لنا . وأنت تحترم عرشنا بكل توفير .. لذا نمنحك يا ملك اليابان مكافأة إظهاراً لسرورنا" .

وكانت سياسة أسرة منج كعاهلية قومية تقوم بوجه عام على إعادة بعث روح الثقافة الصينية . وسنّ هنج وو مجموعة من القوانين وأعاد تأسيس الهيئة البيروقراطية التقليدية بالإمبراطورية ، وقوى هيئة الماندرين بإعادته نظام الامتحانات الإمبراطورية . وكان خلفه ينج لو (١٤٠٣ - ١٤٢٤) امبراطوراً ذا كفاية عظيمة هو الآخر ، وقد خلد إلى اليوم ذكراه بإعادته بناء بيكين على صورتها الحالية وبالموسوعة الهائلة التي جمعها - وهي المسماة تاتين الملك ينج لو - وبالمغامرات البحرية التي قام بها أمير بحره تشنج هو ، الذي انطلق بأسطول مكون من خمس وستين سفينة بالمحيط الهندي حتى بلغ به بحر العرب ولكنه فضلاً عن هذه فإن له من الأفضال ما يخوله أن يعد من أكبر من حكموا بلاد الصين . فإنه بسط سلطانه الإمبراطوري على أنام وكوريا واليابان . وتم له أيضاً بفضل حملات تشنج هو البحرية تحويل السيادة المبهمة التي كان الصينيون يدّعونها لأنفسهم على المناطق الجنوبية إلى شيء يشبه نظام الدول التابعة . فإن بيكين بدأت لأول مرة تدعي أن لها على سيام وجاوة وسومطرة والملايو حقوق الدول العظمى .

ولم يكن خلفاء ينج لو رجالا ذوي اقتدار ملحوظ ، وأن الذي حدث عند مستهل القرن السادس عشر ، بل ولمدة تتغلغل في صميم السابع عشر حتى منتصفه ، أن

الإمبراطورية الصينية كانت تتمتع فى عهد أسرة منج بسلام وخفض عيش دائمين ، يكاد لا يكدر صفوهما شيء . وظل النظام الإدارى يقوم بعمله سوياً وفق النسق الذى رتبه عليه هنج وو ، وينج لو ، ولو وضعنا حجم الإمبراطورية موضع الاعتبار لعلمنا أنه كان يتصف بالقدر المعقول من الكفاية والقدرة على تنفيذ سلطانه فى كل مكان . وفى عهد كانج تى الذى بلغ فيه البرتغاليون الصين لأول مرة ، كان ذلك النظام الإدارى الذى أعاد الإمبراطوران السالفان تنظيمه يعمل عمله على خير وجه ، كما أن نواب الملك والحكام المحليين قد أوتوا من الكفايات والقدرة على المبادأة والابتكار ما جعلهم يعالجون بمهارة كل المسائل التى كانت تنشأ بالأقاليم . والواقع أن أبرز الظواهر التى يتسم بها تكون الصين السياسى حتى معاهدة تيان تسن (١٨٥٨) ، كانت هى الولاء والقدرة التى كان نواب الملك بالصين ينفذون بها سياسات الإدارة المركزية ، وذلك حتى حين كانت حكومة بيكين نفسها ضعيفة وفاسدة وعديمة الكفاية .

وأبلغت سلطات بيكين على الفور بوصول بيريز ، وبعد فترة التأخير التى لا مناص منها صدر إليه الإذن بالمثول إلى بيكين . وفى الحين نفسه أخذت تبلغ مسامع بلاط أسرة منج معلومات ليست فى صالح البرتغاليين مطلقاً . فإن سلاطين الملايو الذين كانوا بوصفهم تبعاً للإمبراطور يدّعون الحق فى حمايته لهم ، كتبوا يستنجدون به على الوافدين الجدد . وكان سلطان بيتانج بوجه أخص قد كتب تقريراً مفصلاً حذر فيه حكومة بيكين من أن البرتغاليين كانوا حين يفدون ابتغاء التجارة ، يضمرون فى أنفسهم الفتح . وعرض على الأسماع طرائق البرتغاليين فى المحيط الهندى . غير أن الإمبراطور وإن ملأ الشك فؤاده إلا أنه لم يجنح إلى عدم استقبال السفير البرتغالى ، ولذا صدرت الأوامر بأن يرسل توماس بيريز إلى بيكين . وفى نفس الحين الذى وصل فيه بيريز إلى العاصمة ، كان البرتغاليون أنفسهم قد أثبتوا للسلطات الصينية أنه لا يجوز الثقة فيهم ، وهو أمر أزاح عبئاً ثقيلاً عن عاتق تلك السلطات . ذلك أن سيمون دانترادى أخا أمير

البحر الذى أوصل بيريز فى البداية ، تقدم بسفنه إلى شانج تشوان وأخذ يتصرف بالطريقة التى اعتادها ربابنة البرتغاليين بمنطقة الملايو . فأنزل بضعة نفر من رجاله وشرع فى بناء قلعة . وعندئذ هاجمه الأسطول الصينى حتى أجلاه عن الموقع . ولما أن بلغت أنباء قرصنة سيمون دانترادى مسامع بيكين ، رفضت الحكومة الصينية بطبيعة الحال استقبال السفير ، وأمرت به فأعيد إلى كانتون ، حيث مات سجيناً فى ١٦٢٣ .

ومن الضرورى أن نؤكد أنه لم يكن يخامر الصينيين فى ذلك الأوان أى كراهية للأجانب . ذلك أن أسرة منج وإن كانت ذات نزعة قومية ، وتمثل نهضة الثقافة الصينية بعد حكم أسرة يوان الأجنبى ، كانت مستعدة للترحيب بكل علاقة تعقد أواصرها مع الأجانب . والواقع أنه حدث فى أوائل عهد تلك الأسرة نشاط بحرى عظيم كما لاحظنا ذلك آنفاً ، كما أظهرت رحلات تشنج هو فى المحيط الهندى والاتصالات التى أنشأتها الإمبراطورية مع شبه جزيرة الملايو والجزر الجنوبية ، بأجلى بيان أن الصين لم يكن يحدوها فى تلك المدة روح الاعتزال . فكان الصينيون يرحبون بالأجانب ، كما أنهم خضوعاً لمراسم البلوط وتسليماً منهم بمدعيات ابن السماء ، تعودوا أن يستقبلوا السفراء من الأقطار الأجنبية . بل الحق أن توماس بيريز نفسه كما رأينا تلقى الإذن بالشخوص إلى بيكين . فلماذا قلب بلاط بيكين على حين بغتة سياسته رأساً على عقب ، ورفض أن تكون له أية معاملة مع البرتغاليين ؟ إن الجواب على ذلك فى المدعيات السياسية للبرتغاليين ، وفى سلوكهم البربرى نحو شعوب آسيا .

وكان ملك البرتغال قد اتخذ لنفسه لقب سيد الملاحة وادعى السيادة على جميع الأراضى التى يكشفها رجاله . ومن الطبيعى أن البرتغاليين لم يكن لهم قبل بتنفيذ ادعائهم هذا فى البر ، ثم عدلوا عن ذلك الادعاء بعد الكارثة التى منى بها ألبوكرك ، بقاليقوط فى ١٥١١ ، بهدوء تام ، من ناحية السلطة على البر . ولكن حيثما استطاعت

سفنهم أن تضعه موضع التنفيذ ، أعنى على جزر مثل سيلان وفى ملقا ، لم يخففوا قط من غلواء مدعياتهم . كما أنهم استمسكوا بشدة على صفحة البحر بالمبدأ القائل بأن لهم الحق فى الملاحة بالبحار الشرقية بكل ما لهم من احتكار شامل كسادة للملاحة ، بحيث احتفظوا لأنفسهم بالحق فى مصادرة جميع بضائع كل من جرؤ على شق عباب البحر دون إذن منهم . وفضلاً عن ذلك فإن طريقتهم فى التجارة على ما تطورت ببلاد الملايو وفى كوتشين وبمناطق أخرى ساحلية تابعة لولايات صغرى ، كانت تقوم على النزول إلى البر بمنطقة مناسبة وبناء حصن واتخاذه منطقة مملوكة لهم والاتجار من تلك القاعدة . وذلك هو ما حاول سيمون دانترادى فعله فى تشانج تشوان ، وذلك بينما كان السفير فى طريقه إلى بيكين .

وكانت بيكين على علم تام بقرصنات البرتغاليين فى أعالى البحار . ذلك أن راچاوات الملايو الذين كانوا يعترفون بالتبعية لبيكين ، وبخاصة سلطان بيتانج ، قد أبلغوا الإمبراطور ما ارتكبه البرتغاليون من اعتداءات على طول الشاطىء ، كما أنهم حذروه أيضاً من مطامع البرتغاليين السياسية . وكان الإسلام فى ذلك الحين شأنه اليوم مجتمعاً دولياً ، ولذا فإن نشاط البرتغاليين فى جوا وهرمز وسواحل البحر الأحمر ، لم يكن بالأمر المجهول لدى حكام الملايو المسلمين . وعن طريقهم بلغت البلوط بعض المعلومات عن الأهداف التى لم يهتم البرتغاليون بإخفائها فى علاقاتهم مع الأقيال الصغار بمنطقة المحيط الهندى .

وأنه بعد أن علم الزامورين فى قاليقوط القائد البرتغالى المغامر استحالة استيلائه على الممتلكات البرية والاحتفاظ بها ، حين لم يكن فى الإمكان استخدام القوة البحرية بطريقة فعالة ، قنع البرتغاليون بالهيمنة على الجزر الصغرى ولم يجرأوا على تحدى قوة الصين – بيد أن أباطرة الصين لم يكونوا يريدون أية مشكلات ؛ ولذا رفضوا أن تكون

لهم بعد ذلك أية معاملات أخرى مع شعب لا يعترف بأية حقوق دولية ، ويقترف القرصنة علناً وعلى أوسع نطاق فى أعالى البحار .

وبذلت البرتغال بعد ذلك الزمن عدة محاولات لفتح العلاقات الديبلوماسية مع بيكين ، ولكن الرفض المهين كان تصيبها على الدوام حتى القرن التاسع عشر . ففى ١٥٢٢ وصل أفونسو مارتنز دى مللو ، ومعه عمارة بحرية آملا أن يؤذن له بالشخوص إلى بيكين ، فهوجم ودمرت عمارته تلك . وكانت المحاولة الثانية فى ١٥٥٢ ، بيد أن البعثة السياسية لم تتقدم عن ملقا حيث نصح حاكمها البعثة بأن تعود أدراجها علماً منه بمزاج الصينيين فى هذا الصدد . غير أن البرتغاليين قاموا بأخطر جهد بعد ذلك بمائتى سنة ، يوم بلغت بعثتهم بيكين فعلاً . والظاهر أن هذه البعثة قد استقبلها الإمبراطور ، وأن اسكندر متللو سوزا إى منيسيز قد سجد بالطريقة المقررة وتلقى هدايا الإمبراطور إلى مليكه وهو راكع على ركبتيه . وعدها الصينيون على طريقتهم المألوفة سفارة تحمل إليهم الجزية .

ومع أنهم لم يسمحوا بتطور أية علاقة سياسية ولا ديبلوماسية ، إلا أن البرتغاليين واصلوا القيام بتجارة مزدهرة مع الموانى الجنوبية . ولم يكن هناك أى خطر خاص على التجارة ، والظاهر أن الحكام الصينيين المحليين كانوا يشجعون الاتصال التجارى بالأجانب الذين كانوا يستجلبون مثل تلك البضائع الثمينة لبيعها . وقد تمخضت زيارة چورچى ماسكرياس لمدينة تشوانج تشاو عن إيجاد العلاقات الودية مع طائفة التجار ، ونشأ عن ذلك تبادل تجارى مزدهر وإن لم يكن رسمياً ؛ بإغضاء متعمد من السلطات المحلية وبخاصة فى تشوانج تشاو وننجيو . على أن طبع البرتغاليين وادعاءاتهم المسرفة فى السيادة العليا على الشرق ما لبث أن أفضت بهم إلى النزاع مع السكان المحليين ومع حكومة نائب الإمبراطور ، وما عتموا أن طردوا من كل من هذين المستقرين جميعاً . على

أن التجارة كانت مربحة للطرفين معاً ، حتى إذا دفع البرتغاليون التعويضات الكافية عما بدر منهم من سوء السلوك وقدموا الهدايا المناسبة لنائب الإمبراطور وغيره من الموظفين ، سمح لهم فى ١٥٥٧ بأن يستخدموا تبّة بحرية مهجورة تسمى أماكاو ويتخذوا منها موضعاً ينزلون فيه بضاعتهم ويقومون بتجارتهم - وأما كاو هذه أو مكاؤ كما سميت فيما بعد إنما هى شبه جزيرة صغيرة يربطها بالأرض من ورائها عنق أو برزخ - لأنه حدث يوماً أن أمير بحر صينى يتعقب القراصنة تلقى شيئاً من العون من إحدى السفن البرتغالية ، وإظهاراً للاعتراف بهذا الفضل سمح الحاكم للبرتغاليين أن يستخدموا مكاؤ كنقطة تجارية . وظلت على وضعها ذاك حتى ١٨٨٧ . ومن المعروف أن البرتغاليين ظلوا حتى ١٨٤٩ يدفعون بانتظام إيجار تلك الأرض ، وأن الصينيين كان لهم اختصاص السلطتين المدنية والجنائية والصدقات فى مكاؤ . وظلت المحاكم الصينية تعمل بها حتى ١٦٩٠ ، كما أن قاضياً خاصاً ظل يقيم فى مكاؤ يمارس سلطاته . فإذا حدثت جريمة قتل فإن الفصل النهائى فيها من اختصاص محكمة كانتون ، بل لم يكن يجوز حتى ١٨٤٣ بناء المساكن بمكاؤ البرتغالية ، دون دفع الرسوم المقررة على ذلك إلى السلطات الصينية . من ذلك يستبان أن الفكرة السائدة بأن البرتغاليين بأخذوا مكاؤ واحتفظوا بها ، رغم جبروت الصين وقوتها ، إنما هى كما هو ظاهر فكرة كاذبة من أساسها . والحقيقة الواقعة أنه حتى منتصف القرن التاسع عشر يوم أن أسس البريطانيون والفرنسيون السيطرة الأوربية ببلاد الصين ، لم يكن مقام البرتغاليين بمكاؤ إلا مقام الملتمس الضارع المتواضع ، لا لبلاط بيكين بل لموظف مرءوس بمدينة كانتون .

ب - الأسبانيون

وكان الإسبانيون هم الجيل الثانى من الأوربيين الذين اتصلوا بالصين . وقد وصلوا إلى جزائر الفلبين فى وقت مبكر من القرن ، حتى إذا وافت ١٥٧١ كان الأرخبيل قد غزى كما أنشئت مدينة مانلا . وهناك تم الاتصال بينهم وبين السفن الصينية . وكان أول

من زار الصين من الإسبان قسيسين ، هما مارتن دهيرادا وجيرونوموماريين . وتأسست العلاقات الودية مع سلطات الصين الجنوبية ، ولما بلغ القرن نهايته حصلوا على الإذن بالاتجار فى كانتون . ولكن الأسبان لم يكن حظهم من النجاح أعظم من حظ البرتغاليين فى محاولتهم إنشاء العلاقة الديبلوماسية ، وإن ازدهرت تجارتهم مع الفلبين فيما يبدو . وكانت نوعاً غريباً من التجارة ، وذلك لأن الفلبين كانت تستخدم كضرب من مستودع لبضائع المكسيك ، وكانت تجارة إسبانيا مع الصين تم عن طريق أمريكا الوسطى . "ظلت الفضة المستخرجة من المناجم الأمريكية يتقايض عليها فى كلاؤ وأكابلكو مقابل المنسوجات الآسيوية المصنوعة من القطن والحرير ، ومقابل التوابل والخزف الصينى البورسلانى مع غش خزانة الدولة التابعة لأصحاب الجلالة الملوك الكاثوليك .

جـ - الهولنديون

واضمحلت قوة البرتغاليين بالمحيط الهادى حوالى الربع الأول من القرن السابع عشر ، عندما تمكن الهولنديون بعد طردهم البرتغاليين من أمبوينا فى ١٦٠٥ من إبعاد خصومهم رويداً رويداً من المناطق الأخرى من الأرخبيل الإندونيسى . وقبل ١٦١٩ تهيأ للهولنديين إقامة مصنع بجاكرتا التى أطلقوا عليها اسماً جديداً هو باتافيا ، وبفضل هذا العمل كما يقول القائد الهولندى فى تقرير له : "أحرزنا موطىء قدم ومستعمرة على أرض جاوة" . ولم يلبث الهولنديون أن تبوءوا شيئاً فشيئاً وإلى حين المنزلة نفسها التى كانت للبرتغاليين بالبحار الشرقية . فجاء ربان هولندى فى ١٦٦٢ وبصحبته أسطول من خمس عشرة سفينة ، ووقف قبالة مكاؤ ، ومع أنه لم يستطع طرد البرتغاليين من شبه الجزيرة ، فقد كان لحملته نتائج مشوقة إلى أقصى حد حيث انتهت باحتلال فرموزا ، التى لم يكن الصينيون قد استعمروها فعلا فى ذلك الأوان . واستقر الهولنديون بتايوان

وابتنوا لأنفسهم حصناً . وصار لتلك الجزيرة أهمية فيما عقب ذلك من عصور التاريخ ، فلعله ينبغى أن نشير بإيجاز إلى مجرى الحوادث بفرموزا قبل تناول قصة محاولات الهولنديين فى إنشاء العلاقات بينهم وبين الصين ذاتها .

لم يستعمر الهولنديون فرموزا بل استخدموها مثابة لتجارتهم بصفة رئيسية ، كما استخدموها ميناءً وسيطاً فى علاقاتهم المتطورة مع بلاد اليابان . بيد أن مركزهم مالبث أن أحدق به خطر عظيم ، جاءهم هذه المرة من رجل صينى من موالى أسرة منج المخلوعة هو تشنج تشنج كنج المعروف فى التاريخ باسم كوكسنجا . فعندما احتلت أسرة المانشو شمال الصين وأخذت تقضى ببطء على أنصار منج بأرض الصين الأصلية ، صمم تشنج بعد أن صمد لهم بعناد فى أموى ، أن يؤسس قاعدته بفرموزا . فهاجم الجزيرة بقوة عدتها ٢٥,٠٠٠ رجل واضطر الهولنديين إلى التسليم بعد حصار طويل لحصنهم واستولى على الجزيرة باسم إمبراطور المنج . ثم صمد كوكسنجا فى موقفه أمام كل مهاجم بل أخذ يغير على ساحل فوكين ويعيث فيه فساداً حتى اضطر إمبراطور المانشو إلى إصدار الأوامر بإخلاء المنطقة الساحلية من الولاية . وظل كوكسنجا يتولى شئون الحكم بالجزيرة ، ولم يلبث أن تولى الحكم ابنه بها بعد مماته ، فلم تستطع أسرة المانشو ضمها إلى أملاكها إلا بعد وفاة ابن كوكسنجا .

أسـرة المانشـو

وينبغى أن نشير إلى أن غزو أسرة مانشو للصين ، ذلك الغزو الذى أتاح لكوكسنجا فتح فرموزا ، إنما هو حدث عظيم فى تاريخ آسيا ، وذلك نظراً لأن الأسرة المالكة التى طردت أسرة المنج ظلت متربعة فى دست الحكم ببلاد الصين حتى ١٩١١ ، وكانت بذلك فى بهرة المسرح إبان السنوات المائتين والخمسين التى دارت فيها رحى العلاقات بين أوروبا وآسيا . وغنى عن البيان أن صعودهم معارج القوة وأن السلطان والهيبة

اللذين أسبغاهما على الصين أمد مائتين من السنين ثم انهيارهم النهائي إنما يكوّن فصار له أهمية وإمتاع فوق المألوف .

وقد أنتجت أسرة منج بعد تشانج تي مجموعة متعاقبة من الحكام الضعاف العاجزين الذين أصبحوا ألعوبة في يد خصيان القصر وفسدة الموظفين . وكان الإمبراطور وان لي (١٥٧٣ - ١٦٢٠) - الذى تولى الملك طفلا - عبداً لشهواته يدير أعمال الدولة بواسطة خصيانه وجواريه . وكان مستشاره الأكبر هو الطواشى واى تشنغسيان الذى صار يعد فى الصين أسوأ الشخصيات سمعة فى تاريخها الطويل . ولم يلبث خليفة وان لي حتى قتلته حظية أبيه بمساعدة واى الخصى . وكان الإمبراطور الذى خلفه شخصاً ضعيفاً واقعاً وقوعاً تاماً تحت سيطرة واى الذى استطاع بتأييد زوجة أبى الإمبراطور أن يحكم الدولة باسم مولاه . وبلغت أعمال واى تشنغسيان من الفظاعة واستهانته وتحديه للرأى العام وإهماله لمصالح الدولة حداً صارخاً أنزل الضرر الجسيم - بل التدمير الذى لا سبيل لإصلاحه - بهيبة الدولة وكرامتها . وكان أن حصد الإمبراطور التالى وهو تشنج تشن عواقب سوء أعمال واى تشنغسيان . فحدثت الاضطرابات فى كل مكان ، وسقطت العاصمة نفسها فى يد لى تزو تشنج الزعيم الثائر . لقد آلت الإمبراطورية إلى حال يرثى لها من التمزق ، سهلت لقوة المانشو المتزايدة سبيل الاستئثار بالملك .

وكان شعب المانشو أمة تقيم على التخوم قبلت السيادة الصينية فيما مضى إبان فترات مختلفة ، ولكن الصينيين لم يفتحوا بلادهم بالفعل قبل ذلك البتة . كانت تنتظمهم عشائر ، ولكنهم لا يعيشون فى وحدة قومية ، حتى ظهر بينهم زعيم اسمه نورها تشي (ولد فى ١٥٥٩) ، وكانت نفسه تضطرم بالرغبة فى الثأر لمقتل أبيه وجده على يد موظف صينى على الحدود ، فبدأ يجمع قبائل المانشو فى اتحاد عام . وحاولت السلطات الصينية التهدئة من ثائرته بتعيينه حاكماً على المستنقعات ومنحه لقب "القائد الأفعوان

النمر" . ولكن ذلك لم يزد نورها تشي إلا هيبة ومكانة لم يلبث حتى استخدمها فى تقوية سلطانه السياسي بين القبائل وفى إنشاء جيش قوي . وقبل ١٥٨٦ أصبحت مختلف قبائل المانشو تخضع لسلطانه واعترف به الجميع حاكماً لإقليم منشوريا . ولم يلبث حتى بسط سلطانه رويداً رويداً على منغوليا التي لم يعد للصينيين فى ظل آخر الملوك من أسرة منج وحكمهم الواهن الضعيف أي سلطان فعال عليها . فلما أن أعانت الحكومة الصينية شعب الياهو (Yehos) فى قتاله لهم ، أعلن نورها تشي الحرب على الصين فى ١٦١٨ . ومع أن أسرة منج كانت عند ذاك تهوى سريعاً إلى خاتمتها النهائية ، إلا أن تحدى الإمبراطورية لم يكن من الأمور الهينة ، لذلك جرَّد على ذلك المانشوكي الوقح جيش يتولى عقابه . استمرت الحملة تقوم بعملها بطريقة مفككة مدة سبعة عشر عاماً وقوة المانشو تزداد فى كل عام شدة . وعندما حانت منية نورها تشي فى ١٦٢٦ كان سلطان المانشو قد امتد إلى شبه جزيرة لياؤتنج مهدداً الإمبراطورية ذاتها .

وكان اسم خليفة نورها تشي هو تين تسنج . وهو الذى بسط سيادة المانشو على ولاية كوريا وعلى مغول تشاهار ودفع بالحرب إلى أرض الصين ذاتها . وحدث بالصين فى عهد خلفه العصيان العظيم الذى قام به لي تزوتشنج والذى حمل آخر أباطرة أسرة منج على الانتحار . وكانت تلك هى الفرصة التى كان المانشو يترقبونها بفارغ الصبر . فاتحدوا مع أعوان أسرة منج فى الشمال وتدخلوا ضد الثائر ، حتى إذا هزم لي تزوتشنج طالب عاهل المانشو لنفسه بالإمبراطورية وأدخل الصين بأجمعها تحت سلطانه (١٦٤٥) .

وكان استبدال أسرة قوية جديدة بأسرة منج الضعيفة العاجزة مدعاة لتقوية الصين فى وقت كانت له أهميته وخطورته ، ذلك أن قبائل التخوم الشمالية أمثال المغول ، قد أعلنت فى آخريات أيام أسرة منج خروجها على سيادة الصين . وفضلاً عن ذلك خرجت عن الطاعة قبائل القلمخان والإليوث وغيرهما من القبائل شبه المستقلة ، وذلك على حين أن الإقليم الهائل الذى عرف فيما بعد باسم سنكيانج كان مستقلاً استقلالاً

مطلقاً . وقد أخذ الروس يتحركون ليملأوا الفراغ القائم بسيبيريا . فالذى حدث فعلاً هو أنه عندما بدأت أسرة تشنج وهو الاسم الذى عرفت به أسرة المانشو - حكمها فى بيكين ، كانت رقعة بلاد الصين قاصرة على المناطق الواقعة جنوبى السور الأعظم ، ولم تكن تضم سنكيانج ولا التبت . ثم تعاقب على الإمبراطورية عدد من الحكام المقتدرين ، نخص بالذكر منهم اثنين كانا من أعظم العواهل الذين شهدهم التاريخ الصينى بأكمله ، وهما كانج هسى وتشين لنج - فقاموا جميعاً بإحكام الترابط مرة ثانية بين مختلف أجزاء الإمبراطورية وأوقفوا التوسع الروسى عند حده على نهر عامور ، ثم أعادوا فتح إقليم سنكيانج ووضعوه تحت سيطرتهم الفعالة ، وتدخلوا بالقوة فى بلاد التبت ووضعوا أسس مدعيات الصين فيها أيضاً . وكان القرنان التاليان مسرحاً لبسط سلطان الصين على أوسع رقعة بلغتها : من التخوم الشمالية لكوريا شمالاً إلى كمبوديا ومن المحيط الهادى إلى جبال الهملايا وجبال قره قورم .

وكان يقيم فى بيكين منذ نهاية عهد أسرة منج حتى بداية القرن التاسع عشر عدد من القسس الأوروبيين الذين كان البلوط يستخدمهم فى شئون مختلفة . ومع أنهم كانوا مبشرين دينيين ، فإن عملهم فى بيكين كان علمياً بحتاً ، وكان الإمبراطور كانج هسى ينطوى على تطلع عقلى عظيم كان جديراً بالذكر بالنسبة لحاكم يعيش فى تلك المدة . وزادت معرفة أوروبا كثيراً ببلاد الصين ، وكان للحضارة الصينية والفكر الصينى اللذين كانا ينتقلان إلى أوروبا عن طريق الترجمات التى كان يقوم بها هؤلاء المبشرون ، كان لهما بعض الأثر فى حضارة القرن الثامن عشر وفكره .

وبذلك محاولات عديدة من الهولنديين بوجه خاص للدخول فى علاقات ديبلوماسية مع الإمبراطورية الجديدة . وقد قدم الهولنديون لأسرة المانشو شيئاً من المساعدة أثناء قتالها مع كوكستجا ، فزعموا بناء على تلك المساعدة أن فى استطاعتهم أن

يقترحوا السماح لهم بإرسال السفراء إلى بيكين . على أن مصالح المبشرين الكاثوليك تضاربت مع مطامع هولندة البروتستنتية . وقد حدث فعلاً أن بعثة ديبلوماسية برياسة بيتر دى جويز سافرت حتى بلغت بيكين فى ١٦٥٥ بوصفهم "حملة جزية" للإمبراطور . فانطرحوا على الأرض ساجدين أمام العرش الخالى من صاحبه ، ثم تفضل الإمبراطور فمنحهم الهدايا والألطاف . وكانت الثمرة السياسية الوحيدة لهذه البعثة السياسية ، هى أن صاحب الجلالة الإمبراطورية أذن بشخوص بعثة مثل تلك إلى عاصمته مصحوبة بأربع سفن تجارية مرة كل ثمانية سنوات . ووصلت البعثة السياسية التالية برياسة بيتر ڤان هورن إلى بيكين فى ١٦٦٥ ، ومع أنه لقى هو الآخر ترحاباً كريماً كرئيس لبعثة تحمل الجزية إلا أنها هى الأخرى لم تتمخض عن أية نتائج سياسية ، وأبلغ السفير رياسته فى بتاڤيا أنهم أدخلوا بيكين كالجواسيس وأخرجوا منها كاللصوص .

د - الإنجليز

وفى تلك الأثناء كان الإنجليز دخلوا بحار الصين ، وكانت أول محاولة اجترأ بها الإنجليز على دخول تلك المنطقة بناء على اتفاق مع الهولنديين ، وهم آنئذ أعداؤهم الألداء فى تجارة الهند الشرقية ، ففى ١٦١٩ عقدت بين الشركتين معاهدة اتفق فيها على احتلال جزيرة فى مكان ما قرب الشاطىء وعلى إجبار السفن التجارية الصينية على قصر معاملاتها التجارية عليهم دون سواهم . واتفق الطرفان أيضاً على أن يكون لهما "مجلس دفاع مشترك" . ونصت المادة العاشرة من الاتفاقية على أن : "الدفاع سيستخدم فى الحصول على التجارة مع الصين ، ومن أجل تلك الغاية اتفق على أن يرسل الأسطول إلى جزر الفلبين ، وذلك لكى يعطل حركات الصينيين وينبههم إلى أنهم لن يتجروا مع أحد آخر سوانا" . وقد فشلت هذه المحالفة غير الطبيعية ، لأن الهولنديين راحوا بعد تحصين جزائر بسكادورس بمعاونة الإنجليز يعملون على احتكار التجارة .

فلما أن نشلت المحالفة الهولندية على ما ترى ، صمم التجار الإنجليز على التفاهم م
البرتغاليين . ولم يلبثوا أن حصلوا على رخصة من نائب الملك البرتغالى بجوا وجهز
عدة سفن بقيادة القبطان ودل . وكانت المعلومات التى لديهم عن أحوال بلاد الصين م
الضآلة بحيث أن ودل رأى أن يقتصر على استحضار بعض خطابات التعريف م
سلطات جوا إلى حاكم ماكاؤ حتى يمكنه من الاتجار مع الصين . على أن "القهر المزرى
الذى كانت السلطات الصينية ترهق به البرتغاليين بمكاؤ ، كما قال ذلك الحاكم - لم يت
لهم أن يقدموا إلى الإنجليز أية مساعدة . ومن أجل ذلك أخذ الربان الإنجليزى على
عاتقه أن يحصل على النتيجة قهراً ، فأعد صندلا وزورقاً من زوارق السفن زودهما
بخمسين رجلاً ودفع بهما داخل نهر كانتون . على أن السلطات الصينية أوقفتهما
وأمرتهما بمغادرة النهر . وتصرف الإنجليز كعادتهم بصلف "وطالبوا بأن يسمح لهم
بالمرور والتجارة بحرية ، كما كان يفعل البرتغال ، وأن يزودوا منذ ذلك الحين بأموالهم
وبالمؤن اللازمة لسفنهم . وهى أمور وعد الماندرين أن يرفعوها إلى الموظفين الأعلين
المقيمين بكانتون ، وطلبوا فى الوقت نفسه مهلة مدتها ستة أيام فمنحوها" .

وطبيعى أن هذا الموقف الذى اتخذوه وهو موقف الفاتح الذى يقدم الشروط ويطالب
بالأشياء "فوراً" أدى إلى عواقب وخيمة ، فأنزلت السفن جماعة قوامها مائة رجل ،
واحتلت قلعة صغيرة قرب النهر ، ورفعت بكبرياء "علم جلالة ملك بريطانيا العظمى
على الجدران" . ثم ارتكبوا فى النهر أعمال قرصنة مختلفة . وأظهر الصينيون صبراً
جميلاً ، كما أن اثنين من ضباط السفينة طلبتهما كانتون حيث تلقى الموظفون المحليون
على الفور التماساتهم . ولكنهما لم يحصلا على أى إذن ، وبعد أن اعتذر القبطان ودل
عن مسلكه ، وتعهد بأن لا يعود إلى غلطته ، سمح له بأن يشحن بضاعته ويعود إلى بلاد
الهند .

وفى ١٦٨٥ ، يوم كانت ميناء كانتون تحت الانتداب الإمبراطورى ، وقد فتحت أبوابها للتجارة ، حصلت شركة الهند الشرقية التى كان لها آنذاك احتكار التجارة البريطانية فى المياه الآسيوية ، على حق إنشاء مصنع بمدينة كانتون .

ثم فتحت كذلك مركزاً تجارياً فى ننجبو . وبعد رحلة السفينة ماكلزفيلد فى ١٧٠٠ زادت هذه التجارة أهمية وصارت سفن شركة الهند الشرقية تتردد على كانتون فى كل عام . وفى ١٧١٥ أنشىء مصنع مستديم فى كانتون ، وتهيأ للشركة الوصول إلى اتفاقية تجارية مع القوميسير الإمبراطورى ، المعروف عند الإنجليز باسم هوپو ، وبها تم جعل التجارة منتظمة . ولكن ذلك كان مقصوراً على كانتون فقط ، وحتى تلك المدينة ذاتها لم تكن الأعمال التجارية تتم فيها إلا على يد هيئة تسمى تجار الهونج ، وهى نقابة احتكار من رجال الأعمال الصينيين ، حصلوا فى البداية على اعتراف الموظفين الصينيين ، إن لم يكن على حمايتهم . حتى إذا أسبغت السمة الرسمية فيما بعد على مركز تلك النقابة أى الكوهونج "سلحت بكامل سلطات الحكومة ، وأخذت تقوم بعمل الوكيل لها ، وتتلقى مؤازرتها التامة من ناحية وتعمل من الناحية الأخرى عمل الممر الذى يمر عن طريقه سيل الثروة ، وهو ما كان الموظفون يتوقعون أن ينالوا منه نصيباً ضخماً" .

ولا شك أن جهاز هذه التجارة فيه شيء يدعو إلى الاهتمام ، وخاصة لأنها أصبحت عاملاً ضخماً للمتاعب السياسية التى حدثت فى القرن التاسع عشر ، على أن موقف الصينيين من التجارة الأجنبية قد ترجم عنه بأوضح عبارة مرسوم أصدره نائب الملك فى كانتون ، وهو يعلن : "أن الإمبراطورية السماوية تعين الموظفين المدنيين لحكم الناس ، وتعين الحكام العسكريين ليرهبوا الجناة الأشرار . أما الشئون التافهة المتصلة بالتجارة فهى من شئون التجار أنفسهم : فلا يجوز للموظفين أن يستمعوا إلى أى شأن يتعلق بذلك

الموضـوع" . وكان تجـار الهـونج يسيطرون على الـتجـارة فى الجانـب الصينى ، وكـانوا بدورهم تحت سلطة قومسيير الجمارك الإمـبراطورى الذى كان الإنجليز يحرفـون اسمه فيجعلونه هوپوّ . وكان للقومسيـير الهوپوّ وحده الحق فى إصدار رخص التجارة ، وكان يهيمن بواسطة تجار الهونج هيمنة دقيقة على العمل بأكمله .

وكانت مصانع الدول الأوروبيـة المختلفة بكانتون صفاً من المبانى تابعـاً لتجار الهونج تستأجره منهم الشـركات الأجنبية . ويصفها السيـر جون برات على هذا النحو : "كانت تغطى مساحة طولها ١١٠٠ قدم وعرضها ٧٠٠ قدم فـضلاً عن فضاء براح صغير أمامها . ولم يكن يسمح بوجود النساء ، وفى عهد متأخر هو سنة ١٨٣٠ هدد نائب الملك بإيقاف التـجارة ، لأن السـيـدات الإنجليـزيات جئن من مـكاؤ لزيارة المصانـع . وكانت وسـائل الراحة والإقـامة فـاخرة مما يشاهـد فى القصور" . وكـان المصنع الإنجليزى ، فـيمـا يقول المصدر نفـسـه ، أفخـر المصانع شكلاً وأشدها ترفـاً ، وكانت الشركـة الإنجليزية معـروفة بمستوى معـيشتها العالى وبكرم ضيافـتها الكبير . وكانت بوابة المصنع الكبيـرة الخارجية تنفرج عن طريق عريض مرصوف يؤدى إلى "مجـموعة من الدرجات العريضة" . وعند نهاية الدرجـات شرفة يدخل منهـا إلى المكتبة ، التى كان الضـيوف يجتـمعون فيـها لتناول غـدائهم . وكانت الأبواب ذات المـصاريع القـابلة للطى تنفـرج عن قـاعة طعـام فاخرة تضيئـها ثريات من البللور المشطوف مدلاة من السـقف وشمعدانات من خـالص الفضة على المائدة ، وكانت العادة أن يجلس إليـها ثلاثون شخصاً ليتناولوا عـشاء إنجليزياً على الطراز القـديم يقدم إلى المدعـوين بكل أنواع الأبهـة والمراسم الشائعـة فى القرن الثامن عشر .

ومع أن داخل الشـركة كـان كله أبهة وجـلالا ، فإن السـلطات الصينيـة لم تكن تدع للتـجار الإنجليـز أية فرصـة للشك فى مركـزهم ، فلم يكن يسـمح لهم أن يستـخدموا

الكراسي المحمولة ، ولا أن يجدفوا طلباً للمتعة في النهر ، وإذا هم زاروا حديقة من حدائق المسرة والنزهة وجب أن يكون ذلك تحت إشراف موظف صغير . ولا يجوز لهم أن يوجهوا الخطابات إلا عن طريق تجار الهونج كما لم يكن يسمح لهم بدخول المدينة .

ولما أن تزايدت قوة شركة الهند الشرقية ونمت مواردها بتلك الدرجة الهائلة ببلاد الهند ، صار للإنجليز إبان القرن الثامن عشر نصيب الأسد في التجارة الصينية . وكان الشاي السلعة الرئيسية لشركة الهند الشرقية ببلاد الصين ، وكانت مصلحة البريطانيين تنحصر بوجه رئيسي في الاتجار في الشاي الأسود الذي تنتجه ولاية فوكين ، ومنها كان يحمل إلى كانتون ويشترى عن طريق تجار الهونج . وقد قرر أحد الشهود أثناء إدلائه بشهادته أمام اللجنة التي اختارها مجلس العموم : "للشركة فيما أعتقد وفيما أستطيع أن أقرره الخيار في الحصول على كل ورقة من الشاي الأسود ، وأعني بذلك أن كل رسالة من الشاي الأسود مهما بلغت قيمتها تعرض أولاً على الشركة ويسمح لها بفحصها" . أجل إنه كان هناك بطبيعة الحال منافسون لهم من المشترين الأجانب الآخرين ، ولكن المبالغ التي كان يستثمرها المشترون الأوروبيون الآخرون لم تكن تصل إلى سبع ما تستثمره الشركة البريطانية ، وقبل أن يبلغ القرن الثامن عشر نهايته كان الشاي قد أصبح شراباً قومياً بانجلترا ؛ ولسداد قيمة المبالغ الهائلة المستخدمة في ذلك الاستثمار كانت الشركة تشجع بيع الأفيون الذي حوله وارن هيستنجز إلى احتكار له ببلاد الهند .

وكان للشركة أكبر جالية من الأوروبيين المقيمين ببلاد الصين ، ومع ذلك فقد مضت عليها مدة طويلة لم ترسل خلالها بعثة ديبلوماسية إلى بيكين . وكان أول سفير اختير للقيام بهذه المهمة هو الكولونيل كاثكارت ، غير أنه مات قبل أن يصل إلى بلاد الصين (١٧٨٧) . وبعد ذلك ببضع سنين وصلت إلى بيكين البعثة السياسية الشهيرة برياسة لورد ماكارتني ، وكانت تحمل أوراق اعتمادها من الملك چورج الثالث ، وكانت بعثة

غيـر عادية بدأت أعـمالهـا بعد إعـدادات محكمـة وبعدد ضـخم من الموظفين . وسافر السفير وحاشيته إلى بيكين فى موكـب رسمى ضخم ، ولكنه كان يرفع علماً مكتوباً عليه بالصينية "السـفير الذى يحمل الجزية من بلاد الإنجليز" . ومع ذلك فـإن اللورد ماكارتنى تصرف تصرفاً مليئاً بعظيم الهـيبة والكرامة ، وأبى السجود على الأرض ، ولم يوافق إلا على تقديم أوراق اعتمـاده راكعاً على ركبة واحدة . وأبدى الإمـبراطور تشين لنج تلطفاً عظيماً مع السفير ، ولكن النتائج السياسية والتجارية للبعثة كانت سلبية محضة .

ثم أرسلت بعثة أخرى فى (١٨١٦) برياسـة اللورد أمهرست ، واضـطرت إلى العودة من بيكين ، لأن الصينـيين أصروا على ضرورة سـجود السـفيـر أمام الإمبـراطور ، وأصر السفـير بثبات لا يقل عن ثبـات الصينيين على عدم النظر فى تلك المسـألة مطلقاً ، وظل الموقف على تلك الحال حـتى صممت بريطانيـا على إنهائه ، وقد قـويت شوكتهـا بفتح الهند وعلى استعمال القوة لإرغام الصينيين على التجارة معها .

افتتـــاح الصيـــن

كانت السنوات التى اهتزت فيها القارة الأوروبيـة بحركات قومية هى أيضاً السنوات التى انتبه فيها الشرق الأقصى للحياة العـامة للعالم . فحكومة الامبراطورية الصينية التى لم تسمح بالتجـارة الأجنبية إلا فى ميناء واحد "كانتون" والتـى حاولت أن تمنع علاقات مباشرة بين الأجـانب والأهالى فى كـانتون أجبرت فى سنة ١٨٤٢م على التـخلى عن سيـاسـة "الانغلاق" هذه وستـصبح الصين مـيدان تـوسع لأوروبا والولايات المتحـدة . والاتصال الذى سيقوم بين الحضارة الغربية والحـضارة الصينية سيفتح الطريق لنمو قوى جديدة ستـعـمل فى أثناء النصف الثـانى من القرن التـاسع عشـر ، على تغيـير كل آسـيا الشرقية .

المصالــح الأوربيـــة :

كانت المطالب الخاصة بالمصالح الاقتصـادية - الرغبة فى الحصول على منفذ "للسوق الصـيني" - هى التى تسـببـت فى عـمل الدول العظمى الأوروبيـة وفى عـمل الولايات المتحـدة ، وكان وجـود كتلة بشرية ضـخمـة فى امبراطورية الصـين (لا يمكن لأى فرد فى الفترة تقديرها ، حتى بـطريقة تقربية : فيمكن أن يقال أنها كانت ثـلاثمائة مليون نسمة ، وربما أكثر من ذلك) يعطى الأمل فى أنه يمكـن لهؤلاء الأهالى أن يكونوا زبائن لمصدرى المواد المصنوعة ، وبخاصة المنسوجات ، والمكاسب السـريعة ستكون هامة ، إذ أن الغالبية العظمى لهذه الكتلة البـشرية كانت فى غاية الفـقر ، ولكن مع افتتاح الـصين أمام النفوذ الأجنبى ومع تنميـة الموارد الطبيعـية للبلاد ، ستـزداد قدرة الأهالى على الشـراء ، وتحصل تجارة الغربيين على ازدهار كبير .

وكانت بريطانيا العظمى هى الأولى رؤية هذه الامكانـيات . وكانت هى وحدها التى كان لهـا قبل سنة ١٨٤٠ ، عدداً كـبيراً من التـجار فى كانتـون - حوالى ٣٥٠ - والذين

كانوا يبيعون للصينيين بنوع خاص الأفيون الذى كان يرد من الهند وفارس ، الذين كانوا يشترون الشاى والحرير الخام . ومع ذلك فقد بدأ رجال الصناعة فى لانكشاير فى أن يرسلوا لكانتون منتجات من المنسوجات ، وبخاصة من منسوجات القطن الذى كان يمكنه ، نتيجة لوسائل الصناعة الحديثة ، أن يباع فى الصين ، رغم نفقات النقل ، بسعر أقل من سعر المواد المماثلة التى يصنعها الحرفيون الصينيون . وكان ما ترغب المصالح الاقتصادية والمالية ، المتجمعة فى لندن رابطة الصين China Association فى الحصول عليه هو إلغاء الحواجز التى كانت الحكومة الصينية قد وضعتها أمام توغل المنتجات الأجنبية : فرض ضريبة خاصة على السلع المستوردة ، واجبار التجار الأجانب المقيمين فى كانتون على التعامل عن طريق وساطة رابطة التجار الصينيين أو الكوهونج - Co Hong التى كانت تحتكر التجارة : ومنع الأجانب من الخروج عن نطاق حى المنشآت التجارية ، حيث كانوا يخضعون لرقابة دقيقة . وكانت الأهداف تتمثل فى العمل من أجل عدم قصر العلاقات التجارية على ميناء كانتون وحدها ؛ وفى عقد معاهدة تجارية مع الحكومة الصينية تقر هذه العلاقات على أساس تعاقدى ، بدلاً من قبول املاء الصين نفسها للشروط التى تسمح فيها بالتبادل ؛ وفى ضمان حق التجار الانجليز فى الدخول فى علاقات مباشرة مع الزبائن الصينيين ، وبالتالى إلغاء "الكوهونج" وبدت الصين على أنها أرض الكنوز التجارية أمام رجال الصناعة الانجلير .

ولم تهتم فرنسا أو الولايات المتحدة الأمريكية أو روسيا ، قبل سنة ١٨٤٠م بهذا السوق الصينى عن قرب . ومع ذلك فإن هذه الحكومات كانت بعيدة عن اللامبالاه .

وكان التجار الأمريكيون قد انادوا من فترة الحروب النابليونية لكى يحاولوا أخذ مكان الانجليز ، وكانوا قد حصلوا على نجاح مؤقت . ولكنهم خسروا منذ سنة ١٨١٥م، جزءاً كبيراً مما حصلوا عليه ، ومع ذلك فقد احتفظوا فى كانتون ، بنصيب هام فى الحركة

البحرية - ٢٥٪ تقريباً فى الوقت الذى كان فيه نصيب الانجليز هو ٦٠٪ . وكانت المصالح الاقتصادية الفرنسية أقل من ذلك بكثير ففى سنة ١٨٣٨م لم يكن فى وسع التجار المقيمين فى حى المنشآت التجارية فى كانتون أن يعتمدواحتى على التأييد الفعلى لوكيلى قنصلى ، إذ كانت الحكومة كانت قد رأت أنه يكفى إعطاء هذا المركز لأحد الانجليز . ولكن اللاعزارين Lazaristes كانوا قد احتفظوا ببعثه تبشيرية فى الصين حيث كان عليهم وحدهم وفى أصعب الظروف أن يواصلوا رسالتهم فى هذا الوقت ، وكان رجال التبشير هؤلاء فرنسيين .

وقررت الحكومة ، ابتداء من سنة ١٨٣٦م ونتيجة لطلب الغرف التجارية أن تراقب الامكانيات الجديدة ، فانشأت قنصلية فى مانيلا وعينت فيها تيوفيل بارو Théophile Barrot الذى كان على اتصال بالأوساط السياسية . وكان على المركز القنصلى ألاَّ يهتم بالفلبين وحدها ، ولكن بكل الشرق الأقصى .

وأخيراً فقد كان للتجار الروس فى سيبريا وأقليم آمور علاقات مع الصين بالطريق البرى . "طريق قوافل" كياختا فى منغوليا . ووجدت حكومة القيصر أن هذا الطريق كان طويلاً وبطيئاً وغير كاف ؟ ففكرت فى استخدام الطريق البحرى ، الذى يبدأ من سبيريا الشرقية لكى يشارك فى تجارة كانتون . ولكن هذا لم يكن أكثر من مجرد رغبات ، ففى الواقع لن تمر الدول إلا فى ركاب بريطانيا العظمى ، وبعد أن تكون هذه الدولة قد فتحت فجوة فى الأسوار .

وبدأت كذلك مشكلة طرق الوصول إلى الأمبراطورية الصينية فى جذب إنتباه الدول العظمى . ولم تكن مسألة المحيط الهادى فى واقع الأمر إلا أحد مظاهر الاطماع التى اثيرت حول السوق الصينى . ولم يكن فى وسع أرخبيلات المحيط الهادى - وباستثناء الفلبين واليابان وحدها - أن تكون اسواقاً للتصدير . ولكنها كانت تمثل نقط ارتكاز على الطرق البحرية التى توصل إلى الصين . فعلى هذا الأساس نظر الأمريكيون والأوربيون

صوب جزر هاواى وأرخبيل اليابان . أما بالنسبة للطرق البرية فانها كانت تهتم فيما يتعلق بامكانية وصولها إلى مناطق الصين الداخلية التى بقيت ، حتى فى حالة فتح الموانىء للتجارة لايمكن الوصول إليها عملياً ، نتيجة لعدم توافر وسائل المواصلات . فكان التوغل التجارى ممكنا ، ابتداء من الموانىء ، فى كل المنطقة التى يوصل إليها الطريق النهرى الكبير مع يانج تسى ؛ ولكن كان الأمر مختلفاً عن ذلك ، بالنسبة لمقاطعات الجنوب الغربى ، ولمقاطعات الشمال الغربى .

حرب الأفيون الأولى ١٨٣٩ - ١٨٤٢م

كيف ستنجح محاولة بريطانيا العظمى لاقتحام باب الامبراطورية الصينية ؟ كانت الأزمة موجودة منذ سنة ١٨٣٢م . وحتى هذا التاريخ كانت التجارة البريطانية فى كانتون فى أيدى شركة الهند الشرقية البريطانية ، التى كان لها حق احتكارها فكانت العلاقات التجارية القائمة مع رابطة التجار الصينين إذن ، ومن حيث المبدأ ، ميدان نشاط للرابطتين التجاريتين ، وبعيداً عن أية مشاركة من جانب وكلاء الحكومة . ولكن البرلمان الانجليزى رفض فى سنة ١٨٣٣م تجديد عقد امتياز شركة الهند . ولذلك فإن الحكومة أرسلت إلى كانتون وكيلا دبلوماسياً ، مكلفاً بمراقبة العلاقات التجارية وبطبيعة الحال أعلن هذا الوكيل أنه لن يدخل فى علاقة مع مجرد رابطة التجار الصينيين ، وأنه يرغب فى الاتصال بممثلى الحكو، ة . ولكن نائب الامبراطور فى كانتون رفض مقابلته . وبعد محاولتين احتفظت الحكومة الانجليزية بفشلها . فهل يمكنها البقاء فى هذا الوضع ؟ لا يمكن كما قالت الصحافة الانجليزية : فهى مسألة كرامة ؟ ومع ذلك ، فلم يكن الأمر يتعلق بمجرد الكرامة ، بل يتعلق بمعرفة ما إذا كانت بريطانيا العظمى ستنجح أولا تنجح فى الدخول فى مفاوضات مع السلطات الصينية بشأن العلاقات الاقتصادية والحصول على توسيع شروط التجارة فظهر الصدام .

ولم تكن الحادثة التى وقعت فى سنة ١٨٣٩م بشأن مسألة الأفيون إلا فرصة لذلك .

فالحكومة الصينية التى كانت قد منعت منذ قرن مضى ، استيراد الأفيون ، ولكن لم تحترم هذا المنع ، فقررت بعد ذلك إلغاء هذه التجارة المهربة ، والتى لم تكن رابطة التجار الصينيين ولا الموظفين الصينيين المحليين غرباء عنها فهل كانت هذه مشغولية تتعلق بالصحة الاجتماعية ؟ فى جزء منها ولكنها كانت قبل أى شىء مشغولية مالية ، إذ أن هذه التجارة كانت تتسبب فى خروج العملة ، ولاشك فى أنه كان من حق حكومة الصين اتخاذ هذا الاجراء ، ولكن لين Lin المندوب الذى أرسل إلى كانتون لتطبيقه استخدم وسائل وحشية ، فلما كان يفتقر إلى الوسائل البحرية اللازمة لوقف السفن التى تقوم بهذا التهريب قبل دخولها إلى كانتون ، فإنه فرض حصاراً على المنشآت الأجنبية ، وحتى يحصل على تسليم المخزون لديها من الأفيون ، وقام باعدامه وباتخاذ هذه الوسائل وبتنفيذها بدون تمييز على كل التجار الانجليز ، سواء أكانوا مسئولين أم غير مسئولين عن التهريب ، أعطت الإدارة الصينية للوزارة الانجليزية موضوعاً دبلوماسياً مواتياً وأعلن بالمرستون فى مجلس العموم فى ١٩ مارس سنة ١٨٤٠م أن الاجراءات الصينية لا يمكن تحملها ، وأنه من اللازم التدخل بالسلاح . من أجل "ضمان الأمن المقبل للتجارة البريطانية" فلم يكن الأمر يتعلق باجبار الحكومة الصينية على قبول استيراد الأفيون ، ولكن كان يتعلق بفرض توسيع التبادل التجارى عليها ، وطبقاً للبرنامج المحدد منذ سنة ١٨٣٤م ومع ذلك فقد أضافت الحكومة الانجليزية لهذا البرنامج مطلباً جديداً هو التنازل لها عن جزيرة ، قريبة من السواحل الصينية ، لكى تتخذها "مكاناً للتجارة" للرعايا البريطانية .

لكى يفرضوا رغبتهم ، لم يكن لدى الانجليز إلا وسائل محدودة : اسطولهم الذى ضرب بضع نقط من الساحل الصينى ، وأنزال حملة صغيرة فى منطقة يانج . ومع ذلك ظلت المقاومة الصينية بدون فاعلية . وأن أسباب هذا الضعف هى الجديرة بالشرح .

كانت اسرة المانشو ، التى تحكم بكينه منذ سنة ١٦٤٤م ، هى مجرد غطاء النظم

السياسية والاجتماعية والإدارية الصينية ، ولا تمارس أى اشراف عليها ، ولم تعط للامبراطورية "تسليما" ولا يبدو أنها فكرت فى ذلك ، وكان هذا الحكم لأسرة المانشو مهدداً ، وخاصة منذ القرن الثامن عشر ، بعمل الجمعيات الصينية التى تسببت فى ثورات محلية وازدادت ظهوراً مع الأيام ولاشك فى أن هذه الحركات لم تكن إلا عمل أقلية صغيرة . ولكن جمهور الفلاحين الصينيين ، مهما كان لايبالى ، فى الأوقات العادية ، بالمسائل السياسية وحتى بالمسائل الوطنية ، كان فى وسعه ، فى وقت الأزمة ، أن يتأثر بنفوذ الجمعيات السرية ، ويصبح قادراً على ردود فعل عنيفة . ولذلك فإن الحكومة كانت تخشى ، فى خلال حرب الأفيون من الحركات المعادية للأسرة الحاكمة ؛ واستمرت فى مراقبة حالة الرأى العام ، وقلقت من انتشار العصابات وخشيت من امكان قيام تعاون بين بعض الموظفين الصينيين وبين الأعداء وتشهد وثائق دور المحفوظات التاريخية فى بكين بهذا القلق لدى الامبراطور وبهذا الضعف للنظام : فكان مستشارى الامبراطور مشغولين بالنتائج الداخلية للحرب أكثر من انشغالهم بالعمليات الحربية .

ومع ذلك فلم يكن فى وسع أحد أن يعقد أى أمل على هذه العمليات الحربية وكان من الطبيعى أن تعجز "السفن الشراعية المسلحة" عن القيام بأى شىء أمام الاسطول البريطانى .

ولكن القوات البرية للامبراطورية عجزت كذلك ضد الحملة البريطانية الصغيرة التى نزلت فى منطقة يانج تسى السفلى . ومع ذلك فقد كان للصين جيشان ، جيش من المتطوعين ، يتكون فى نطاق المقاطعات ، ويجند فيه الصينيون ، وجيش من المانشو ، وهو القوة الوحيدة المنظمة ، والتى بلغ عددها على الورق ٣٠٠,٠٠٠ رجل . ولكن الحكومة ترددت فى استخدام المتطوعين الاقليميين ، إذا أنه كان فى وسعهم أن يصبحوا ، وبين يدى حاكم غير مخلص مصدر خطر للسلطة المركزية . أما فيما يتعلق بالجيش النظامى والذى كان ولاؤه مضمونا ، فلم يكن مسلحاً إلا ببنادق . كما أنه لم يكن فى وسع

الحكومة أن تستخدم مجموع قواتها فى منطقة يانج تسى ، إذ أنها كانت تخشى بشكل خاص من هجوم يمكن توجيهه ضد بكين عن طريق ساحل خليج بى تشيلى ، وكان هذا الخوف يشل حركتها . ولم تكن الأسرة الحاكمة فى أول الأمر على علم بهذا الضعف ، ولكن تجربة المعارك الأولى فتحت أعينها إلى ذلك .

ومادامت الحكومة قد علمت بضعفها العسكرى ، وبالاخطار التى تتسبب فيها الحرب بالنسبة لمصير الأسرة الحاكمة نفسها فى الداعى لاطالة المقاومة لمدة ثمانية عشر شهراً ؟ يبدو أنها كانت قد تسببت فى أول الحرب ، لبريطانيا العظمى خطة غزو الصين كما كانت هذه الدولة قد غزت الهند ، فكان صراعاً من أجل الحياة ، فكان من اللازم إذن مواصلته . مهما كان الأمل فى انهاك الخصم ضعيفاً ، ولكن حينما حاول البلوط الامبراطورى أن يفاوض ؛ فى شهر مارس سنة ١٨٤١ ، وجد أن بريطانيا العظمى كانت تفكر فى مجرد إرضاء مصالحها الاقتصادية . وإذا كان بوسع هذا التوغل للنفوذ الأجنبى أن يصبح خطراً فى المستقبل ، فمعنى ذلك أن الخطر السريع قد أبعد . ومنذ هذه اللحظة أصبح للسلم أنصار بين كبار الموظفين . ومع ذلك فقد تردد البلوط لمدة طويلة ، لأنه كان يتساءل عما إذا كان أنصار السلم من الخائنين . ولكى يقرر قبول الشروط الانجليزية انتظر البلوط حصوله على الدليل الواضح الذى يثبت عدم قدرة جيشه لالقاء الحملة الانجليزية فى البحر . فكانت تلك هى كارثة نينبو Ningpo (٢٢ مارس سنة ١٨٤٢م) التى تمكن فيها الانجليز ودون أن يخسروا رجلاً واحداً من هزيمة ٨,٠٠٠ مانشو والتى اجبرت الامبراطور على العودة إلى المفاوضات والتوقيع على الصلح .

٣ - الأحوال الجديدة للتجارة الأجنبية :

أعلنت معاهدة نانكين فى ٢٩ أغسطس سنة ١٨٤٢م ، ارضاءاً كاملاً تقريباً لمطالب بريطانيا العظمى . فلم يعد ميدان التجارة الانجليزية مقتصراً بعد ذلك على ميناء كانتون وحدها ، وستفتح بعد ذلك أربعة موانى أخرى ، فى الصين الوسطى والصين الجنوبية

لهذه التجارة ، وسيكون من بينها شنغهاى التى توصل إلى الطريق النهرى الكبير يانج تسى . وسيتمكن الانجليز فى هذه الموانى المفتوحة من الاقامة ويبقون خاضعين فى الشئون القضائية الجنائية لمحاكمهم القنصلية ؛ وسيكون لهم الحق فى الدخول فى علاقات تجارية مباشرة مع الزبائن الصينيين . وستحدد الرسوم الجمركية بحوالى ٥٪ من قيمة السلع المستوردة . وهكذا تكون الصين قد فقدت استقلالها الضرائبى ، وقبلت البدء بنظام الامتيازات الأجنبية . ومن ناحية أخرى ، أصبح فى قدرة الممثلين الدبلوماسيين والقنصليين الانجليز الاتصال بالموظفين الصينيين ، الذين أصبح عليهم أن يعاملوهم الند للند . وأخيراً أصبحت جزيرة هونج كونج ، القريبة من كانتون ، مستعمرة بريطانية . فكانت بطبيعة الحال مركزاً تجارياً ، ولكنها كانت أيضاً قاعدة بحرية تسمح بضمان حماية المصالح الانجليزية . ولاشك كذلك فى أن الأمر لم يتعلق بالسماح بحضور هيئة تمثيلية دبلوماسية إلى بكين . ومع ذلك فكانت هذه المعاهدة ، كما قال عنها بوتنجر Poringer الوزير المفوض الانجليزى ، نفتح عهداً جديداً فى هذه المنطقة من العالم .

وسرعان ما عملت فرنسا والولايات المتحدة التى كانت تشعر بذلك ودون أن تلقى أقل عقبة من جانب بريطانيا العظمى ، واكتفت الحكومة الانجليزية باتفاقية ٨ أكتوبر سنة ١٨٤٢م ، بالحصول من الحكومة الصينية على وعد بأن كل "ميزة" تعطى لدولة أخرى ستعترف بطريقة تلقائية للرعايا الانجليز : فكان التفوق التجارى لانجلترا على درجة من القوة بشكل يجعله يوافق على وجود المنافسين .

وكانت الحكومة الفرنسية قد أرسلت على سواحل الصين فى أوائل الحرب الانجليزية الصينية ، بعثة بحرية هى بعثة الأميرال سيسل Cecille ثم ارسلت بعثة سياسية إلى كانتون فى أوائل سنة ١٨٤٢م عهدت بها إلى الكولونيل السابق ديبوا دى جانسينى Dubois de Jancigny الذى اعتبر على أنه يعرف الشرق الأقصى نتيجة لمعيشته فى الهند الهولندية . وكان هذان الوكيلان قد اتصلا بالسلطات الصينية ، وعرض

عليها أمر القيام بوساطة فرنسية لانهاء الحرب ، ولكن قبل أن تتمكن الحكومة فى باريس من بحث هذا الاقتراح [وكان يلزم أربعة شهور لوصول تقرير من الصين إلى فرنسا] ، كانت الاسرة الحاكمة فى الصين قد قررت وقف القتال . ومنذ التوقيع على معاهدة نانكين ، ظهرت الاتجاهات فى الأوساط الرسمية الفرنسية للحصول ، فى الميدان الاقتصادى ، على مميزات مماثلة لتلك التى حصلت عليها بريطانيا العظمى ؛ ولكن اتجاهان آخران ظهرا كذلك : الرغبة فى حماية رجال بعثات التبشير ، والتى كان موقفها قد ازداد دقة ، فى أثناء "حرب الأفيون" نتيجة لأن حكومة الصين رأت فى هذه المجموعات الصغيرة من المسيحيين من الأهالى عملاء لتوغل النفوذ الأجنبى ، والرغبة - وهذا برنامج رجال البحرية - فى الحصول على نقطة ارتكاز قريبة من الصين . وتقرر فى ابريل سنة ١٨٤٣م ارسال بعثة لاجرينية Logrend ، وكانت تضم بين أعضائها عديداً من الملحقين التجاريين الذين حملوا سلعاً من أجل معرض للعينات - منسوجات قطنية ، وفضيات وأجهزة بصرية - والذين كانوا مكلفين بالتفاوض بشأن معاهدة تجارية وعقدها فى شكل سليم .

وعينت الحكومة الأمريكية كالب كاشنج Calep Cushing مندوباً عنها فى الصين . وكان هدف البعثة هو مجرد هدف تجارى . ولكن الوزير المفاوض عقد مهمته بمحاولته الحصول على تصريح بالذهاب للقيام بالمفاوضات فى بكين . وكانت هذه هى الأمكانية التى تخشاها الحكومة الصينية أكثر من غيرها . ألم يكن هذا الأمريكى يرغب فى سبق الأنجليز ولكن كان كالب كاشنج لم يصر امام الرفض ، إذ أنه لم يكن للولايات المتحدة فى الشرق الأقصى القوات البحرية الكافية لارهاب الصينيين .

ولماذا وافقت حكومة امبراطورية الصين بدون صعوبة مع البعثات الفرنسية والأمريكية ، وبشرط واحد هو وقوع المحادثات فى كانتون ؟ لاشك فى أنها كانت لا ترغب ولا تقدر على المخاطرة بحرب مع هؤلاء القادمين الجدد ، مع أنهم كانوا قد

ظهروا لها على أنهم أقل خطراً من الانجليز ، ماداموا لم يطالبوا بامتيازات اقليمية ، ولكنها كانت تعتمد كذلك على أنه سينشأ بين هذه الدول الأجنبية وبعضها منافسات يمكن للسياسة الصينية أن تفيد منها . وكررت معاهدات وانجيا Wanghia الموقع عليها فى ٣ يوليو سنة ١٨٤٤ مع الولايات المتحدة . ووامبوا Whampoa الموقع عليها فى ٢٤ أكتوبر سنة ١٨٤٤م مع فرنسا ، تقريباً الشروط التجارية فى معاهدة نانكين . وحصلت الدولتان ، علاوة على ذلك على امكانيات لنفوذ "ثقافي" وديني . وأصبح للأمريكيين الحق فى أن يعينوا فى لخدمتهم "متعلمين" لكى يدرسوا اللغة الصينية ، وأن يبنوا فى الموانى المفتوحة مؤسسات دينية وأن يعيدا الكتب للصينيين ، وحصلت فرنسا بمرسوم امبراطورى على الاعتراف للبعثات الكاثوليكية بحرية التبشير ، وحصلت على وعد بعدم تعرض الصينيين الذين تحولوا للمسيحية لعقوبات جنائية، ورغم أن رجال التبشير لم يسمح لهم صراحة بالتوغل فى داخل البلاد ، فقد قامت طوائفهم بعد ذلك بمجهود أعطى له جز بحوار السادس عشر .. البابا المبشر الكبير دفعة قوية .

وهكذا أصبحت الصين مفتوحة ، وعلى الأقل جزئياً أمام المؤثرات الأجنبية . ولكن هل ستعيش هذه النتائج لفترة طويلة ؟ والحكومة الصينية ، هل ستحترم ارتباطاتها ، بعد أن وقعت على معاهدة نانكين تحت الارغام ؟

كان بوتنجر يشك فى ذلك منذ سنة ١٨٤٣م . ولم يكن مخطئاً إذ أن الأوساط الصينية الرسمية فكرت فى التخلص من هذه المعاهدة بمجرد التوقيع عليها . وكانت الاشتراطات الخاصة باقامة الأجانب فى الموانىء المفتوحة هى التى تظهر لهم على أنها أشد خطورة من الفقرات الخاصة بالرسوم أو المتعلقة بالتجارة نفسها : فالاتصال الذى سيقع بين الصينيين والأجانب سيسمح بتوغل الأراء "الغربية" ولذلك فان الحكومة لم تفكر أبداً فى أن تلائم نفسها مع هذه الأوضاع الجديدة وتنشىء علاقات ودية مع هؤلاء الاجانب ، وكانت ترغب فى الاحتفاظ بهم بعيدين إلى أقصى ، درجة ، وتحصرهم فى المناطق البعيدة عن العاصمة ، ولكنها لم تفكر فى القيام بهذه المقاومة ، فى ذلك الوقت ،

إلا بالطرق السلمية ، إذ أنها كانت قد جربت ضعفها العسكرى . وفى هذا الصراع الأصم الذى قررت القيام به . كانت تحاول أن تتهرب بوجه خاص من وسائل الضغط المباشرة ، وكان هذا هو السبب فى عقدها أهمية كبيرة على تفادى حضور البعثات الدبلوماسية الأجنبية إلى بكين : فإذا ما كانت العلاقات مع الوكلاء الأجانب تقوم عن طريق وساطة أن كبار الموظفين وحدها ، فيمكنها أن تؤخر الحلول وتقلل من الصدمات . وكان هذا هو التكتيك المستخدم ، وخاصة فى كانتون ولطبيعة الحال كان كبار الموظفين وكذلك أعضاء الكوهونج ، التى حلت ، مستمدين لتأبيد سياسة مقاومة حية ، ماداموا هم المستفيدين من النظام القديم . وأظهر أهالى الموانىء المفتوحة أنفسهم تطرفاً . خاصة وأن البحارة الأجانب لم يكن لهم دائماً سلوكاً مثالياً وأن التجار المقيمين فى هذه الموانىء كانوا يميلون إلى اساءة استخدام امتيازاتهم . وظهرت العداوة بشكل خاص ضد الانجليز . والذين كانوا قد بقوا الأكثر عدداً بكثير من بين الأجانب المقيمين فى الصين [وسرعان ما شعر الفرنسيين بخيبة لآمالهم ، نتيجة لعدم تمكنهم من أن يواصلوا التنافس مع البضائع الانجليزية على السوق الصيني] ومع ذلك فحتى سنة ١٨٤٨م . ظلت الحوادث - الاعتداء والهياج - بدون نتيجة خطيرة على العلاقات الانجليزية الصينية ، إذ أن كيينج Kiying نائب الامبراطور فى كانتون - الذى فاوض معاهدة نانكين - كان معتدلاً ويهتم بتهدئة الأهالى . ولكن الأمر تغير عن ذلك بعد اعتلاء الأمبراطور هين فونج Hein Fong العرش : فأبعد الامبراطور الجديد كبار الموظفين الذين كانوا قد شاركوا فى مفاوضات صلح سنة ١٨٤٢م واختار مستشاريه من أنصار المقاومة الفعالة .

فما هو سبب هذا "التشدد" للسياسة الصينية ؟ كانت المشغوليات الأسروية هى المقررة لذلك كان هين فونج يعلم أن معاهدة نانكين قد وجهت ضربة عنيفة للكرامة الامبراطورية ، إذ أنها وقع عليها تحت ضغط القوة وكانت الحكومة مهددة إذا ما أعتنت بالأجانب ، برؤية [الشعب" ينفصل عن الأسرة الحاكمة . فهل كان فى وسعها أن تعتمد على الدول الأجنبية لكى تعاونها على الاحتفاظ بسلطتها ؟ ولذلك فقد كان من الأفضل

تعارض "الاعتداءات" الأجنبية فهذه السياسة رغم الخطر الذى تشتمل عليه ، سيكون لها على الأقل ميزه ارضاء الرأى العام الصينى وتدعيم مركز الاسرة الحاكمة . وذكر الأب هاك Huc المبشر الفرنسى أنه "من الواضح لأقل الناس بعداً أن هدف حكومة المانشو هو اثارت اشمئزاز الأوروبين وقطع علاقاتهم بهم" ووجد بالمرستون أن اللحظة قد حانت من أجل "توجيه ضربة جديدة" .

وكانت نتائج افتتاح الصين واضحة بعد ذلك فى المحيط الهادى فكانت البعثات العلمية [أو التى أدعت ذلك] والبعثات الدينية وصائدى الحوت قد قطعت قبل سنة ١٨٤٠م ، المحيط الكبير وزارت الأرخبيلات ، وكان للمشغوليات الوطنية مكانها فى هذا النشاط ، ومع ذلك فلم تقم الحكومات بدوافع صريحة إلا فى النادر . ولكن ما إن بدأت "حرب الأفيون" حتى أظهرت بريطانيا العظمى وفرنسا والولايات المتحدة - وباستثناء أسبانيا التى احتفظت ببعض الممتلكات ولكن لم تعد لها قوة للتوسع - اهتماماً مباشراً للحصول على نقط أرتكاز على الطرق البحرية التى توصل إلى السوق الصينى عبر المحيط الهادى ، لأن الملاحة الشراعية كانت تفضل غالباً طريق رأس هورن على طريق رأس الرجاء الصالح ، وحتى على طريق البحر الأحمر الذى كان يتطلب نقل البضائع عبر برزخ السويس .

ففى زيلندا الجديدة ، والتى كانت بريطانيا العظمى قد رفضت أن تقرر أمر ضمها منذ بضعة سنوات ، ظهرت محاولة فرنسية : هى محاولة البارون تييرى Thielry أحد المغامرين والذى كان مشروعه يتلخص فى أن يقيم فى الجزيرة عدداً من المتوطنين ، كمزارعين ، يحصل تييرى من الحكومة على وعد بالتأييد بعد أن أيدته البعثات الدينية . ومصدرى الهافر . ولكن الحكومة الانجليزية أسرعت ووضعت فرنسا أمام الأمر الواقع .

وفكرت الحكومة الفرنسية فى نفس هذا الوقت فى الحصول على نقطة ارتكاز عند مدخل المحيط الهادى . واستقر اختيارها على جزيرة سيلان فى أرخبيل سولو إلى

الشمال من يورينو ، فكان لها خليجاً ممتازاً ، قال لاجرينيه أنه يمكنه أن يسمح بانشاء قاعدة بحرية تشبه فى قوتها قوة قاعدة هونج كونج واعترضت الحكومة الأسبانية على ذلك : فاثارت الحقوق التى يعطيها لها احتلال مؤقت للجزيرة حدث فى القرن السابع عشر ، وعقدت معاهدة حماية فى سنة ١٨٣٦م ، مع سلطان سولو . ولكن هذه العقبة لم توقف الوكلاء الفرنسيين . الذين عقدوا اتفاقية مع الرؤساء الوطنين ، الذين كانوا معادين للأسبانيين ، ولكن جيزو تراجع فى سنة ١٨٤٥م ، عن التصديق على هذه الاتفاقية . فهل كان ذلك للمحافظة على المصالح الأسبانية ؟ لقد رجع ذلك بنوع خاص إلى خوفه من إثارة صعوبات جديدة مع بريطانيا العظمى .

وفى أرخبيل هاواى ، كانت الحكومة الوطنية قد وقعت على معاهدات تجارة مع الولايات المتحدة فى سنة ١٨٢٦م ، ومع بريطانيا العظمى فى سنة ١٨٣٦م . ومع فرنسا سنة ١٨٣٩م ، ولقد وجد ضباط البحرية الانجليزية فى سنة ١٨٤٣م . ثم ضباط البحرية الفرنسية فى سنة ١٨٥٠م ، الفرصة لمحاولة القيام بتدخل مسلح . ولكن الولايات المتحدة فرضت نفسها على أنها هى حامية .. استقلال الأرخبيل ، وحيث كان المزارعون الامريكيون قد حصلوا على مركز متفوق من وجهة النظر الاقتصادية . والواقع أن حكومة واشنطون كانت مستعدة لكى تحقق فى صالحها الضم الذى كانت قد منعت الأوروبيين من اتمامه ، ولكن مجلس شيوخ الولايات المتحدة أبعد حلا سيكون متعارضاً مع التقاليد الأمريكية ، ومع ذلك فقد بقى الأرخبيل .. أرضا للصيد الخاص[1] .

حرب الأفيون الثانية ١٨٥٧ - ١٨٥٨م

فلئن كان العذر الذى انتحل للحرب الإنجليزية الصينية الأولى هو الأفيون ، فقد كان عذرهم بنشوب الحرب الثانية هو الحماية التى بسطتها السلطات البريطانية على النشاط

(١) بيرزنوفان ، تاريخ العلاقات الدولية فى القرن التاسع عشر ١٨١٥ - ١٩١٤ ، تعريب جلال يحيى ، ص ٢٥١ .

غير القانونى لبعض الصينيين الذين وضعهم البريطانيون تحت جناحهم . ولم يكن سبيل الحرب الثانية مختلفاً كثيراً عن سبيل الأولى . وكان الفرنسيون الذين تلقوا من جديد فى ظل نابليون الثالث درساً فى مزايا المجد تواقين هم أيضاً إلى الحصول على نصيب من مغانم الشرق ، فانضموا عندئذ إلى الحرب بحجة أن قسيساً فرنسياً قد قتل .

وهكذا أصبحت الحرب حرباً إنجليزية فرنسية ، ومع أن الأمريكيين لم يشتركوا فى ذلك النزاع ، إلا أن حكومة الولايات المتحدة أظهرت أيضاً أنها تعطف عطفاً تاماً على الأهداف التى يهدف إليها الشريكان الإنجليزى والفرنسى . فلما أن شبت الحرب بالهند فى ذلك الأوان (١٨٥٧ - ١٨٥٨) لم يعد من المستطاع أن تسير العمليات الحربية سيراً فعالاً . ومع ذلك فإنهم استولوا على كانتون فى ١٨٥٧ ، حيث اعتقل نائب الملك به ونقل إلى الهند . وعندئذ طالب ممثلوا الدول بفتح باب المفاوضات المباشرة مع بيكين . فإن رفضت بيكين ، فإن البحريتين تستوليان على قلاع تاكو التى تحمى تيان تسن . وعرض عليهم نائب الملك فى تيان تسن التفاوض ، ولكن ذلك لم يرض الحلفاء . فقد عقدوا العزم على هدم ما تدعيه الصين لنفسها من تعال ورفعة هدماً نهائياً لا يتكرر ، وأن يتفاوضوا مع مفوضين فوق العادة من قبل الإمبراطور وأن يوقعوا المعاهدة فى عاصمة الإمبراطورية . ورفض الإمبراطور أن يدخل المبعوثين الأجانب إلى بيكين . وعندئذ احتل أمراء البحر قلاع تاكو ، ولم تبد القوات التى تحمى القلاع أية مقاومة . فلما رأى البلوط ألا أمل يرجى من المقاومة وافق على التفاوض وعين مندوبين إمبراطوريين فوق العادة .

وبطبيعة الحال أعطت معاهدة تيان تسن للأمم الغربية ما كانوا يصبون إليه ويحاربون من أجله مدة السنوات العشرين التى سبقتها ، وهى الحق فى الملاحة فى نهر اليانجتسى ، وإضافة إحدى عشرة ميناء لينزل بها الأجانب ويتجروا بما فى ذلك موانى نهر اليانجتسى الهامة حتى هانكاو ، وخروج الأوروبيين من اختصاص القضاء الصينى ومنح الحرية

للمبشرين المسيحيين ، ومنح فرنسا بالذات حق حماية المارقين من دينهم إلى الدين المسيحي . وفضلاً عن ذلك قضت المعاهدة بأن يكون للدول الأوروبية الحق في بعث المبعوثين السياسيين المقيمين . على أن البريطانيين كانوا مصممين على تحقير الصين أكثر من ذلك . فإن إيلجن ، وهو أول وزير عين هناك ، تلقى تعليمات بأن يأخذ معه "قوة بحرية كافية" إلى تاكو وهو في طريقه إلى بيكين ، لتبادل التصديق على المعاهدة : وقد أعطيت التعليمات بألا يصر فحسب على أن يستقبل الاستقبال اللائق في بيكين وحدها ، بل وفي تاكو وتيان تسن أيضاً . وقد أتم الروسيون والأمريكيون تبادل التصديق على المعاهدة ، ولكن البريطانيين أصروا على مهاجمة حصون تاكو بحجة أن سفينتهم الحربية لم يسمح لها بدخول النهر . وكان الفرنسيون في عهد نابليون الثالث حريصين على إظهار صداقتهم للبريطانيين بالانضمام إليهم في كل ما يقترفونه من أعمال العدوان ، ومن ثم فتح الحليفان الفرنسي والبريطاني باب الأعمال العدائية للمرة الثانية . ولكن الهجوم على تاكو باء بالفشل ، وإن استولى الحلفاء في العام التالي على الحصون واحتلوا تيان تسن . ثم بذلت محاولات لإعادة فتح باب المفاوضات ، ولكن الحليفين البريطاني والفرنسي كانا غليظين عنيدين ، فأصرا على التقدم إلى تنج تشو بقوة عسكرية ضخمة . ونتيجة لسوء الفهم أو لسوء الظن أولهما كليهما ؛ إذ كان سوء الظن متبادلا بين الطرفين ؛ كما أن كانتون لم يجل عنها البريطانيون أسر الصينيون ثلاثة من الموظفين ذهبوا إليهم رافعين العلم الأبيض . وعندئذ قرر الحلفاء أن يشقوا طريقهم إلى بيكين قتالا ، حتى إذا بلغوا تسنج تشو في أرباضها ، فتحت أبواب المفاوضات من جديد على يد الأمير كانج ، الأخ الأصغر للإمبراطور ، وهو الذي كتبت الأقدار له أن يصبح أكبر رجال السياسة عند المانشو أثناء الفترة الحرجة التي عقبت ذلك . ولما كانت المفاوضات التمهيدية فشلت ، تقدمت الجيوش المتحالفة حتى القصر الصيفي ، وهو البيت الجميل القائم على البحيرة والذي بناه تشين لنج . وهناك أعاد جند الحلفاء ورؤساؤهم أعمال التخريب في الباجودا الخزفية بنانكنج . فإن القصر الذي يقول عنه القائد الفرنسي

مونتوبان : "إنه كان على صورة لا يستطيع أى شيء فى أوروبا أن يعطينا أدنى فكرة عن مثل ذلك الترف البالغ" ، قد نهبه الضباط نهباً منظماً وتاماً .

وليت اللورد إيلجن اكتفى بذلك ، بل إنه عمد بعد دخول بيكين إلى إصدار الأمر بإحراق القصر الصيفى الذى وجد الفاتحون أنفسهم أنه من "العسير عليهم وصف ما به من ألوان الأبهة والبذخ" . وقد تصور إيلجن بجهله أن هذا العمل سيؤثر تأثيراً قوياً فى أولئك الشرقيين ، ويغادر فى أنفس الصينيين خوفاً دائماً . ذلك أن الأوروبيين راحوا بعملية غريبة من الاستدلال العجيب ، يقنعون أنفسهم طوال مدة علاقتهم مع الآسيويين بأن الأعمال الوحشية والتجرد من الإنسانية سيزيدانهم هيبة فى أعين الشعوب الآسيوية .

على أن ذل الحادث خلق بالفعل أثراً دائماً لا يزول قوامه الحقد المتأجج المختلط بالاحتقار الصامت لخلق البرابرة . ولم ينس الناس قط إحراق القصر الصيفى ، وقال موظف كبير فى حكومة الشعب المركزية فى ١٩٥١ أن الحساب لا يزال مفتوحاً فى انتظار تسويته . ولقد كان آل إيلجن غير موفقين فى تصورهم للتاريخ - سواء أكان ذلك من حيث تماثيل الرخام اليونانية . أم القصور الصينية .

وبمقتضى اتفاقية بيكين التى وضعت حداً لهذه الأحداث غير المشرفة ، أرغم الإمبراطور ليعبر عن "عميق أسفه" لخرق العلاقات الودية . وسمح للدول الأجنبية بأن تؤسس وكالاتها فى بيكين ، وفرضت على الصين تعويضات أعظم ، وأضيفت تيان تسن إلى قائمة موانىء المعاهدات ، كما أن بريطانيا عادت فحصلت للمرة الثانية على شيء لنفسها . إذ حملت الصين على التنازل الدائم عن كولون للتاج البريطانى ، كما أن فرنسا أضافت سراً ، وبدون علم الصينيين ، فقرة إلى معاهدتها تنص على أن يباح للمبشرين الفرنسيين فى أية مقاطعة من المقاطعات أن يستأجروا الأراضى أو يشتروها وأن يبنوا الدور ، وذلك أملا فى أن تستطيع بفضل ذلك النص أن تبسط سيادتها الروحية على امبراطورية السماء .

وقد فتحت معاهدتا تيانتسن واتفاقية بيكين فصلا جديداً فى العلاقات الأوروبية الصينية ، أما افتتاح ذلك الفصل بخرق جسيم للثقة الدولية وبعمل تخريبى لا نظير له فى التاريخ وتحقير للإمبراطور لا ضرورة له ، فشيء كانت له أشأم العواقب وأوخمها فى المستقبل . وقد ظلت الأمم الأوروبية فى كل العصور مستمسكة بريبتها من العقيلة الصينية ، فظلت على الدوام تقيم علاقاتها بها على فرض أن الأخلاق الدولية لا يجوز أن تطبق على علاقاتها مع الصين ، وأن الأمم الأوروبية ينبغى أن تعمل معاً من الناحية الديلوماسية كهيئة واحدة فى المسائل التى تؤثر فى مصالحها . أما الصينيون فلم يستطيعوا البتة أن ينسوا أو يعفوا عن البربرية الغشوم التى تعد تدمير أثر قومى جميل عملا يؤكد لفاعله الهيبة السياسية ؟!//

الحرب الصينية اليابانية

وفى هذه الحرب الصينية اليابانية تأكد التفوق اليابانى بشكل واضح ، ومن الوهلة الأولى ، وطبقاً للتفكير الإستراتيجى الذى سوف تظل مخلصة له فى حروبها المقبلة ، قامت هيئة أركان الحرب اليابانية بضمان السيطرة على البحار . وحين حاول إسطول صينى من إثنتى عشرة سفينة أن يصل ، فى يوم ١١ سبتمبر ١٨٩٤، إلى مصب نهر يالو ، قام أسطول يابانى ، أقل منه عدداً بإقفال الطريق فى وجهه . وكان الإنتصار اليابانى ساحقاً . نتيجة لنوعية القيادة ، والتسليح فغرق نصف الأسطول المعادى ، ولم يجرؤ أسطول الصين على الظهور بعد ذلك . وهكذا أصبح فى وسع اليابان أن ترسل إمدادها دون أن تواجهها عقباتٍ. وأصبح فى وسعها كذلك أن تمد العمليات العسكرية ، بقيامها بعمليات إنزال أثبت نجاحها تلك السيطرة التى كانت هيئة أركان الحرب قد إستوعبت بها "التقنينات" الغربية ، وعدم القدرة الكاملة لإدارة المخابرات فى جيش الصين ، فى نفس الوقت . فى ٢١ نوفمر ١٨٩٤ ، قامت حملة إنزال بالإستيلاء على بورت آرثر ، على الساحل الجنوبى لمنشوريا ، وقامت بمهمة تعويق وصول القوات التى كانت حكومة

يحول ارسالها صوب كوريا عن طريق البر ، والذى كان الطريق الوحيد المفتوح امامها . وفى ٣٠ يناير ١٨٩٥ ، نزلت فرقة يابانية عند المدخل الجنوبى لخليج بى تشيلى ، واحتلت وى هاى وى . وفى ٢٣ مارس ١٨٩٥ ، كان نزول القوات اليابانية فى جزيرة فرموزا ، وفى كل مكان ، تمت عمليات الإنزال هذه دون وقوع معارك لها قيمتها ، وكانت دهشة القيادة الصينية كاملة . وهكذا أصبح لليابان "خريطة حرب" فى صالحها ، وأصبحت تسيطر على المواقع التى كانت ترغب فى الإحتفاظ بها فى وقت السلم . ولكن هذه العمليات لم تكن حاسمة ، مهما كانت أهميتها ، فكان من اللازم ، ومن أجل أن تعترف حكومة الصين بهزيمتها . أن تقوم بتهديد بكين بطريق مباشر ، وعن طريق البر ، ولذلك فإن اليابانيين قاموا بهجوم فى منشوريا الجنوبية وهزموا الجيش الصينى ، يوم ٥ مارس ١٨٩٥ ، فى نيو تشانج ، إلى الجنوب الغربى من موكدن ، ثم قاموا بالتوغل فى إقليم جيهول ، وهددوا كينج تشيو ، بالقرب من خليج لياو هو .

وكانت حكومة الصين قد فهمت تماماً ، ومنذ شهر نوفمبر ١٨٩٤ ، أن الهزيمة كانت مؤكدة ، وكانت بعد أن حاولت ، وبدون جدوى ، أن تتصل باليابان عن طريق أحد الموظفين الأنجليز فى إدارة الجمارك ، قد حاولت أن تحصل على وساطة الدول العظمى الأوربية ، مع شدة خطورة إعطاء هذه الدول العظمى فرصة المطالبة "بتعويضات" عن الخدمات التى تؤديها ، ولكن الحكومات الأوربية كانت عاجزة عن الوصول إلى اتفاق فيما بينها ، ولما وجد بلاط بكين أنه لا يمكنه الإعتماد إلا على نفسه ، وأنه عاجز عن تقديم مقاومة فعالة للهجوم الذى كان اليابانيون يوجهونه ضد بكين ، إضطر إلى أن يقنع بطلب الصلح . وتم إرسال لى هونج تشانج ، ذلك الرجل الذى كان يمثل سياسة المصالحة ، والتنازلات ، إلى طوكيو ، حيث حصل فى ٣٠ مارس ١٨٩٥ ، على التوقيع على عقد هدنة ، وكانت الدبلوماسية اليابانية هى التى تسير مفاوضات الصلح : وفى ٤ أبريل ، أعلنت شروطها ، ورفضت أية مناقشة ، وقدمت إنذاراً فى يوم ١١ . وجاءت معاهدة سيمونوسيكى ، يوم ١٧ أبريل ، لكى تثبت إنتصارها .

ولقد تم إعلان أن كوريا "مستقلة" ، أى أن الصين قد تنازلت عن حقها في السيادة ، ولم يكن هذا يمثل بعد أمر الإعتراف بالتفوق اليابانى فى هذه المملكة وإن كان إحدى الخطوات المؤدية لهذه الحل .

وتنازلت الصين لليابان عن أراضى فورموزا ، وجزر بكادوريس ، وشبه جزيرة لياو تونج ، ووعدت بأن تدفع ، خلال ثمانية أعوام ، غرامة حربية تبلغ ٢٠٠ مليون تايل (ما يقرب من ٧٥٠ مليون فرنك) . وأن تترك للمنتصر وكضمان ، ميناء وى هاى وى ، حتى وقت دفع القسط الثانى من الغرامة . وهكذا إحتفظت اليابان بالسيطرة على خليج بى تشيلى . ولكنها وضعت أقدامها ولأول مرة ، بإستيلائها على شبه جزيرة لياو تونج ، على أرض القارة ، وفى موقع يسمح لها "بتطويق" الأراضى الكورية .

وحصلت اليابان "والتى لها منذ عام ١٨٧٥ معاهدة تجارة مع الصين ، على ميزات إقتصادية : فتح "مواني" جديدة فى وجه تجارتها ، وبخاصة ميناء تشونج كينج على نهر يانى تسى الأعلى ، والحق فى أن يكون لها فى "الموانى المفتوحة" ليس مجرد الحق فى إقامة المؤسسات التجارية ، بل وأيضاً حق إنشاء الورش الصناعية . حقيقة أن هذه الميزات كانت ستمنح للدول "الغربية" ، نتيجة لوجود مواد الدول الأكثر وداً ، ولكن اليابان سوف يصبح لها منذ ذلك الوقت ، نصيبها فى عملية إستغلال سوق الصين .

وكان إنتصار اليابان كاملا ، ولأقصى درجة ، وكان إيتو Ito رئيس الوزراء والذى كان يعرف أكثر من غيره من رجال الدولة اليابانيين ، الدول الأوربية ، يرغب فى أن يتراجع فى عملية ضم شبه جزيرة لياو تونج ، إذ أنه فهم أن اليابان كانت مهددة ، بوضع أقدامها على القارة ، بأن تثير قلق وتتسبب فى نشأة مقاومة ، ولكنه تراجع أمام إصرار هيئة أركان الحرب .

أما حكومة الإمبراطورية الصينية فإنها أصبحت مغلوبة على أمرها . وكان أمر عجزها عن مقاومة هجوم يابانى ، هو أمر كبير الخطورة ، ولم يكن من الصعب عليها

قياس نتائجه على مستقبل العلاقات الصينية اليابانية ، وكانت مهددة بخطر آخر ، فهذه الحرب ، التى أظهرت ضعف الامبراطورية ، ألن تتسبب فى تشجيع الأوربيين على التوسع فى مطالبهم ؟ وأعطت جريدة نورث تشينا هيرالد North China Herald ، والتى كانت تمثل مصالح الأجانب ، تحذيراً ، منذ شهر سبتمبر ١٨٩٥ : فإنها كانت الصين ، لا ترغب فى أن تحكم نفسها ، فهناك آخرون يقدرون على ذلك ، ويرغبون فيه" .

الصين ما بين الحربين العالميتين

إن الظروف التى عقبت سقوط إمبراطورية المانشو بالصين شديدة الشبه بتلك التى عقبت أفول نجم السلطة المغولية ببلاد الهند . وكان كل من أسرة المانشو والمغولى من الأجانب الذين أسسوا ملكية وطنية فى الأقطار التى فتحوها ، كما أنهم استولوا على مقاليد السلطان الفعلى فى دول بقارة آسيا فى مدة ذرعها مائتا سنة ، وهم يردون عنها كل عدوان يقوم به واغل أجنبى ، ويحدون من سلطات الشعوب البحرية فى التجارة المنقولة بحراً . وقد سقط كلاهما ، والمعروف أنه لسبب رئيسى هو الضغط الموجه إليهما من السواحل ، ذلك الضغط الذى أضعف مصادر قوتهما ، وقوض اقتصادهما الداخلى ، وأخيراً أزال الثقة منهما فى أعين شعبيهما . وتجلت فى النتائج المباشرة بكل من الصين والهند نقاط مشابهة عجيبة أيضاً. فقد حدث فى الصين مثل ما حدث بالهند أن بقيت بمركز الدولة سلطة اسمية تكفى لتمكين كل ظافر من القوات من الحصول على ألقاب شرعية تسوغ سلطانهم ولإضفاء شىء من الستر على عدوانهم على الآخرين . مثال ذلك أن حزب الأنفو بالصين كان له فى استخدامه سلطة بيكين نظير ومقابل هو الجنرال ماهداجى سكنديا قائد الماراثا الذى كان يدعى أنه ينفذ سلطات المغولى الأعظم ويحتفظ بحقوقه . وكما كان الحال بالهند ، كان نواب الملك بالولايات فى الصين ينصبون أنفسهم قواداً أعلين ، ويجمعون الضرائب وينشئون العلاقات بينهم وبين الدول

الأجنبية . وكان تشانج تسولن بمنشوريا من نفس طراز نظام الملك فى الدكن وأليفردهى خان فى البنغال ، هذا إلى العدد الكبير من السادة والقواد الذين كانوا يقيمون لأنفسهم الإدارات المحلية يوم تضعف قوة بيكين هم المعادل الصينى لأمير خان بندارا وچاسوانت راو هولكار ودوست محمد صاحب بهوپال .

ومع ذلك فقد كان هناك فارق بين الحالين . فبينما حدث بالهند أن ظهور قادة الحرب بعد انهيار الحكومة المركزية أدى بشركة الهند الشرقية إلى التغلب عليهم رويداً رويداً واحداً بعد الآخر . أو وضعهم تحت حمايتها حتى تأسس بهذه الطريقة سلطان البريطانيين بالهند ، فإن ظروف الفترة التى عقبت الحرب العظمى حالت هى وما استعر بين الدول من منافسات ، دون وقوع الصين فى نفس المصير . وكانت سياسة اليابان فى التوسع الأرضى بأرض القارة الأسيوية نفسها ، بإنشاء نظم حكم تابعة لها بمنشوريا وحكومات إقليمية تحت حمايتها فى الشمال ، كانت تتخذ من الفتح البريطانى للهند نموذجاً لها .

وكانت الأحداث السياسية ببلاد الصين بعد سقوط أسرة المانشو . فبعد سقوط أسرة المانشو فى ١٢ فبراير ١٩١٢ ، انتخب صن يات سن للرياسة المؤقتة ، إذ اجتمعت جمعية وطنية ثورية أنشئت على عجل فى نانكين وانتخبت صن يات سن رئيساً مؤقتاً للدولة ، ولكنه تقاعد تاركاً مقاليد الحكم ليوان شيه كاى ، الذى كان الحزب الإمبراطورى يعده حتى ذلك الحين مناط آماله المرجوة . وأعلن فى العاشر من مارس إنشاء دستور مؤقت له رئيس ونائب رئيس ومجلس قومى استشارى وبرلمان مشكل من مجلسين على الطريقة المألوفة المتبعة . وانعقد البرلمان بعد سنة ، ولكن نشأ بين الثوريين الذين كانوا الأغلبية بالمجلس وبين الرئيس الذى كانت له سلطات فعالة ، صراع مازال يشتد حتى جعل إدارة دفة الأمور فى الدولة من المحال . ولجأ يوان شيه كاى وقد نضب ما فى خزانة الدولة من مال ، وغلب العناد على رأس برلمانه ، إلى سلوك طريق سهل هو المفاوضة فى عقد

قـرض أجنبى على أمل أن يصـيب بسـهمـه هذا أمـرين : التـغلب على مـا يواجهـه من مصاعب داخليـة والحصول على المعاونة الدولية لإدارته . وكـانت تلك هى الفرصة التى كانـت الدول التوسـعية الإمبراطورية تـنتظرها . فإن الدول العظمى : بريطـانيا وفرنـسا والولايات المتحـدة وألمانيا والروسـيا واليابان ، أعلنت عن اسـتعدادها لتـكليف اتحاد من البنوك بتقديم القروض الضرورية على شريطة أن تعترف الصين إعترافاً صريحاً بأن لهن الحق دون سواهن فى تقديم جـميع القروض . وضمانا للقـرض ، طالبوا برهن ضرائب الملح التى رأوا أن يكلوا إدارتهـا إلى الجمـارك البـحرية التى كـان يشرف عليـها بالفـعل موظفون من الأجانب . غير أن الولايات المتحدة عادت فسحبت تأييدها لذلك الترتيب ، وذلك لأن الرئيس ولسن ، الذى كـان حديث العـهد بالانتـخاب برياسة البـيت الأبيض شعر بأن "شـروط القرض تبدو لدينا شيـئاً يكاد يمس الاستقـلال الإدارى للصين ذاتها" . ومع ذلك فإن قرض التنظيم البالغ قدره ٢٥ مـليوناً من الجنيهات ، قد طرح مع ذلك فى عواصم الدول الخـمس الأخرى وبفـضل ذلك المال تمكن يوان من إخمـاد ثورة عسكرية شبت بعـد ذلك بشهرين . وأمدت الشـورة يوان بحجة يستطيع بهـا محاكمـة المبرزين من أعضاء الحزب الشـورى . وبعد ذلك أصبح الطريق ممهداً أمام يوان شـيه كاى . وصدرت الأوامر بإجراء الانتخابات ، وانتخبه البرلمان الذى اجتمع نتيجة لها بأغلبية ضخمة رئيساً للدولة . وعندئذ لم يعد للدول سبب آخر يحملها على منع اعترافها .

وليس من الضرورى الخوض فى تفاصيل مناورات يـوان ، لتخليص نفسه من البرلمان أولا ولإجلاس نفـسه على العرش فيـما بعد . وقد بـلغ من اشتداد الشعـور الديمقراطى بالبـلاد أثناء السنوات الأربع التى انقـضت ، أنه وإن انتخب إمـبراطوراً وتسـمى بالاسم الملكى هنج هسـيان أو الدسـتورية الفـاخرة ، فإن ثـورة شبت بالبـلاد فاستلـزمت ارجاء اعتلائه العرش فعلا. على أن يوان نفسـه توفى بعد بضعة أشهر فى يونيه ١٩١٦ . وبموته استـولى قادة الحـرب على مـختلف الولايات ، وظلت الصين إحـدى عشـرة سنة بغـير حكومة مـركزية قوية إلـى يوم استطاع تشيـانج كاى شك إعادة تأسـيس السلطة القومـية

بالبلاد بعد حملته الشمالية . وكانت هناك حكومة إسمية فى بيكين تعيش على فائض إيرادات مصلحة الجمارك وضريبة الملح ، وهما تحت هيمنة الموظفين الأجانب . وليس من الغلو فى شيء أن يقال إن وحدة الصين لم يصنها فى ذلك الوقت الحرج إلا الهيئات الصينية المشتركة التى كانت تدير الجمارك والملح والمواصلات البريدية .

ولم يضع حداً لهذه الحال سوى الزحف المظفر الذى قام به الكومنتانج ، وهى منظمة أنشأها صن يات سن بعد انسحابه من بيكين . ذلك أن صن انسحب إلى طوكيو وأخذ يؤسس حزباً جديداً بعد أن خاب أمله وجرحت نفسه لما لقيه خصمه يوان من الأمم الأجنبية من تأييد ، وبخاصة تشجيعهم إياه فى شأن القرض على يد اتحاد المصرفيين . وفى تلك السنوات كان المثل الأعلى لديه هو اليابان ، التى كان يتلقى شيئاً من العون من رجال السياسة فيها . ولم تكن آراء صن عن اليابان فى ذلك الحين مشوبة بأقل شائبة من عدم المودة . قال "إن اليابان من أقوى دول العالم . وقد أقلع شعبها عما كان لها من انحيازات وهوى ، فقد تعلموا دروس الغرب وأصلحوا نظامهم الإدارى ، وأنشأ جيشاً وأسطولا ، ونظموا ماليتهم ، وفعلوا ذلك كله فى مدى خمسين عاماً" . ومع هذا فإن ذلك كان قبل أن يقع تحت مؤثر الثورة الروسية . وفى ١٩١٧ كان صن قد أنشأ "حكومة" مستقرة فى الجنوب . ولكنه لم يحصل على التأييد الكافى ، فالتجأ إلى المأمن الحريز وهو المستعمرة الدولية بشنغهاى . وقد أعلن صن يات سن فى تصريحه إلى الشعب الصينى المؤرخ فى ٢٥ يوليو ١٩١٩ عن يقينه بأن الشعب الروسى سيكون "الحليف والأخ الوحيد" للصينيين فى كفاحهم من أجل الحرية . وسرعان ما أنشئت العلاقات وبدىء فى الاتصال بلينين ، وفى ١٩٢٢ وفد أدولف جوف إلى الصين ممثلاً للحكومة السوفيتية والتقى بصن فى شنغهاى فى يناير ١٩٢٣ . وصدر إعلان مشترك نتيجة لمحادثاتهما ينطوى على تعهد بمعاونة السوفيت للصين . وبعد هذا الاتفاق عاد صن إلى كانتون وكان أول خطوة فعالة اتخذها ، أن أرسل تشيانج كاى شك إلى موسكو ليدرس تدريب الجيش الأحمر وتنظيمه العسكرى .

المقصود من الجيش الجديد الذى أنشىء أن يكون وسيلتهم إلى التوحيد القومى . والحقت به أيضاً هيئة للدعاية السياسية . وفى ١٩٢٤ عقد فى كانتون أول مؤتمر وطنى للكومنتانج . وكان من بين القرارات التى اتخذها قرارا بالسماح بانضمام الشيوعيين إلى الحزب . وقبل أن يبدأ الجيش الجديد زحفه للفتح توفى صن يات سن فى ١٩٢٥ . ولم تنقض ١٩٢٦ حتى كان حلف الكومنتانج والشيوعيين قد طهر الصين كلها ، جنوب نهر اليانجتسى ، من جميع قادة الحرب وهزم ووباى فو واستولى على هاتكاو ، وأصبح وجهاً لوجه أمام قوات المارشال صن تشوانج فانج ، الذى كان يهيمن على النطاق الساحلى العظيم . وأدرك المارشال صن خطر الحركة الجديدة على العسكريين ، فدعا لنصرته قوات جميع زملائه من أمراء الحرب ، ولكن فيض الحركة الوطنية اشتد وربا حتى التقمه هو وجيشه الوافر . وبذلك أصبح تشيانج كاى شك على أبواب شنغهاى رمز السلطان الأوربى فى منطقة المحيط الهادى .

هذه فكرة موجزة لاعطاء ضرورة عن علاقات الأمم الأوربية بالصين أثناء هذه الفترة ذات الأهمية الحيوية . وهناك من الناحية الأساسية حقيقتان لا مندوحة من تذكرهما ، **الأولى** : انقطاع كل أثر للحكومة المركزية القوية لمدة تزيد قليلا عن عشر سنوات أى من يوم وفاة يوان شيه كاى حتى تأسيس حكومة الكومنتانج فى نانكين فى ١٩٢٧ ؛ **والثانية** : القوة الهائلة وغير المتوقعة التى بدت فيها الحركة الشعبية ، التى استطاعت رغم ما اكتنفها من قلة النظام ورداءة القيادة والحرمان من كل برنامج فعال ذى أثر ، أن تبنى ما لدى الشعب من مدخرات القوى التى مكنت الكومنتانج من أن تزيل دولة أمراء الحرب كأنهم بيادق فى رقعة الشطرنج .

وقد نجح يوان شيه كاى وإن كان ذلك على حساب مكانته السياسية ، فى المفاوضات التى استطاع بها الحصول على خمسة وعشرين مليوناً من الجنيهات ، ولكن الزمن لم

وأدت شدة انشغال بريطانيا العظمى وفرنسا وألمانيا والروسيا فى ذلك المعترك الرهيب . إلى تركه وجهاً لوجه أمام اليابان . وكان طبيعياً أن يعد رجال السياسة اليابانيين تلك الحرب فرصة ذهبية أرسلتها العناية الإلهية لاستئصال النفوذ الأوربى من الصين ، ولتقف فى القارة الأسيوية بوصفها أعظم الدول قوة ومهابة . وكان بين يدى اليابان حجة قريبة المنال تستطيع التذرع بها . ففى يوم ٧ أغسطس طلب السفير البريطانى مساعدة اليابان فى تدمير السفن الألمانية فى المياه الصينية . ولم يُطلب إلى اليابان أن تقوم بإعلان كامل للحرب على ألمانيا ، ولكن اليابان نظرت إلى التزاماتها المنصوص عليها فى المعاهدة الإنجليزية اليابانية نظرة أسخى وأكرم ، فأعلنت الحرب على ألمانيا بعد إصدار إنذار نهائى كانت عباراته تذكر الناس بما فعلته ألمانيا بعد الحرب الكورية . وكانت المنطقة المباشرة للأعمال اليابانية هى الصين ، ومن ثم أقدمت اليابان دون أدنى مراعاة لحقوق الصين وبإغضاء من السلطات البريطانية على إنزال جندها على الأراضى الصينية حيث أدارت رحى حملة حربية قاسية لا هوادة فيها على منطقة كياوتشاو الألمانية . وبعد احتلال المنطقة الألمانية وبعد أن اختبرت اليابان مدى استعداد الحلفاء الغربيين للتدخل إزاء سياسة اليابان ببلاد الصين ، وجهت السلطات اليابانية التفاتها إلى الصين نفسها . وكان مستشارو الميكادو على إقتناع تام أن فرصة أخرى لحل المسألة الصينية "لن تسنح مرة ثانية فى مدة عدة مئات أخرى من السنين" . وأوضح المستشارون أيضاً أن "الظروف الحاضرة ببلاد الصين تساعد على تنفيذ تلك الخطة" . وظهرت الخطط التى عول عليها زعماء اليابان عند أول فرصة مناسبة .

وركزت الخطة فى واحد وعشرين مطلباً (قدمت إلى الرئيس يوان شيه كاى فى ١٨ يناير ١٩١٥) ، بعد أن فكرت فيها اليابان تفكيراً عميقاً ورمت من ورائها إلى تأكيد سبق المصالح اليابانية فى الصين على طول الزمان ، وإلى الاحتفاظ بمناطق معينة مثل شانتونج وفوكين الواقعة قبالة فرموزا كمناطق خاصة للنفوذ اليابانى ، وإلى وضع منشوريا

ومنغوليا الشرقية الداخلية تحت حماية اليابان الخاصة ، ولضمان الهيمنة على الإدارة البوليسية بالمناطق الهامة عن طريق الإدارة المشتركة ، إلى غير ذلك . وهى التى كانت تتضمن أيضاً إرسال مبشرين بوذيين إلى الصين ، إلا أن يكون الهدف من سردها تأكيد أن اليابان كانت مخطئة فى اعتقادها أن الظروف الداخلية بالصين بما كان ينوش مركز يوان من التحدى من كل جانب وبسبب حرمان الصين من كل حكومة مركزية ، كان يضعها تحت رحمة اليابان تماماً ، خاصة وأن بريطانيا وإن لم توافق على تصرف اليابان لم تكن فى مركز يسمح لها بالتدخل كما أن أمريكا لم تكن إلا لتحتج دون أن تتدخل . فلما أن تسربت طبيعة المطالب إلى صحافة العالم وشاع خبرها وذاع على الرغم من السرية التامة التى أصرت اليابان على إحاطتها بها ، تجلى فى عواصم الحلفاء شعور بالقلق . ولكن الصين أبدت عزماً وثباتاً غير متوقعين . وكانت ليوان شبيه كاى نظرة صافية مستشفة لسياسة اليابان منذ كان يشغل وظيفة المندوب السامى فى كوريا ولكنه كان يعرف أنه لا يستطيع أن يعتمد على التأييد الفعال للدول . ورغم ذلك فقد أظهر فى إدارة دفة المفاوضات براعة فاق بها اليابانيين . وعندئذ عرفت طوكيو حكمة دفع الرأى العام البريطانى والأمريكى إلى التزام الحياد . ذلك أن المصالح البريطانية بالصين ظلت أحلا طويلاً ممسكة بزمام قصب السبق والتفوق ، ولذا لم تأل وزارة الخارجية بلندن والسفير البريطانى فى طوكيو جهداً فى تقديم المذكرات للحفاظ على المصالح البريطانية، إن لم يكن للمحافظة على استقلال الصين . ولكن أخيراً نصح السير إدوارد جراى فى ٧ مايو للحكومة الصينية رسمياً بقبول طلبات اليابان . ولم يكن موقف أمريكا من الأمر كله يقل غرابة . ففى وقت مبكر يرجع إلى ١٣ مارس ١٩١٥ ، وافق وليم جننجس بريان وزير خارجية الرئيس ولسن ، بعد إبدائه تحفظات شكلية منوعة حول مطالب اليابان فى شانتونج ومنشوريا ، على أن "الولايات المتحدة تعترف بأن التجاور الإقليمى يولد علاقات خاصة بين اليابان وتلك الأصقاع" . وربما أمكن القول بأن هذه التأكيدات تسجل نهاية سلطان الأوربيين المعنوى بالصين ، وذلك لأن بريطانيا

وأمريكا لم تستردا بعد ذلك مطلقاً المركز الذى كانتا تتبوآنه بعد أن وافقتا بغير احتياط على مطالب اليابان ، حيث بلغ الأمر بالأولى أن نصحت للصين أن تقبل شروط اليابان ، وحيث اعترفت الثانية بالعلاقات الخاصة التي تربط اليابان بشمال الصين .

بذلك تقوى مركز اليابان الديبلوماسى تماماً . فأحست بأنه قد آن لها أن تفرض على الرئيس يوان التسوية التى ترتضيها . ففى ٧ مايو وجهت اليابان إلى الصين إنذاراً نهائياً تطلب به منها إجابة قاطعة عن مجموعة الطلبات بأكملها . ولم تر حكومة بكين بدا من الموافقة . ففى ٢٥ مايو وقعت حكومة الرئيس يوان معاهدتين وثلاثة عشر مذكرة متبادلة، كان من شأنها - على الورق على الأقل - أن تنزل الصين منزلة المحمية اليابانية . وأحس وزير الخارجية الأمريكية أنه قد استغفل ، فأبلغ كلا من الحكومتين أن أمريكا لا تستطيع الاعتراف بأى اتفاقية تضر بالحقوق التى ضمنتها المعاهدات أو تمس سلامة أراضى جمهورية الصين . بيد أن اليابان تجاهلت هذا التحفظ .

وصدق على المعاهدتين كل من إمبراطور اليابان ورئيس الصين ، ولكن لما كان الدستور الصينى ينص على ضرورة تصديق البرلمان على المعاهدة ، فقد أجمعت الصين بجميع هيئاتها على اعتبار هذه المعاهدة باطلة وغير ملزمة للحكومة الصينية . وتاريخ العلاقات الصينية اليابانية من ١٩١٥ حتى إعلان الحرب بين الدولتين بعد ذلك بإحدى وعشرين سنه لا يخرج عن تعليق مستديم على هذه المطالب ، وعن محاولة قامت بها اليابان لتنفيذ الأسبقية والتفوق الذى كانت تدعى أن المعاهدات والاتفاقيات تخوله لها ، ولا يخرج عن جهد للصين لا يقل قوة عزم عن جهد خصمها لمقاومة كل طلب بكل وسيلة أوتيتها . وكان إخفاق السياسة اليابانية النهائى والحاسم ، ذلك الإخفاق الذى أفضى إلى تسليم قواتها بالصين وتخليها عن أرصدتها الرأسمالية بالصين فضلاً عن طردها من منشوريا ، يرجع قبل كل شىء إلى نمو القوى الديمقراطية التى مكنت الصين من شن حرب دفاعية أمد ثمان سنوات . ولم تكن الغلطة التى اقترفتها اليابان أنها أساءت تقدير معارضة الشعوب الأوربية التى أحست إحساساً

صادقاً أنها لن تحارب من أجل المحافظة على استقلال الصين ، بل إنها لم يمكنها أن تتنبأ أن الثورة كانت لها قوات طليقة ذات بأس لا سبيل إلى تقديره ، وأن ضعف الصين الذى يمثله يوان وأمراء الحرب الذين خلفوه ليس الدليل الحق على الموقف الذى أخذ يتطور داخل البلاد .

وكانت سياسة اليابان بآسيا كانت مصابة بتناقض جوهرى . فقد كان همها الأول إبعاد السلطان الأوربى عن آسيا إبعاداً كانت تحظى فيه بكل تأييد وعطف من الشعوب الآسوية . وإلى جوار تلك السياسة كانت الصين أيضاً تلميذاً نجيباً للدول العظمى فى سياستهم التوسعية ، كما أن نشر "الطريق الإمبراطوري" على البلاد كان يلوح لديها رسالة مقدسة . وقامت اليابان بدراسة طرائق البريطانيين ببلاد الهند ، فأوحت إليها بالتسلط على موارد الصين الهائلة ، بواسطة القوة الحربية والحكم غير المباشر - ونسيت اليابان أن الظروف قد تغيرت فى القرن العشرين - وعولت على الاستفادة من الموقف الدولى لكى تنفذ خطة تخلق بها شبيهاً جديداً بالهند تقيمه ببلاد الصين الشمالية على الأرض . ودفعت بها نزوة التسلط الإمبراطورى إلى طريق الهلكة ، وهو أمر ترامى بعد ثلاثين عاماً ضاعت عبثاً فى جهد جبار يفوق كل طاقة بشرية ، إلى إفقادها المركز الذى تذرعت بأجمل الصبر فى تشييده وانتهى الأمر بأن وضع شعبها المتكبر تحت لواء الاحتلال الأجنبى .

وأعلنت الصين الحرب على دول وسط أوروبا مخالفة بذلك رغبة اليابان ، التى دعتها اعتبارات "مصالحها العليا السياسية والاقتصادية بالصين" إلى رفض أن تشترك فى المذكرة التى قدمها الحلفاء إلى الصين لقطع علاقاتها مع ألمانيا ، وأدى موقف اليابان ذاك إلى تبادل الرأى مع الحكومة الأمريكية تبادلاً تمخض عن عقد اتفاقية لا نسنج إيشى ، التى أعادت بها الولايات المتحدة حق اليابان فى أن تكون لها "علاقات خاصة بالنظر إلى الجوار الإقليمى" - و "مصالحها الخاصة بالصين" ، على حين أن اليابان وافقت من جانبها

على أن تؤيد السيادة الإقليمية لجارتها سليمة غير ممسوسة . ومع ذلك كانت مشاركة الصين في الحرب نجاحاً سياسياً لبيكين له شيء من الأهمية ، وذلك لأن تلك المشاركة أتاحت أن يكون لها صوت في تسوية الصلح .

وفي مؤتمر فرساي مثل الصين أولا وانج تشنج تنج (ت . ت . وانج) ثم ولنجتون كوو وألفريد سزى . ومع أن كلمة البلاد كانت متفرقة ، فإن المتكلمين بلسان الصين بالمؤتمر كانوا يعبرون عن وجهة نظر واحدة ، هدفها استرداد استقلال الصين التام . وكانت الصين في مركز عسير وذلك لأن بريطانيا وفرنسا وإيطاليا وافقت بالفعل على احتفاظ اليابان بحقوق ألمانيا في شانتونج . ولكن أمريكا وقفت في هذه النقطة موقف المتشدد العنيد لأن نظريتها في الاستعمار المجرد من المطامع الإقليمية كانت ترى في احتياز الأراضي خروجاً عن جادة الخلق الكريم - وعندئذ عادت الديبلوماسية اليابانية فأحرزت نصراً سريعاً زواله ، وذلك لأن مؤتمر الصلح نقل إلى اليابان جميع حقوق ألمانيا بشانتونج مقابل مجرد وعود شفوية من جانبها - وعندئذ رفض مندوبو الصين التوقيع على معاهدة فرساي .

وأثارت معاهدة فرساي اضطراباً عاماً في الشعب من نوع لم تشهده الصين من قبل . وتزعم الحركة طلبة بيكين الذين قاموا في ٤ مايو ١٩١٩ بمظاهرة عظمى وحاصروا منزل وزير يميل إلى اليابان . وانقضى أكثر من أسبوع والعاصمة في حالة من الهياج العنيف الذي لم يخل من الحوادث الدامية بين المتظاهرين والسلطات ، وهي حالة شبهها رئيس جامعة بيكين "بالكفاح بين الطوفان والوحش" . وكان عطف الشعب على الطلاب من شدة الوضوح بحيث أدركت الحكومة أن قوة جديدة قد قامت في البلاد ، فلم تتردد في طرد الوزير المثير لحنق الناس طرداً علنياً . وتعالت في البلاد من أقصاها إلى أقصاها صيحة تنادي بمقاطعة البضائع اليابانية . والحق إن المعارضة لليابان انتقلت من الحكومة إلى الأهالي .

وفى تلك الأثناء عقد مؤتمر واشنطون لتحديد السلاح البحرى بالمحيط الهادى . ومع أن الصينيين لم يكن لهم إلا مصلحة مباشرة صغيرة فى مسألة الأسلحة البحرية ، إلا أن موضوع شانتونج كان من المسائل الكبرى التى تؤثر فى المحيط الباسيفيكى ، وكانت موضوع معاهدة خاصة خارج المؤتمر - وبفضل ضغط أمريكا ونتيجة لإصرار المفاوض الصينى ، عقدت تسوية ردت بمقتضاها إلى الصين الأراضى التى كانت ممنوحة لألمانيا مقابل دفع تعويض محدد . وفى ١٧ ديسمبر ١٩٢٢ غادر جنود اليابان شانتونج ونقلت ملكية خط سكة حديد كياو تشاو تسينان ، وكان ذلك أول نصر ديبلوماسى أحرزته الصين ، كان أول تراجع صُك به أرباب الامتياز وأول تقهقر علنى أصيب به العدوان اليابانى - وقد أحرزته الصين وهى بعد منقسمة على نفسها وحكومتها المركزية فى حالة من العجز التام لا تحسد عليها .

وفضلاً عن هذه النتيجة المحددة ، أثار الوفد الصينى برياسة الفريد سزى أمام المؤتمر ، وفى صورة عشر مبادىء عامة مطالبة الصين بإعادة سيادتها تامة غير منقوصة بإلغاء كل قيد يحد من سلطتها القضائية واستقلالها فى تعريفتها الجمركية ، وإلغاء كل امتياز خاص تدعيه الدول لنفسها - والحق إن مؤتمر واشنطون كان أول منبر دولى تقدمت فيه الصين ببسالة وإقدام ووقفت موقف المتهم لدول التوسع الإمبراطورى وأوقفت الدول العظمى موقف الدفاع . ومن عجب أن أحداً لم يتقدم للدفاع عن تلك "الحقوق" . بل إن اليابان نفسها أنكرت بلسان مندوبها البارون كاتو ، أن لها أية رغبة فى التوسع الإقليمى ، على حين لم تستطع فرنسا أن تنبس إلا بملحوظة واحدة ، وقد خامرت لها بعض المخاوف حول تونكين ، ملحوظة أرسلتها حول ما للصين من تخوم غير محدودة . ورد ولنجتون كوو على هذا الرأى العجيب مؤكداً أن : "حدود الجمهورية الصينية موضحة فى دستورها" وأن وفده لن يبحث هذه المسألة .

ووافق المؤتمر أيضاً على معاهدة بين الدول التسع جميعاً تتعلق بالمبادىء والسياسات التى ينبغى اتخاذها حيال الصين . وبمقتضى المادة الأولى من هذه المعاهدة ، التى أسست

على ما كان يعرف باسم قرار روت ، نسبة إلى إليهو روت الذى وضع مشروعه ، وافقت الدول المختصة على صيانة سيادة الصين واستقلالها وسلامة أراضيها وإدارتها ؛ وعلى مساعدة الصين على المحافظة على حكومتها قوية وثابتة والتطور بها ؛ وعلى استخدام نفوذهن جميعاً فى سبيل نصرة مبدأ تكافؤ الفرص أمام صناعة الدول كلها وتجارتها ، وعلى التعهد بعدم التماس أية حقوق خاصة ولا امتيازات تؤدى إلى الاقتضاب من حقوق الدول الأخرى .

وكان المقصود من هذه الاشتراطات لم يكن مصلحة الصين بقدر ما كان صيانة الحقوق التجارية والاقتصادية للشعوب الأجنبية من أن تغتالها اليابان ، وأن الفقرة التى تدور حول السيادة والاستقلال الإدارى كان المقصود منها الحيلولة دون تنفيذ سياسة المطالب الإحدى والعشرين . وأحكمت المعاهدة تفصيل حظر الحقوق الخاصة ودوائر النفوذ ، كما حاولت أن تحصل للدول فرصة للتجارة غير المحددة . كانت محاولة من الدول الغربية مجتمعة لكى تصون مصالحها . وعلى الرغم من أن الدافع الأساسى لذلك كان دافعاً أنانياً ، إلا أن الصين قد خرجت من ذلك بمكسبين جوهريين . أولهما أنها قضت على المطالب الإحدى والعشرين وواريتها التراب . وثانيهما ، أنه حتى مع مراعاة مدعيات الأمم الغربية ، كان واضحاً أن المعاهدة لم تكن إلا عملا دفاعياً ، يحاول أن يصون ما يمكن صيانته ، ولم تكن عدواناً جديداً على حقوق الصين .

ونجحت الصين أيضاً فى أن تعرض فى المؤتمر المسائل المتعلقة باستقلالها فى تعريفتها الجمركية ، ومكاتب البريد الأجنبى وتشريع الامتيازات الأجنبية – وما من شىء هو أدل على تغير مركز الدول الغربية نتيجة للحرب العظمى ، من موقف الدول إزاء تلكم المطالب التى قدمها ممثلو دولة لم يكن لها فى ذلك الزمن حتى مجرد حكومة مركزية فعالة . ولم تعترض دولة واحدة على مطالبة ولنجتون كوو باستقلال بلاده وحرية تصرفها فى التعريفة الجمركية . وإن استقلال الصين وحرية تصرفها فى تعريفتها

الجمركيـة وإن لم يشر إليها أحد ، إلا أن الدول وافقت على دعوة مـؤتمر يلتئم بشنغهاى لبحث المسألة من أولها لآخرها . وكان القرار الخاص بالوكالات البريدية بالصين يعترف بعدالة الرغبة التى عبرت عنها الحكومة الصيـنية ابتغاء إلغاء الوكالات البريدية الأجنبية ، ووافقت الدول المختصة بشروط معينة على التخلى عن ذلك الامتياز فى موعد لا يتجاوز أول يناير ١٩٢٣ .

وفوق هـذا ، أثارت الصين عدداً آخـر من المسائل ، كـان بينها مـركز المناطق المـؤجرة والمركز الخـاص لليابان بسكك حديـد منشوريا إلخ ، لا لأن أملا جـدياً فى تسويتهـا قد خـامرها بل بقـصد طرحـها على بسـاط البحـث . ومع أن المؤتمرين لـم يتخـذوا فى تلك المسـائل قـراراً موائماً للصين ، فإن نفس إثـارة هذه المسائل وبحثهـا فى مؤتمر دولى وضع الدول التى تستمـتع فى الصين بحقوق خاصـة فى موضع الدفاع ، ومهد السـبيل لنجاح حكومـة الكومنتـانج فى المطالبـة بتلك الحـقوق قـبل انقـضاء عـدة سـنوات - بل حـتى الحصول عليها إلى حد كبير .

من أجل ذلك كان مؤتمر واشنـطون أول مسرح خطير تراجعت فـيه الأمم الأوروبية ، ولذا ينبـغى أن لا تفوتنا أهمـيته فى تطور الأحـداث التاليـة . أجل إن مسـألة واحدة من المسائل المتعلقة بسـيادة الصين لم تلق فيها إضاءاً مباشراً ؛ فـفى حالة اليابان أصر مندوبو تلك الدولة بصورة أوشكت أن تصبح علنية على مركزهـم فيما يتعلق بمنشوريا وبمنغوليا الشرقية الداخلية . ولكن كان من الواضح إلى حد كاف أن مركز الصين الديبلوماسى قد تحسن تحسناً عـظيماً ، وأن مقاومـة مطالبها ستنقص بنفس نسـبة نمو سلطتها فى شـئونها الداخلية . وزاد مركز الصين تحسناً لما تم بعد مؤتمر واشنطون من إلغاء المعاهدة البريطانية اليابانـية ، التى مكنت اليـابان فى الماضى من حراسـة جناحها الـديبلوماسى فى عـدوانها الأول . وكان لما أظهرته الولايات المتحدة على الملأ من عدم ثقـة فى السياسة اليابانية بعد الحرب ، الفضل أيضاً فى استرداد الصين لمركز استطاعت منه أن تبرز حقوقها .

وبعد ذلك لم يكن يخشى على الصين من أن تتمزق أو أن تتفرق كلمتها ، فإن قوة الحركة القومية النامية أصبحت ملموسة بجلاء ، حتى بينما لم يبرح أمراء الحرب المتنافسون يؤججون فيما بينهم ضرام حروب متقطعة . وكان التطور الهام التالى الذى نالته الصين هو الصداقة التى كان الاتحاد السوفييتى يظهرها نحوها . ففى نوفمبر ١٩٢٢ ظهرت جمهورية الشرق الأقصى بالاتحاد السوفييتى ، وعادت إلى أراضى السوفييت سلامتها وتكاملها الإقليمى . وأظهرت الحكومة البلشفية عطفاً ملحوظاً على الصينيين منذ البداية ، ومنذ ١٩٢٣ ، أى بعد عودة مركزها بسيبيريا إلى سابق عهده ، شرعت تهتم اهتماماً ناشطاً بشئون الصين . وقد سبق أن عرفنا أن بعثة أدولف جوف إلى الصين واتفاقه مع صن يات سن . ولم تكن الأمم الغربية تعلق على صن يات والكومنتانج إلا قدراً قليلاً من الأهمية ، بل كانوا يعتقدون أن قواد الصين الأبرز منه هم الذين يمارسون السلطة الحقة ببلاد الصين . ولكن السوفييت كانوا أعلم منهم بحقيقة الأمر . كانوا يعلمون أن لن يكون للجنرالات وزن عندما تبرز القومية المنظمة نفسها ، وبناء على ذلك بينما كان السوفييت يواصلون المفاوضات من الناحية الفنية الرسمية مع سلطان پيكين ، كانوا ينمون أيضاً علاقاتهم السياسية مع الكومنتانج . وبمقتضى الاتفاقات التى توصل إليها قره خان مع وزارة الخارجية فى پيكين ، تخلت الحكومة الروسية عن مناطق الامتياز وتنازلت عن الامتيازات الأجنبية القضائية ، وبذلك قوت مركز الصينيين فيما يتعلق بتلك المسائل المتشاحن عليها مع الدول الغربية .

وقد تجلت قوة الصين النامية تجلياً مدهشاً أثناء الاضطرابات التى عقبت حادثة ٣٠ مايو ١٩٢٥ بشنغهاى ، يوم أطلق بوليس منطقة الامتياز تلك ، النار على بعض الطلبة المتظاهرين . وانتقل الاضطراب إلى مدن الموانىء جميعاً ، وخاصة إلى كانتون حيث أطلق الجند البريطانيون النار على المتظاهرين الصينيين ، وانتقم الصينيون لأنفسهم بضربهم حصاراً قوى الأثر على هونج كونج وبمقاطعتهم للبضائع البريطانية . ذلك أن منظمة النقابات عند الصينيين كانت فى جميع الأحوال تستطيع أن تجعل أية مقاطعة فعالة الأثر . فإذا نفخت عليها حماسة القومية بأنفاسها الحارة صارت سلاحاً مشحوذاً

قوياً . وفيما يتعلق بحصار هونج كونج ، فإن موقعها وغلبة العنصر الصينى على سكانها واعتمادها آنذاك على أرض أمها الصين حتى فيما يتعلق باللوازم الضرورية ، جعلها هدفاً مثالياً لهذا النوع من الضغط - وفرض على المستعمرة مدة تربى على سنة كاملة حصاراً لا نظير له فى قوة المفعول .

والشىء الذى كانت له دلالته آنذاك إلى أقصى حد ، هو أنه على الرغم من ذلك الحصار الذى ضرب حول هونج كونج ، ومن مقاطعة البضائع البريطانية ومن الدعاية الشديدة ضد بريطانيا ، لم يوجه أحد إلى الصينيين أى انتقام فعال . فقبل ١٩١٤ كانت مثل هذه المظاهرات تقابل بزوارق المدفعية ؛ وكانت تقابل قبل الثورة بتهديد البلوط الإمبراطورى بأشد أنواع العقوبات - ولكن فى ١٩٢٥ ، يوم كانت هذه الأعمال العلنية العداء لبريطانيا تحدث اشتركت بريطانيا فى المؤتمر المنعقد فى بيكين للوصول إلى وسائل تساعد على إعادة استقلال الصين فى تعريفتها الجمركية إلى نصابه . لقد تحول التقهقر إلى تشتت . واجتمعت بشنغهاى لجنة مراجعة التعريفة ، لإعادة النظر فى جدول الرسوم الجمركية لكى تعد تعريفة قوية رسمها خمسة فى المئة التماساً لمصلحة الإيراد الصينى . ومع ذلك ، فإن مؤتمر ١٩٢٥ قد التأم شمله بقصد إرجاع سلطان الصين فى هذه الناحية . واجتمع المؤتمر بكامل هيئته فى بيكين فى أكتوبر ١٩٢٥ . وكان مطلب ت. ت. وانج كبير المندوبين الصينيين بسيطاً جداً : وهو إزالة جميع القيود المفروضة على التعريفة فى موعد غايته يناير ١٩٢٩ . واتفقت الدول على ذلك المطلب "من حيث المبدأ" ، ثم عادت فيما بعد فقبلته "قراراً ملزماً" . واتخذ أيضاً قرار تم فيه الاتفاق على أن نسبة الرسوم المتفق عليها فى واشنطون ينبغى تنفيذها دون إبطاء .

واجتمعت لجنة فى بيكين لبحث مسألة الامتيازات القضائية تمشياً مع قرار مؤتمر واشنطون . على أن الوطنيين بكانتون كانوا يرون أن هذه مسألة لا يجوز التباحث فيها ، وأن الدول بمحاولاتها البحث فى طريقة عمل المحاكم بالصين ، إنما تنكر بذلك على الصين سيادتها . وأعدت لجنة الامتيازات القضائية تقريراً عن موضوعها . وليس كمثل ذلك التقرير (الذى صدر فى ١٩٢٧) دليل على حماقة من سطروا تلك الوثيقة من

جماعة الخبراء المدعين العلم بالصين . كان صحيحاً فى كل شىء عدا شيئاً واحداً - هو الحقائق الجوهرية الناهضة فى موقف الصين . وقد عرض الامتيازات القضائية عرضاً تاريخياً ، وبحثت فيه نظم الصين القانونية بحثاً مفرغاً فى قالب الحكمة والعلم الغزير ، ولكنها لجنة لم تحس حتى وهى فى ١٩٢٧ أن ثورة قد شبت بالصين . من أجل ذلك راحت اللجنة فى جو من الرعاية الأبوية والتعالى ، تنصح بعمل سلسلة من الإصلاحات . فإذا نفذت تلك الإصلاحات : "اطمأنت الدول المختلفة إلى التخلى عن حقوقها فى الامتيازات القضائية" .

وفى الحين نفسه ظهرت فى الصين حكومة قومية لم تكن مستعدة بأى حال لتقبل المركز الخاص الذى كان للأجانب بالصين . واصطدمت القوات الوطنية بالنزلاء الأجانب فى نانكين وغيرها من مناطق نهر اليانجتسى ، وأظهر موقف الوطنيين بأجمعه إصراراً وعزماً أكيداً على القضاء على تلك المسائل بالقوة فوراً ؛ ولكن بعد الشقاق الذى حدث بين تشيانج كاى شك وعناصر الجناح اليسارى وبعد تحول الثورة إلى دولة قومية متحررة (١٩٢٧ - ١٩٣٦) ، داخل تصرفاتها شىء من الحذر . وينبغى ألا يدفعنا سجل أعمال الكومنتانج فيما بعد أن ننسى أعماله العظيمة فى السنوات العشر الأولى من توليته الحكم ، وبخاصة فى فلك استرداد الصين . ولما كانت هذه المسائل تمس التاريخ العصرى ، فكل ما نستطيعه هنا هو أن نلخصها دون الدخول فى أية مناقشة لها .

وقد أثر نقل العاصمة إلى نانكين نفسها أثراً بليغاً فى مركز الدول . إذ لم يكن بتلك الحى للسفارات" بما له من ترتيبات خاصة تتعلق بحاميته وشرطته والدفاع عنه . وقد اختفت عن الأنظار بين عشية وضحاها بهذه الفعلة الوحيدة الحدائق والقصور الهائلة وكل ما للهيبة والمكانة من مظاهر خلابة . وفى ١٩٢٨ اعترفت جميع الدول عدا اليابان بحرية التصرف للصين واستقلالها فى تعريفتها الجمركية متخذة إزاءها فقط - الشرط المعتاد شرط المعاملة التى لا تمييز فيها والدولة الأفضل ، لكل دولة منها : ووافقت بعض الدول وأخصها بالذكر إيطاليا وأسبانيا والبرتغال - من حيث المبدأ - على أن يدفع رعاياها الضرائب . ثم طرحت على بساط البحث أيضاً مسألة إعادة النظر فى المعاهدة

مع اليابان . واعترفت اليابان فى آخر لحظة بالتعريفات الجمركية المعدلة ، ولكنها عقدت مع الصين معاهدة منفصلة فى ٦ مايو ١٩٣٠ ، وهى معاهدة ضمنت مصالحها التجارية لمدة ثلاث سنوات بمقتضى ميثاق متبادل .

ثم تناولت الحكومة الوطنية أيضاً فى الوقت نفسه المسألة الأكثر صعوبة ، وهى مسألة الامتيازات القضائية . وفى ٢٧ أبريل ١٩٢٩ ، وجهت الحكومة الصينية مذكرات متماثلة إلى الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا تطالب فيها "بإزالة جميع القيود المفروضة على سيادة الصين فى أقرب وقت ممكن" . وعندئذ اتخذت الدول الثلاث رسمياً قراراً بالمطالبة بضرورة العمل بما نصحت به لجنة ١٩٢٦ ، التى لم تشترك فيها الحكومة الوطنية ، - لكى يتيسر لتلك الدول النزول عن حقوقها . ولم تكتف الحكومة الصينية بالمنازعة فى هذا الوضع ، بل قدمته إلى عصبة الأمم بناء على الفقرة التى تنص على أن لتلك الهيئة الحق أن تقدم النصح فى المعاهدات التى لم تعد قابلة للتطبيق . وفى ٢٨ ديسمبر ١٩٢٩ ، أصدرت الحكومة أمراً ينص على تطبيق قوانينها على جميع رعايا الأمم الأجنبية المقيمين بأرض الصين ابتداء من أول يناير ١٩٣٠ ، مبدية فى نفس الحين استعدادها للتباحث مع الدول فى أية مذكرة قد ترغب فى تقديمها إليها . وكان جواب الدول أنها ترغب "فى أن يعد أول يناير ١٩٣٠ التاريخ الذى تبدأ فيه من حيث المبدأ عملية الإلغاء التدريجى للامتيازات القضائية" .

وفى أثناء هذه المدة أيضاً تمكنت حكومة نانكين من استرداد مناطق الامتياز الأجنبى بها نكاو وكوكيانج وتشنكيانج وأموى . واستردت أيضاً واى هاى واى . وفيما عدا مناطق الامتياز الدولية بشنغهاى وتيان تسن والحكم الخاص المقام فى منطقة السفارات ببيكين ، تكون الصين قد حصلت على انسحاب السلطات الغربية من أرضها القارية . ولكن حال الموقف المنذر بالخطر الذى أخذ يتطور بينها وبين اليابان فى الشمال دون تناول المسألتين الكبيرتين الباقيتين لديها : وهما استخدام السفن الأجنبية للطرق المائية الصينية ، بما فى ذلك مرور السفن الحربية بنهر اليانجتسى ، ومناطق الامتياز الدولية

والوطنية ، والمسألة الثانية ، هي إلغاء الامتيازات القضائية إلغاء تاماً . وعلاقات اليابان مع الصين لا تدخل بالضبط داخل مجال هذه الدراسة ، إلا من حيث تأثيرها في علاقة كل منهما بالغرب . وموجز القول أن تدخل اليابان في منشوريا في ١٩٣١ ، جعل تشيانج يلتمس العون من دول الغرب ، ومن ثم فقد اضطر إلى حين أن يلين من موقف العداء الذي اتخذه الكومنتانج بغير هوادة منذ ١٩٢٤ وأن يبدأ سياسة من التعاون مع أوربا .

وفي الفترة بين ١٩٢٧ و ١٩٣٠ ، يوم كانت حكومة نانكين القومية تتفاوض في شأن المعاهدات مع الحكومات الأجنبية ، كانت وحدة الهيمنة التي كانت تدعيها لنفسها على الصين اسمية أكثر منها واقعية . وكان تشانج تسولن هو المهيمن المتصرف فعلاً في منشوريا حتى وفاته في ١٩٢٨ ، واتبع ولده الماريشال الصغير فترة من الزمن سياسة تميل لليابان وتناهض الروسيا . وكان فنج يوهسيانج "الجنرال المسيحي" وين هسي شان أمير الحرب في شانسي ، قد رفضا الخضوع لسلطان نانكين ، واستطاعا بمساعدة أمراء حرب صغار كانوا يرون مقاليد سلطاتهم تفلت من أيديهم ، أن يكونا حكومة في الشمال . وتمكن تشيانج بعد حملة دامت ستة أشهر من تشتيت شمل جيوش العصاة ، وساعده في ذلك مساعدة رئيسية حاسمة انضمام تشانج هسويه ليانج "الماريشال الصغير" إلى جانب الوطنيين . ولم يقم الماريشال الصغير فقط بانقاذ نانكين ، بل يظهر أنه أدرك أن مداومة التمسك بسياسة استقلال منشوريا لم تعد بعد ذلك من الأمور الممكنة ، ولذا فقد أملت عليه الوطنية والحكمة أن يضع تلك المنطقة الحيوية الأهمية تحت سلطان الحكومة المركزية . وكان دخول تشانج حسوية ليانج في حزب الكومنتانج في ٩ أكتوبر ١٩٣٠ ، وهو أسطع برهان على توحيد الصين وتقبله لسلطان حكومة نانكين عليه وعلى المنطق التاريخية القديمة ، حدثاً لا تستطيع اليابان تجاهله ولا السكوت عليه . وكان ردها على ذلك هو غزو منشوريا . وهو ما سنعرضه عند الحديث عن اليابان .

سيطرة الجيش الأحمر على بكين

دون الدخول فى تفاصيل التحركات العسكرية للجيش الأحمر فاجمالا فى ربيع ١٩٤٨ ، تمكن الجيش الأحمر من غزو مقاطعة ينان وأصبح منذ ذلك الوقت قادراً على أن يغير من طريقة حرب العصابات إلى محاصرة المدن الكبرى ، وإلى النزول إلى معارك بصفوف منظمة ، وتمكن من القيام بعمليتين هجوميتين حاسمتين : عملية منشوريا (سبتمبر - نوفمبر ١٩٤٨) ومعركة هواى هاى (نوفمبر ١٩٤٨ - يناير ١٩٤٩) بين النهر الأصفر وبين يانج تسى كيانج ، وفى سهل مكشوف ، يمر فيه ، علاوة على القناة ، نهر هواى وخط سكة حديدية . وضمن الإنتصار فى هاتين العمليتين للشيوعيين ماكان ينقصهم المقاتلون ، وتسليح يتفوق على تسليح خصومهم . ومنذ ذلك الوقت ، تمكن الجيش الأحمر من أن ينهى ، وبدون صعوبة كبيرة ، عملية الغزو ، والتى لم تعطلها بعد ذلك سوى المفاوضات الفاشلة ، وإتساع الأقاليم التى كان عليه أن يحتلها . ووصل الجيش الأحمر إلى بكين فى شهر يناير ١٩٤٩ ، وإحتل نانكين فى شهر أبريل ، وشنغهاى فى شهر مايو ، وكانتون فى شهر أكتوبر . وفى ذلك الوقت ، وبينما كانت هناك بعض الأقاليم لا تزال تحتاج إلى تنظيف فى الجنوب الغربى من البلاد ، أرتفع العلم الأحمر على بكين ، وحيث تكونت الجمهورية الشعبية ، وأعلنت فى أول أكتوبر ١٩٤٩ .

وساعدت عدم مقدرة القيادة العليا للوطنيين ، وعملية إبعاد ، ولأسباب سياسية ، بعض الجنرالات ممن لهم قيمة ، والتدخلات الشخصية للقائد العام تشانج كاى شيك ، الذى عمل على أن يسير من عاصمته العمليات العسكرية البعيدة عنه بمئات الكيلومترات ، وإختفاء الدافع وكذلك الروح الهجومية ، علاوة على الحالة المعنوية المنخفضة عند الجنود - ساعد كل ذلك الجيش الأحمر على أن يقوم بعمليته الضخمة على أحسن وجه . وفى الفترة الأخيرة أظهر ، فى بعض الحالات ، ضخامة الفساد الموجود ، وعمليات فرار وحدات بأكملها ، وحتى إنضمامها إلى المعسكر المنتصر ،

جنون موقف أولئك الذين كانوا يصرون على مقاومة تقدم الشيوعيين ، الأمر الذى ظهر ، ومن جانب غالبية "المتعقلين" على أنه حتمى . وفى نهاية الأمر لم يكن أكثر تهديداً من إستمرار نظام الديكتاتورية الفاشل للكومنتانج ويعنى هذا أن الهزيمة العسكرية لم تحدث فقط ، ولا حتى بشكل رئيسى ، على جبهة عسكرية . وكانت الحالة المعنوية للجنود ، تعكس مشاعر مقاساة ومعاناة الأهالى فيما وراء خطوط القتال ، وحيث كان إرتفاع الأسعار ، والذى تزايد أثناء سنوات الحرب العالمية الثانية (تضاعفت الأسعار بنسبة ٥٠٠٪ فيما بين ١٩٣٧ و ١٩٤٥ ، وبنسبة ٦٧ ضعفاً فيما بين يناير ١٩٤٦ وأغسطس ١٩٤٨ ، وبنسبة ١٣٥,٠٠٠ ضعفاً فيما بين أغسطس ١٩٤٨ وأبريل ٩٤٩) قد أنتهى بإدخال الفوضى والخلل فى هذا النظام الذى كان قد ظهرت عدم قدرته على الثبوت أمام الحرب . وفى المدن أثبتت إحتجاجات المثقفين الأحرار ، والذى وصل الحال برجال الشرطة السرية لنظام تشانج فى بعض الحالات إلى إغتيال من يقوم بها ، وكذلك مظاهرات الطلاب ، ومنذ عام ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، قوة معارضة لحرب نشأت بين أبناء البلد الواحد ؛ وإتهموا الحكومة ، وأكثر من الثوريين ، بمسئولية هذه الحرب ، وأدى كل ذلك إلى إزدياد تحول المثقفين . وإبتداء من صيف ١٩٤٨ ، جاء الأرهاب المتمثل فى الإجراءات المتأخرة لمحاربة المضاربات ، لكى يبعد عن النظام أولئك الذين كانوا ، مثل رجال الصناعة ورجال الأعمال والأموال ، يعتبرون أكبر من له مصلحة فى محاربة إنتشار الشيوعية . وفى الريف ، والذى تأثر بدرجة أقل بإرتفاع أسعار المعيشة نتيجة لإنتشار نظام الإستهلاك الذاتى ، والذى كان أقل تأثراً بالحرب الأهلية مادامت معاركها كانت تحدث فى مقاطعة أخرى ، ظلت غالبية الفلاحين ، وحتى عام ١٩٤٩ ، تجهل إسم ماوتسى تونج ، وإستمرت تمارس حياتها التقليدية ، دون أن تدرى أنها على وشك التغير ، ودون أن تعلم حتى أنه فى وسعها أن تقوم بالتغيير ؛ ولكن جنود الجيوش الحكومية ، وكانوا من الفلاحين كذلك ، علموا ممن يواجهونهم (وهم الفلاحين الذين كانوا يحاربون فى صفوف "جيش التحرير الشعبي") أنه يوجد هناك صين أخرى ، هى صين

المناطق المحررة" ، وحيث كان الشمال والشمال الشرقى فى أيدى الشيوعيين ، وحيث كانوا يوزعون الأراضى .

وكانت الثورة الزراعية مرتبطة كل الإرتباط بالحرب الأهلية . ويظهر تحليل الأسباب العسكرية لإنتصار جيش التحرير الشعبى . كيف كانت إمكانيات حركته تواجهها عدم قدرة الحاميات الوطنية على الحركة ، وأن إستراتيجيته التى كانت تهتم قليلاً بإحتلال الأراضى أو الدفاع عنها ، وأقل من إهتمامها بتحطيم أو كسب قوات العدو ، فى مواجهة إستراتيجية قوات الكومنتانج ؛ وأخيراً واجهت الروح المعنوية المرتفعة حالة إنهيار الروح المعنوية الموجودة عند قوات النظام . وكما كان رجال العصابات يعرفون من الفنون العسكرية ما يقل كثيراً عن المعارك الثورية ، فإن الروح المعنوية لجنود جيش التحرير الشعبى كانت تؤدى إلى معرفة تغيير العلاقات الإجتماعية التى تحدث فى شمال البلاد فى ذلك الوقت وتؤثر على حياة ما يقرب من مليون فلاح . وكانت صيحة التحية التقليدية فى كثير من القرى هى سؤال عما إذا كانوا قد أكلوا فى هذا اليوم ، قد أصبحت لها شعبية أقل من صيحة أهل أتممتم ثورتكم ؟ والتى كانت تعنى ، من بين ما تعنى ، "ثمرات النضال" ، من أرض وأدوات زراعية وبهائم ، والتى يكونوا قد صادروها من الأغنياء . ولقد إستولوا فى بعض الحالات على ممتلكات من كبار متوسطى الفلاحين أنفسهم ، أى من أولئك الذين يمتلكون ما يزيد قليلاً على متوسط ما يمتلكه أبناء القرية . وإضطر الحزب الشيوعى أن يأخذ موقف ضد إتجاه المساواة المطلقة ، والتى كانت لا تتمشى مع الحقائق المرة : فتطابق الإمتيازات الجديدة التى سيحصلون عليها من الغير ، لم يغير كثيراً من الفقر العام ، والذى لا يمكن الإنتصار عليه بشكل نهائى إلا عن طريق زيادة مجموع الإنتاج . وعلاوة على أن هذا كان يتضمن إذن ذكر بعض بذور الصعوبات المقبلة للثورة المنتصرة ، وقد طبق من أجل تحقيق "التراكمات الأولية لرأس المال" بواسطة منتجين من الفلاحين يهتمون بزيادة الثروة الفردية ، فإن عمليات المصادرة المبالغ فيها ، والتى لم يحدث فيها عملية إختبار ، ومارسها أبناء القرى ، كانت تتضمن خطراً سريعاً

يتمثل فى نشأة عملية إنفصال داخل الجبهة الموحدة بين الطبقتين الإجتماعيين الموجودتين ، وهما طبقة الفلاحين الفقراء ، وطبقة الفلاحين المتوسطين ، والتى كانت السلطة الشيوعية تعتمد عليهما . وكان هناك عامل آخر يهدد الإستقرار وراء الجيش الأحمر ؛ ويتمثل ذلك فى عمليات الطغيان ، التى مارسها هنا وهناك ، أحد العناصر النشطة فى جمعيات الفلاحين الفقراء ، أو رئيس الميليشيا المحلية ، الذى يكون قد لف رأسه شعور بهذه السلطة الجديدة ، أو حملة لإحدى البنادق . وفى فترة قصيرة من الوقت ، وجد بعض الرؤساء الجدد أن الأهالى يكرهونهم ، كما كانوا يكرهون الكبراء فى القرى فيما مضى . وفى هذا النطاق كذلك ، إضطر الحزب الشيوعى الصينى إلى أن يتدخل بكل قوة ، ويجبر أعضاءه وكل الكادرات غير الشيوعية على الخضوع للأحكام العامة لمجالس القرى ، وهى التى كان من حقها وحدها أن تفصل بين العناصر الجيدة والعناصر الرديئة . وبهذه المناسبة أصبح بعض الكادرات يعيشون فى خوف ، وأصبح الأهالى يتجنبونهم ، وكما كان يحدث منذ بضعة سنوات مع ملاك الأراضى ، أو المتعاونين السابقين مع الإحتلال اليابانى . ولقد أنتحر البعض ، وفقد الكثير الثقة . وكان على الحزب الشيوعى الصينى أن يقوم "بحملة تصحيح" تهدف حماية الكادرات أو إعادة إعتبارهم لهم . وهكذا نجد أن عملية تغيير القرى "المحررة" قد أخذت طريقاً أكثر صعوبة من ذلك الذى كان المثقفون فى الأصل قد قرروه . ولكن كل ذلك ، وفى مجموعة ، لم يمنع الثوريين من النجاح فى تعبئة جماهير الفلاحين ، وفى تغيير العلاقات الإجتماعية والسياسية التى كانت موجودة منذ وقت بعيد والصينيون . يأكدون أنفسهم تلك الأحداث التى ذكرناها : وكانت هذه الكادرات الضعيفة ، ومثلها فى ذلك مثل الانتقادات ، قد ولدت ، أو نشأت منذ وقت بعيد ، فى القرية . أما عملية الثورة داخل القرية ، فإنها أصبحت مسئولية الفلاحين أنفسهم : فشاركوا فى العملية التى قام بها أساساً الشيوعيون ، كما كانوا قد أعطوا أبناءهم لجيش التحرير الشعبى ، الذى رأوا فيه أفضل ضمان لعدم عودة النظام السابق .

غزوات عسكرية ، أزمات مالية ، مشاركة من جانب الفلاحين : كانت غالبية العناصر الهامة للنجاح الشيوعي موجودة في هذه المرحلة الأخيرة للثورة الصينية . وكان العامل الأول يمثل الدور الأساسي للجيش ، والذي زودت نفسها به منذ الفترة الأولى الحركة الثورية . أما العامل الثاني ، مع كل ما يجره من نتائج (مضاربات ، وفساد ، وإنخفاض متزايد للروح المعنوية) هو الممثل الفعلي للمساوىء الداخلية التي كانت قد نخرت عظام النظام الوطني . أما العامل الثالث فهو يمثل أهمية الدوافع الاجتماعية ، لدى الفلاحين ، في الثورة الصينية ، ويشير إلى إستراتيجية القواعد الريفية ، والتي مارستها الحركة الشيوعية منذ فترة السوفيت في كيانجسي (١٩٢٧ - ١٩٣٤) . ومع ذلك ، يبقى عاملا رئيسياً ، يتمثل في السنوات الأربع التي لم نتحدث عنها ؛ وهو الإمبريالية . وبالتأكيد فإن الدعاية الشيوعية لم تحرم نفسها من عقد موازنة بين المعونة الأمريكية للحكومة الوطنية . وبين الغزو الياباني في الفترة السابقة ، كما أن هذه الدعاية كانت لها فاعليتها ، وبشكل واضح ، عند تحول سنوات ١٩٤٦ و ١٩٤٧ ، وثبت ذلك من مظاهرات الطلاب ، التي كانت تطالب بإنسحاب القوات الأمريكية ، نتيجة لإعتداء أحد الجنود الأمريكيين على أحد الطلاب الصينيين . ولكن إذا كان موضوع معاداة الإتجاه الأمبريالي قد أعطى ثماره ، فإن وجود ودور الإمبرياليين في الصين كان لا يمكن مقارنته بما سيكون عليه الحال في فيتنام بعد ربع قرن ، ولا بما كان عليه في الصين نفسها في الفترة السابقة . ولهذا السبب نفسه (وكذلك لأن العدوان الإمبريالي كان قد سمح منذ قبل عام ١٩٤٥ للحركة الثورية بأن تحقق تقدماً ضخماً) كانت هذه الفترة ، وهي فترة الحرب العالمية الثانية بشكل خاص ، حاسمة أكثر من فترة الحرب الأهلية نفسها ، والتي كانت لا تمثل إلا نهاية أزمة ، كانت موجودة قبل ميلاد النظام الذي أطاح به الشيوعيون في عام ١٩٤٩

٢ - الصين الشعبية (١٩٤٩ - ١٩٥٥) :

ذكروا أن لينين كان قد قال في اليوم التالي لنشوب ثورة أكتوبر وإنتصارها أن رأسه يدور . ولكن بالنسبة للمنتصرين ، كانت هناك حقيقة تتمثل في أنهم لم يكونوا أول من

وصل ، وأن الأولين قد حافظوا على إنتصاراتهم ، وأنه من الممكن أن يحذوا حذوهم ويستلهموا من تجربتهم ويستفيدوا من أخطائهم كذلك ، وكان هذا أمراً يبعث على الإطمئنان . وفي الوقت الذى إضطر فيه البلاشفة فى بعض الحالات إلى أن يحاولوا تصور كيف كان فى وسع اليعاقبة أن يتصرفوا فى ظروف مشابهة ، كان فى وسع الثوار الصينيين ، فى الحالات الطارئة ، أن يستندوا على السابقات السوفيتية . ولذلك فليس علينا أن نندهش من أنهم قد أخذوا بكل همة فى الدراسة عن إخوتهم الكبار ، ولا حتى من أنهم كانوا متهمين بإنتهاج وسائلهم أكبر من الإقتباس عنهم .

ولاشك أن لحظة تردد لينين الأولى قد عبرت كذلك ، وإلى حد ما ، عن دهشته لكى يكون الأول ، أمام مفاجأة هذا الإنتصار ، والذى كان إنتصاراً سريعاً للغاية أما الصينيون فإنهم كانوا مهددين بدرجة أقل من أن يواجهوا فجأة إنتصاراً ، كانوا ينتظرونه من وقت أطول . وكانت عملية غزو السلطة طويلة المدى ومتزايدة وبشكل سمح لهم أن يستعدوا للمسئوليات ؛ وليس فقط فى إعداد أنفسهم لها ، ولكن أيضاً لممارستها داخل المناطق التى كانوا يسيطرون عليها . وهكذا نجد أن هاتين التجربتين لهذين الجيلين الثوريين لا تتشابهان ، وهو الأمر الذى يعكس خط السير غير المتطابق لكل من هاتين الثورتين . وبالنسبة للأولين ، كانت للقادمين الجدد تجربة وبخاصة فى الميادين العسكرية والزراعية : وهى مدرسة أشد قسوة وبكثير ، وأفضل ثماراً من النفى أو سرية العمل فى المدن عند الباشفيك .

ومع ذلك فلا يمكننا أن نخرج بنتيجة من التجربة السابقة للصينيين ، ولا من تلك التى أدخرها السوفييت لصالحهم ، لكى نتمكن من أن نقدم فى عام ١٩٤٩ تشخيصاً أكثر تفاؤلاً عن ذلك الذى كان موجوداً فى عام ١٩١٧ بشأن القرص المتاحة للثوريين الموجودين فى السلطة لتحقيق الآمال التى كانوا قد نشروها بأنفسهم . ولن يكون ذلك إلا فى نطاق واحد ، وطبيعى : ففى كلتا الحالتين ، كان ثقل الميراث الذى وجده الثوريون

عند وصلهم إلى السلطة ، وكـان فى الصين أكثر ثقلاً وبكثير ، ويصعب عقد المقارنة بينهما . وهذا الميراث ، لا يشرحه إرتفاع الأسعار بشكل قفزات عالية . والفوضى والتخريب الناتجة عن أثنى عشر عاماً من الحروب الخارجية والأهلية ، إلا بطريقة عارضة (هذا علاوة على أن روسيا لم تكن أكثر إعداداً فى هذا النطاق لمواجهة حربها الأهلية) .
وإن مايهم بشكل أكثر هى الحالة السكانية الإقتصادية التى واجهت هؤلاء أو أولئك .

وعلينا أن نوازن الصين فى عام ١٩٤٩ ، باليابان فى عصر ميجى ، والهند فى فترة التقسيم ، أكثر من موازنتها بروسيا عام ١٩١٧ . وكانت للصين قريبه جداً من أول السلم العالمى للتنمية وكان لها دخل للفرد يقرب من ٥٠ دولار فى السنة . ولم تكن قلة الموارد هى التى تعرقل التنمية الصناعية ، بل كان هو النقص فى التجهيز . ولاشك فى أن الصناعة الحديثة كانت قد شهدت تقدماً سريعاً فى عصر الجمهورية ، ولكن هذا التقدم - وعلى أى حال لا يمكن مقارنته بسرعة التنمية الصناعية فى عهد القياصره الآخرين - كان يهم قطاعاً صغيراً للغاية ، وبشكل لا يسمح له بأن يؤثر فى بقية الإقتصاد . وكان هناك ما هو أكثر خطورة من ذلك : ففى الصين عام ١٩٥٠ ، كانت كثافة السكان على كل هكتار من الأراضى تقرب من عشرة أضعاف ما كانت عليه فى روسيا عام ١٩١٧ . والنتيجة الثابتة لذلك هو أن الحجم الغذائى الذى يمكن أن يعتمد عليه الصينيون كان أكثر ضيقاً ، كما أن سرعة التنمية الإقتصادية كانت أكثر خضوعاً لعوامل التغيرات الجوية . وفيما بين محصول جيد (١٩١٣) ومحصول سيىء (١٩٢٨) كانت إنتاجية الحبوب فى روسيا لا تنخفض عن ٥٨٠ كيلو جرام إلا لكى تصل إلى ٤٨٠ كيلو جرام للفرد من الروس . أما محصول الصين فى عام ١٩٤٩ ، فإنه كان أقل بكثير ، ولا يسمح بعقد مقارنة ؛ وفى عام ١٩٥٢، وهو العام الذى يمثل نهاية فترة إعادة البناء ، فإن ما كان يخص كل فرد لم يزد على ٢٢٠ كيلو جرام من الحبوب . ولذلك فإن الإستهلاك الذاتى للفلاحين كان أمراً له أولويته : فلم يكن من صالح رجال التخطيط أن يعطوا أولويات مطلقة للإستثمارات الصناعية ، بل كان على هذه الأستثمارات الصناعية أن تقنع بما يبقى لها .

وإذا كانت عملية "البناء الإشتراكي" قد ظهرت على أنها أكثر دقة في الصين ، فإن ذلك كان أولاً بسبب هذا الميراث الديموجرافي والذي كان ثمرة لنجاح غير عادي . وفي خلال الألف سنة الأخيرة ، وحتى فترة قريبة نسبياً ، هي بداية القرن التاسع عشر ، كان التوازن بين البيئة الطبيعية وبين الأفواه التي تطلب الغذاء مضموناً في غالبيته في الصين عما كان عليه الحال في أوربا . ولقد سمحت عمليات التقدم أو الثورات الزراعية بإطعام عدد متزايد وبسرعة من السكان (وربما كان عدد السكان قد تضاعف في فترة نصف قرن ، فزاد من ١٤٣ مليون نسمة في عام ١٧٤٠ إلى ٣٠٠ مليون نسمة في عام ١٧٩٠) . وكان إحصاء عام ١٩٥٣ ، والذي أعطى السكان رقم ٥٨٢ مليون نسمة قد خضع للإنتقاد . والواقع أنه كان مخططاً ، ولكن بدرجة أقل من عمليات الإحصاء السابقة ، ومن الممكن أنه أعطى رقماً أقل أكثر من كونه أعطى رقماً أعلى . وجماهير الشعب تتزايد بإستمرار . ويمكننا في عام ١٩٤٩ أن نتنبأ بمعدلات الزيادة الطبيعية للشعب الصيني - فهي لا تزيد عما نقدره لها من الوهلة الأولى . وإن ما يمكننا أن نطرحه ، منذ عام ١٩٤٩ هو ما إذا كانت الثورة المنتصرة قد تمكنت من التغلب على المجاعات ، وإذا ما كانت قد حققت تقدماً بالنسبة للصحة العامة ، وكما ننتظر منها أن تفعل ، فإنها وجدت نفسها في مواجهة المشكلة الديموجرافية . ومشكلة تزايد المواليد واضحة تماماً في إحصاء عام ١٩٥٣ ، والذي يذكر أن ٣٦٪ من الأفراد يقل سنهم عن ١٥ سنة .

ولذلك فإن الصينيين مجبرين على السير بكل سرعة . وتدفعهم الضرورة ، وأكثر من تجاربهم السابقة ، على أن يسيروا بسرعة مختلفة عن تلك التي سار بها ماسبقهم من السوفيت ، وكذلك على طريق يختلف عن طريقهم . ولكن ما يثير الدهشة أكثر من غيره ، هو أنهم رغم الظروف الموضوعية غير المتشابهة ، قد ساروا لوقت طويل على نفس الطريق الذى رسمه سابقيهم .

وكانت الأجراءات الأولى غير متعمقة في ذلك الطريق الذى رسمه الثوار السابقين ، وكانت مجرد تدعيم للنظام المولود الذى فرض نفسه على كل المجموعات المنتصرة .

ولقد تم ذلك بكل سرعة وتصميم فى الميادين العسكرية وميادين الشرطة ، وكذلك فى الميادين الإقتصادية والمالية وأخيراً فى الميدان الخارجى .

ولقد تمكن الجيش الأحمر من أن يصفى بسرعة المراكز الأخيرة لمجموعات مقاومة الكومنتانج فى غرب وفى جنوب البلاد ، وحيث تم غزو جزيرة مابنان فى ربيع ١٩٥٠ . وأفضل من ذلك ، وبعد عام من تأسيس الجمهورية الشعبية ، توجهت حملة صوب التبت من أجل "إكمال الوحدة" مع الصين ، وبعد بضعة ترددات ، اضطر حكام التبت إلى أن يوقعوا فى شهر مايو ١٩٥١ على إتفاقية تضمن لهم "إستقلال ذاتي" إقليمى ، وعلى الأقل من الناحية الاسمية . وتم فى كل مكان من البلاد تسجيل الأسلحة ، ثم مصادرتها ، وحلت الجمعيات السرية ، وقاموا بمطاردة العناصر السرية للثورة المضادة . ولقد شجعوا ، وطمأنوا ، أعضاء الكومنتانج على الاعلان عن أنفسهم لدى الشرطة ، ثم قاموا بإلقاء القبض ، وتنفيذ حكم الإعدام فى عدد منهم ، ودعوا الأهالى إلى مشاهدة عمليات تنفيذ الإعدام . وقاموا بإجراءات أقل صرامة ، ولكنها فعالة كذلك ضد الجرائم غير السياسية (البغاء ، واللعب ، وتدخين الأفيون) ، وعرفت المدن الكبرى الصينية منذ عام ١٩٥١ ، النظام الذى لم يكن أمراً مألوفاً لديهم . وبقطع السلطات الثورية لرأس المعارضة نفسها ، وتخويفها لبقية الأهالى ، أعطت للصينيين شعوراً بالأمن العام ، لم يشعروا به من قبل .

وكان إرتفاع الأسعار يحتل المكان الأول بين الأسباب العارضة لسقوط الكومنتانج . وبعد الإستيلاء على السلطة ، أصبح من الضرورى - وبدرجة أقل صعوبة مادامت عملية إقامة نظام سياسى قوى كانت تخيف المضاربين - أن يقضوا على هذا المرض . وتمكن الشيوعيون من أن يعيدوا ، وفى زمن قياسى ، توازن الميزانية ؛ وراقبوا الأسعار عن طريق وضع قوائم للسلع ذات السعر المحدد ، وأنزلوا إلى السوق وعن طريق جهاز تجارى رسمى ، كميات ضخمة من السلع ، وبأسعار منخفضة . وأجتذبوا ، ثم حاصروا مخازن السلع الخاصة بضمانهم لها ضد نتائج عملية خفض الأسعار : فأخذ البنك

الشعبى للصين فى حساب المخزون الموجود من السلع ، والتى عدلت قيمتها إلى أسعار السلع الأساسية . ومنذ عام ١٩٥٠ أعطت هذه الأجراءات ثمارها وعادت الأسعار إلى الإستقرار أما عملية النهضة الإقتصادية فإنها أخذت بالطبع وقتاً أطول . وكانت الأحوال الجوية الأفضل من أحوال عام ١٩٤٩ تشرح إلى مدى بعيد المحصولات الجيدة فى أعوام ١٩٥٠ وحتى ١٩٥٢ ، ولكن الأمر إحتاج إلى مجهود ضخم وإلى تعبئة قوية للأيدى العاملة من أجل الوصول إلى ذلك ، وفيما وراء ذلك وعلى مدى ثلاث سنوات للطاقة الصناعية الموجودة فى وقت الحرب . والواقع أن الإنتاج الصناعى للصين فى عام ١٩٤٢ - ١٩٤٣ ، أى قبل الثورة ، وفى الصين الحرة مع الصين المحتلة ، قد وصل إلى مستواه الأعلى ، وجاءت بعد ذلك عمليات التخريب ، وفك المصانع فى الشمال الشرقى (منشوريا) بواسطة الجيش السوفيتى ، وإرتفاع الأسعار وتهريب رؤوس الأموال صوب هونج كونج أو تايوان لكى تقلل إلى مدى بعيد من الصناعة ونقل المنتجات الصناعية . وفى مقاطعة واحدة ، هى مقاطعة كزبوان ، تمكنوا من جمع ما يزيد على ١٠٠,٠٠٠ عامل مدنى ، وقاموا بتنظيمهم فى مجموعات عمل شبه عسكرية لكى يساهموا فى بناء خط السكة الحديدية من شونج كينج إلى شينجتو ، والذى إنتهوا من العمل فيه فى عام ١٩٥٢ ، وفى هذا التاريخ كانوا قد أعادوا إصلاح كل خطوط السكك الحديدية السابقة ، وأكملوا عملية إعادة إنشاء المصانع السابقة : وبذلك ، وباختصار ، يمكننا أن نعتبر أن عملية إعادة البناء الإقتصادى للبلاد المصابة من جراء الحرب كانت قد تمت .

أما عملية السير على الخط الخارجى ، فقد تم تحقيقها بسرعة أكثر . فكان ماو قد أعلن أن الصين "ستتجه إلى ناحية واحدة" : ناحية الشعب والمعسكر الإشتراكى ضد المعسكر الإمبريالى والرأسمالى . ولذلك فإنه ذهب منذ شهر ديسمبر ١٩٤٩ إلى موسكو (وكان له من العمر ٥٦ عاماً ، وكانت أول رحلة له للخارج) . ووقع هناك فى شهر فبراير ١٩٥٠ على "معاهدة صداقة ، وتحالف ومعونة متبادلة" لمدة ثلاثين عاماً . وكانت المفاوضات مع ستالين صعبة ، كما أن المعونة المالية التى وافقوا عليها من جانب

إتحاد الجمهوريات السوفيتية كانت لا تتمشى مع ما كان ماو يأمل فيه ، ومع ذلك فإن التحالف السوفيتي أصبح يمثل درعاً ، يمكن للصين ، في حمايته ، أن تكرس وقتها لبناء صرح الإشتراكية . وذلك بطبيعة الحال على ألا يستتبع هذا التحالف جر الجمهورية الشعبية إلى مغامرات لا نأمل في الدخول إليها : وليس من المحال أن عملية غزو كوريا الجنوبية في ٢٥ يونية ١٩٥٠ قد أثارت دهشة بكين مثل دهشة بقية العالم . ومع ذلك فإن الصين هي التي ستدفع نتائج إعلان حياد مضيق تايوان ، الذي سيعلن في واشنطن يوم ٢٧ يونيو ١٩٥٠ ، وهو الذي منعها من أن تسوى بشكل نهائي حسابها مع النظام الوطني الذي كان قد ألتجأ إلى هذه الجزيرة . وسنجد أن الصين هي التي ستجد نفسها مشتبكة ضد ماك آرثر ، وبواسطة "متطوعين" بين الجانبين . وعلى أي حال ، فإن الحماية التي أعطتها الولايات المتحدة لتايوان ، وتدخل "المتطوعين" الصينيين في حرب كوريا ، قد وقعت بشكل كبير على كاهل الصين و "من جانب واحد" .

٣ - المجتمع الجديد :

في خلال السنوات الأولى ، وفي نفس الوقت الذي ضمن فيه الثوار الموجودين في السلطة ، وبفاعلية وبسرعة ، تدعيم نظامهم ، بدأوا في أرساء قواعد تشييد مجتمع جديد . ولكن الإصلاحات التي أدخلوها في أثناء هذه المرحلة الأساسية لم تقم في بعض الحالات إلا على أساس إعطاء الشكل القانوني لتلك التغيرات التي كانت قد ظهرت في تقاليد الطبقات المثقفة ، كما هو الحال بالنسبة لقانون الزواج ؛ أو في حالة الإصلاح الزراعي ، والذي تحقق في خلال هذه المرحلة السابقة وإنتهى إلى أن ينشر وبطريقة أعم عملية الملكية الفردية التي أدعوا أنهم يهدفون القضاء عليها . وكان قانون الزواج ، الذي صدر في أول مايو ١٩٥٠ ، يمكنه أن يكون كذلك صادر من أحرار الرابع من شهر مايو (١٩١٩) . ومنع هذا القانون خطوبة الأطفال ، والزواج الذي يرتبه الآباء ، والتسرى ، وكذلك ممارسات أخرى كانت المجموعات المثقفة قد وقفت ضدها منذ وقت بعيد .

ولكن التطبيق الفعلى لهذا القانون فى المناطق الريفية أضاف مشكلات ضخمة
أصبح من حق الفلاحين أن يختاروا بحرية شريكة حياتهم ، مثلاً بإحدى هذه الطرق
الحديثة والغربية والخاصة بالمدن ، والتى كان يستخدمها الأغنياء الحضريين الذين أكثروا
من زيارة العالم الخارجى . ففى إحدى القرى التى تبعد عن كانتون بأقل من عشرة كيلو
مترات لم يتم عقد زواج فيها فى عام ١٩٥١ إلا فى حالتين فقط ، واضطر كل من
المتزوجين إلى أن يؤكد (الإطار) الذى إختاره بحرية كشريك لحياته ، ولكن كل أهالى
القرية كانوا يعلمون أن الآباء هم الذين رتبوا الموضوع مقدماً ، وأفهموا الشباب بما يجب
عليه أن يصرح به . ورغم العقبات والمعوقات ، فإن السلطات الشيوعية لم تتراجع فى
عملية تطبيق القانون . ولا شك أن هذا الموضوع يحتاج إلى وقت طويل ، وإن كانوا قد
قاموا به قبل عام ١٩٤٩ فى "المناطق المحررة" .

أما قانون الإصلاح الزراعى الذى صدر فى ٣٠ يونيو ١٩٥٠ ، والذى يصنف
الأهالى فى الريف إلى خمسة مجموعات (الملاك العقاريين ، الفلاحين الأغنياء ،
والمتوسطين والفقراء ، والعمال الزراعين) ثم يصادر ويعيد توزيع ممتلكات الأكثر ثروة ،
فإنه كان يمد كذلك ، وبطريقة أكثر تقدمية ، وعلى مجموع البلاد ، إجراءات كانت منذ
سنوات عديدة مألوفة للفلاحين الصينين فى الشمال : "إظهار الحقد" ، و "إجتماعات من
أجل الحرب" ، و "تسوية الحسابات" ، ومحاكمات وتنفيذ أحكام عامة على الملاك
الزراعيين ، إلخ . وكان هذا كافياً وبطريقة مستمرة ، وكان العنف يهدف إلى تحطيم هيبة
وقوة الطبقات الحاكمة القديمة . ففى مقاطعة فوكيان ، التى يمكننا أخذها كمثال قاموا
بتنفيذ حكم الإعدام فيما يزيد على ٢٠٪ من الملاك الزراعيين و٨٠٪ من رؤساء المدن فى
خلال عملية الإصلاح الزراعى (ومع تأييد لجماهير الأهالى كلها فيما يبدو) ؛ وفى
المجموع ما يزيد على ٤٠٠ شخص من أهالى يبلغ تعدادهم ٢٥٠,٠٠٠ نسمة . ولكن
عملية نقل الملكية كانت تهم الغالبية العظمى من سكان الريف . ففى مجموع البلاد
إقتسم ما يقرب من ٣٠٠ مليون من الفلاحين فيما بينهم ما يقرب من ٤٧ مليون هكتار

أي ما يقرب من نصف مساحة الأراضي المزروعة) وكذلك الآلات الزراعية ، والبهائم ، وفي بعض الحالات ، المساكن . ومع ذلك فإن هذا لم يكن يمثل سوى ثلاثة هكتارات (وربما جاموسة أو حمار) توزع على أربعة أسر . وكانت إحدى نتائج الإصلاح الزراعي هو زيادة عدد مساحات الإستغلال التي لا تكفي لإعالة من يخدم عليها . ويشرح هذا سرعة المرور إلى المرحلة التالية : فإعادة توزيع الأرض لم تتم بعد في الصين إلا في المناطق التي كانت قد حررت فيما مضى ، وقاموا بتنظيم "مجموعات المعونة المتبادلة" الأولى ، سواء أكانت موسمية أم دائمة . ومنذ خريف عام ١٩٥٢ ، كان قد تم تجميع ٤٠٪ من المراكز الفلاحية في البلاد داخل هذه المجموعات ، والتي كانت كل منها تجمع من خمس إلى ثمانية أسر . وبعد عامين من ذلك . أي في شهر أكتوبر ١٩٥٤ ، كان هناك في مجموع البلاد ما يقرب من مائة ألف تعاونية زراعية "شبه إشتراكية" ، تجمع في المجموع من ٣ إلى ٤ مليون أسرة ريفية ، أما الأجور هناك فإنها تحسب حساباً للعمل المقدم من جانب ، ولمساحة الأرض ووسائل الإنتاج التي تقدمها كل أسرة من جانب آخر : طبقاً "للخط العام للمرحلة الإنتقالية صوب الإشتراكية" .

وكان تطبيق الإصلاح الزراعي هنا وهناك ، وكما كان عليه الحال في كوانتونج ، فرصة لتأكيد سيطرة الحكومة المركزية على السلطات المحلية . وهذه السلطات المحلية ، هي كذلك ، شيوعية ، ولكنها في بعض الحالات كانت مرتبطة ببعض أسر ملاك الأراضي ، وكانت قد أعطتها علاوة على ذلك بعض الوعود الرسمية في فترة "الجبهة الموحدة" فكانت تتردد في تطبيق التوجيهات الأكثر راديكالية ، والتي كانت تصل إليها فجأة ومتتالية ، حين كانوا يقررون منعطفاً سياسياً عنيفاً من أعلى . وكانت هذه هي الحالة ، مثلاً في شهر نوفمبر ١٩٥٠ ، بعد التدخل الصيني في حرب كوريا : ففي خلال الخمسة عشر شهراً التالية ، فقد ٨٠٪ من إطارات كانتون العالية ، مراكزهم ، أما الباقين فقد إضطروا إلى أن ينتقدوا علنياً الممثلين الذين أعتبروا رسمياً على أنهم من المتعاونين محليين مع ملاك الأراضي .

٤ - تسيير النظام :

كانت حالة الصدامات الداخلية للحزب ، والتى نتجت عن تطبيق الإصلاح الزراعى ، قد تسببت فى كوانتونج فى طرح مشكلات تتعلق بطبيعة وطريقة تسيير النظام السياسى . وكانت الصدامات من هذا النوع تتضمن عنصراً لا يتمشى مع الواقع ، إذ أن هذا الطريق من أوله لم يكن يترك مجالاً للشك ، ولم يكن يعمل فى غير صالح سوى غير النابهين أو العنيدين ، حتى ولو كانوا من السكرتيريين الإقليميين للحزب ، الذين يدعون إستمرارهم على السير على خط حكم عليه بالنهاية . وكان هذا يعطى أمثلة نادرة فى المناقشات السياسية التى تجرى داخل الحزب ، وعلى مستوى عال . أما ما كان يحتل صدارة المسرح ، فهو حياة سياسية رسمية ، كلها إجماع وحماس وعلى طول الخط ، ولقد تركوا مكاناً غير متناسباً للشخصيات التى لا تنتمى إلى أحزاب ، وكذلك لأعضاء "الأحزاب الديمقراطية . الثمانية" والتى كانت لها قاعدة إجتماعية ضيقة للغاية (فى أساسها مرتبطة بالمدن ، بورجوازية أو مثقفة) . أما الإثنين المعروفين بدرجة أكبر من بين هذه الأحزاب ، وهما اللجنة الثورية للكومنتانج ، والرابطة الديمقراطية ، فإنهما كانا ممثلين بدرجة كبيرة فى الحكومة ، وفى المؤتمر الإستشارى السياسى للشعب الصينى ، وكذلك فى المؤتمر الوطنى الشعبى الأول ، الذى إجتمع فى عام ١٩٥٤ . ووافق هذا المؤتمر الأخير بالإجماع يوم ٢٠ سبتمبر ١٩٥٤ على دستور جمهورية الصين الشعبية : وفى هذا التاريخ المضىء ، بعد إنتصار الجيش الأحمر ، يمكننا أن نعتبر أن النظام قد نشأ .

وكان نظاماً قد إستوحى إلى حد بعيد من النمط السوفيتى ، وسلطويا ومركزياً . وبدلاً من شرح هذه النقطة ، التى هى أساسية ، سيكون من الأجدى تحديد الإختلافات الموجودة بين النظامين . فالدور الذى تقوم به "الحركات" أو حملات الرأى العام فى الحياة السياسية الصينية ، وكذلك عن طريق الردع (لمجرد الإرغام) ، يسمح كما يبدو فى إعطاء الصفة الشمولية بطريقة معلنة أكثر ، وبطريقة أكثر جوانية من النظام الشمولى

الستالينى ، الذى يجب علينا أن نرجع إليه دائماً وهذه الحملات المتتالية ، التى يتم الإعداد لها بدقة ، تركز الهجوم على نوعية من الأهداف ، يختارونها مقدماً ، ويقومون بعد ذلك "بفضحها" أو "تعريتها" والحكم عليها فى "إجتماعات عامة للنضال" . وهى تسمح بالتخلص المفاجىء من المعارضين الفعليين أو الممكنين ، وبإضافة أو كسب "الجماهير العريضة" وفى نفس الوقت الذى تنذر فيه أو تصحح للتراخى وحتى الفساد الذى يظهر فى البيروقراطية وفى أثناء سنوات تشييد النظام تتالت حملات عدة هامة . وكانت الأولى من بينها ، والأكثر خطورة ، وقد سبق لنا الإشارة إليها بطريق غير مباشر : وهى "حملة تصفية الثورة المضادة" والتى قاموا بها بنجاح منذ ربيع عام ١٩٥١ ، وعند نهاية هذه السنة قامت "حملة المضادات الثلاث" التى هاجمت الفساد ، والإسراف ، والإتجاه البيروقراطى ، وهدفت تنظيف صفوف الحزب والإدارة من الإنتهازيين الذين دخلوا إليهما فى أثناء المرحلة الأخيرة ، أو فيما بعد الفتح ، وكذلك عدداً من المناضلين لمخلصين ، ولكن غير القادرين على تحمل المسئولية ، أو الذين أخذوا يتمتعون بثمرات الإنتصار . وفى بداية عام ١٩٥٢ "حملة المضادات الخمس" التى حاربت التهرب الضرائبى ، والغش التجارى ، والرشاوى ، وسرية الأموال والأملاك العامة ، وإذاعة المعلومات السرية الخاصة بالوضع الإقتصادى . وكانت موجهة ضد "البورجوازية الوطنية" ونشرت فى صفوفها الرعب لفترة من الزمن . وحصلوا على إعترافات مكتوبة ، إعتبروها بشكل عام غير كافية ، وقاموا بعد ذلك بتصنيف أصحاب رؤوس الأموال إلى خمس مستويات (بريئة حتى مذنبة) وليس فقط على أساس موقفها الماضى ، ونظام إدارتها لمؤسساتها ، ولكن كذلك بناء على درجة تعاونها الواضح فى كتابة الإعترافات الكاملة وفضح ما يحدث فى المشروعات الأخرى . ومثل كل حملة ، تسببت هذه الحملة الأخيرة فى عدد من حالات الإنتحار ؛ ولكنها نقلت إلى الدولة جزءاً من أملاك رجال الصناعة ورجال الأعمال ، التى ضمت إلى النظام ؛ وقضت أو منعت كل نية للإستقلال الإقتصادى من جانب هذه الطبقة الوحيدة التى كان فى وسعها أن تقوم بعمل مستقل فى هذا الميدان .

وكان بعض هذه الحملات يهدف ، بطريقة أكثر تحديداً ، أوساط المثقفين ، ويميل إلى نشر الخطوط السليمة والأساسية فى ميدان الإيديولوجيات . ونكتفى هنا بالإشارة إلى إثنتين من بينهما : الأولى فى البداية ، والثانية عند نهاية الفترة التى ندرسها . وكانت الأولى تتعلق بالفيلم الذى يعرض "تاريخ ووهسون" الذى أنتجوه فى عام ١٩٥٠ ، وإنتقدوه فى عام ١٩٥١ ؛ أما الثانية فكانت موجهة ضد الناقد والشاعر وكاتب المقالات هوفنج ، والذى كان ماركسياً منذ فترة طويلة ، ولكنه كان غير خاضع ، لدرجة كبيرة ، ولا يقبل التعديل . وفيما بين هاتين الحملتين ، قاموا بحملات أخرى ، وكانت الأكثر دلالة من بينها هى الإجراءات التى إتخذت ضد المثقفين ، وكانت مختلفة إلى حد بعيد عن شكل الحملات الكلاسيكية : وهى "حركة إصلاح الفكر" . وكانت هذه الحركة ، وحدها ، تعادل حملات كثيرة متميزة ومنفصلة ، إذ أنها مرت ، وبموجات متتالية ، نوعيات مختلفة من المثقفين : طلاب ، ومعلمين ، وأساتذة فى الثانويات ، وأساتذة جامعات إلخ . ويمكننا أن نرجع لتاريخ هذه الفترة أن فكر هؤلاء الأخيرين قد أصلح ، ولكن الحقيقة أنه فى خارج هذه القمم العلنية والمسرحية ، لم تكف عملية إعادة تعليم المثقفين فى خلال الخمس سنوات الأولى للنظام . ولقد حصلت حتى على منابرها المتخصصة ، وهى "الجامعات الثورية" ، وحيث يتدرب الطلاب خلال ستة أشهر على عملية قتل الرجل القديم ، والذى لا يزال يعيش داخل المصالح الفردية أو الأسروية ، ويساعدون على ميلاد الرجل الجديد الذى تسيطر عليه وتحكمه الرغبة فى خدمة الشعب . وإذا كانوا يرحبون أو يرفضون هذه التجربة ، كعملية تحول ، فإنها تعبر على أى حال عن تجسيد مشكلة الإنتماء للنظام . فإنها تثير أو تغرس فى كل فرد شعور بالخجل وبالمسؤلية ، يمكن للانتقادات وعمليات النقد الذاتى ، وعمليات الفضح الموجودة عند مجموعات الدراسة الصغيرة أن تجعلها على درجة لا يمكن تحملها . وهذه المجموعات الخاصة بالدراسة تجمع من ستة إلى عشرة شبان ، هم كذلك يمرون بنفس العلاج : إذ أنه من الضرورى أن يشفى الفرد نفسه قبل أن يتمكن من التغير . ولقد اعترف أحد الأطباء

ـنسانيين لهذه التجربة التى تسبق غرس العقيدة الجديدة بأنها أحد أشكال التصحيح النفسى الجماعى . أما العلاج فيهدف تحطيم العلاقات السيكولوجية التى تربط الفرد بالمجتمع القديم : علاقات ثقافية وكذلك عاطفية . أما المظاهر الخاصة بهذه الأخيرة ، فتتمثل بنوع عام فى الأسرة ، وبنوع خاص فى الأب ، والذى من الواجب على كل فرد أن يثى به فى مرحلة عقيدة أعلى ، ويمكنه بعد ذلك ، وبعد أن تخلص أخيراً مما كان يعوقه ، من أن ينطلق ويعوم فى المجتمع الجديد ، وقيمه .

وهكذا نجد ، وعلى العكس من النظام الشمولى الستالينى (ومرة أخرى رغم صلات قربى واضحة حتى فى هذه العملية الصعبة للنقد وللنقد الذاتي) . تنتهى عملية التطهير قبل عملية الإصلاح ، أو عملية إعادة صياغة الفرد . وليس هناك تقريباً من لا يمكن كسبه ، ولكن على كل فرد أن يعمل من أجل خلاصة الشخصى . ويطالبون كل فرد بأن يقدم ما يدل على عملية تطهيره الداخلى ، وحتى على شىء يدل على تطوره الروحى . وهكذا يظهر نظام الصين الشعبية ، وبالنسبة لنظام إتحاد الجمهوريات السوفيتية فى عهد ستالين ، على أنه أكثر نضالية : أقل شكاً أو إستهزاءاً ، وأقل بوليسية مادام يرغب فى الإقناع أكثر من الإرغام ، ولكن أكثر قابلية للغزو ، وأكثر طموحاً . وفى هذا الإتجاه ، ومنذ السنوات الأولى لهذا النظام المنقول عن قرب سواء فى منظماته (الثنائية رسمياً : التسلسل القيادى المتوازى لكل من الدولة والحزب) أو فى ممارساته (الإحتكار المطلق للحزب) عن المثال السوفيتى ، يمكننا أن نشعر ببعض الطموحات التى أعلنتها الثورة الثقافية فى وجه العالم .

الفصل الثانى

اليابان

أ . د / عاصم محروس عبد المطلب

اليـابـان

تتـألف اليـابان من أرخبيل يضم عـدة آلاف من الجـزر تمتد فى شـكل قوس يواجـه سواحل آسـيا الشرقـية بين دائرتى عرض ٢٤ْ ، ٤٦ْ شـمال خط الأستـواء ، أى يمتد هذا الأرخبيل لمسافة ٢٤٠٠ كيـلو متر بين الشمـال والجنوب فى حوالى ٢٢ دائرة عرضـية . وتبلغ جملة مساحـة جزر اليابان ٣٧٢٤٨٠ كيلو مترا مربعاً ، وتتمـثل أهم الجزر اليابانية وأكبرها مساحة فيما يلى وهى من الشمال إلى الجنوب .

- جـزيـرة هوكايـدو

أكثر جزر اليـابان امتداداً صوب الشمال ، وثانى هذه الجزر مـن حيث المساحة إذ تبلغ جملة المساحة ٧٧,٨ ألف كم متر مربع [نحو ٣٠ ألف ميل] وهو ما يكون ٢٠,٩٪ من جملة مـساحة اليـابان ، وهى جزيرة جبلية تضم العديد من المخـاريط البركانيـة والقمم الجبلية التى يتجـاوز ارتفاع كل منها ١٨٠٠ متر فوق منسوب سطح البـحر ، كما يجرى على سطحها أطول أنهار اليابان ، ويقـصد بذلك نهر أشيكار يجاوا Ishikaigwa حوالى [٢٥٠ كم] الذى يجـرى فى النطاق الغـربى من الجـزيرة فى إتجاه عام من الـشمـال إلى الجنوب ليصب فى خليج أوتارو Utaru .

وعرفت الجزيرة عندما استوطنها اليابانيون لأول مرة خلال القرن السادس عشر بإسم جزيرة يزو Yezo ، وهى تمثل حـالياً مركزاً اسـتيطانياً رئيـسياً لعناصـر الاينو السكان الأصليين لجـزر اليـابان وشرق آسـيا والبـالغ عددهم نـحو ١٥ ألف نسـمـة فى الوقت الحاضر[1] .

- جزيـرة هونشـو :

تمتد إلى الجنوب من جزيرة هوكـايدو حيث يفصل بينهما مضيق بحرى يعرف باسم

---

(١) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٣١٠ ، ٣١١ .

مضيق تسوجارو Tsugaru الذى لا يتجاوز اتساعه ٢٥ كم ، وتعد هونشو أكبر جزر اليابان مساحة وأكثرها أهمية حيث تبلغ مساحتها ٢٣٠,٣ ألف كيلو متراً مربعاً (٨٨,٩ ألف ميل٢) وهو ما يشكل ٦١,٨٪ من جملة مساحة الدولة ، كما تضم أهم المدن اليابانية وتنقسم أراضيها إلى ٣٤ مقاطعة إدارية .

- جزيـــرة شـــكوكو

تقع جنوب جزيرة هونشو وشرق جزيرة كيوشو : هى أصغر الجزر الأربع الرئيسية فى اليابان من حيث المساحة إذ تبلغ مساحتها ١٨,٧ ألف كيلو متر مربعاً [٧٢٤٨ ميل٢] وهو ما يعادل ٥٪ من جملة مساحة الدولة ، وهى جزيرة جبلية فى معظمها تغطى الغابات الكثيفة مساحات واسعة من أراضيها التى تنقسم إلى أربع مقاطعات إدارية هى كاجاوا ، توكوشيما ، كاشى ، أهيمى .

- جزيـــرة كيوشـــو

أكثر الجزر الأربع الرئيسية امتداداً صوب الجنوب وأقربها إلى الساحل الأسيوى ، ويقع بالقرب منها نحو ٣٧٠ جزيرة صغيرة ، وأراضى هذه الجزيرة البالغ مساحتها ٤٢ ألف كيلو متراً مربعاً [١٦,٢ ألف ميل٢] وهو ما يشكل ١١,٢٪ من جملة مساحة الدولة تنقسم إلى سبع مقاطعات إدارية .

والجزيرة ذات طبيعة جبلية وعرة فى معظم جهاتها ، ومن قممها الجبلية الرئيسية جبل أسو Aso البركانى البالغ أرتفاعه ١٦٩٠ متر فوق منسوب سطح البحر ، وتضم الجزيرة العديد من ينابيع المياه الحارة(٢) .

وتكون الجزر الأربع المشار إليها حوالى ٩٨,٩٪ من جملة مساحة اليابان أما باقى المساحة فتتألف من مجموعة كبيرة من الجزر الصغيرة أهمها ما يلى :

---

(٢) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٣١١ ، ٣١٢ .

- جزر ريوكيو Ryukyu ، تمتد بين جزيرة كيوشو فى الشمال وجزيرة ترموزا [الصين الوطنية] فى الجنوب فى شكل أرخبيل طوله ١١٣٠ كيلو مترا ، وتبلغ جملة مساحتها ٢٢٠٠ كم٢ ، فى حين يبلغ عدد سكانها نحو مليون نسمة . وتعد أوكيناوا أهم جزر هذه المجموعة وأكبرها مساحة حيث تبلغ مساحتها ١١٧٦ كم٢ ، وعاصمتها مدينة ناها Naha ، وقد احتلت القوات الأمريكية جزيرة أوكيناوا بعد هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية ، إلا أن اليابان استردت الجزيرة فى مايو ١٩٧٢ .

- جزر تسوشيما Tsushima تقع بين جزيرة كيوشو فى الشرق وساحل كوريا الجنوبية فى الغرب ، ويفصلها عن كيوشو مضيق تسوشيما فى حين يفصلها عن الساحل الكورى مضيق شوسين Shosen البالغ عرضه ٦٠ كم تقريباً ، وتتألف هذه المجموعة من خمس جزر تبلغ مساحتها ٢٧١ كم٢ ، ويعتمد سكانها البالغ عددهم حوالى ٧٠ ألف نسمة على صيد الأسماك كحرفة[٣] .

- جزر بونين Bonin ، جزر بركانية تقع جنوب شرق جزر اليابان الرئيسية على بعد ٩٦٠ كم من طوكيو العاصمة ، وهى جزر صغيرة المساحة جداً حيث لا تتجاوز جملة مساحتها ١٠٤ كم٢ ، ويمكن تقسيمها إلى ثلاث مجموعات فرعية هى جزر بيالى ، بيشى ، مارى ، شيشيجميا Chichljima أكبر جزر هذه المجموعة ، لذا يوجد بها قاعدة بحرية كبيرة ، وقد ضم اليابانيون هذه الجزر إلى أراضيهم عام ١٨٧٦ ، واحتلتها القوات الأمريكية عام ١٩٤٥ بعد هزيمة اليابان فى الحرب العالمية الثانية ، ثم استردتها اليابان فى ٢٦ يونيو عام ١٩٦٨ .

- جزر فولكانو Volcano ، تمتد جنوب جزر بونين على بعد ١٢٠٠ كم٢ من طوكيو العاصمة ، وهى تتألف من ثلاث جزر بركانية أكبرها جزيرة أووجيما Iwo Jima [ناكا] . وتبلغ جملة مساحة هذه الجزر ٢٨ كم٢ ، ويعتمد سكان الجزيرة [نحو ألفى نسمة] على

---

(٣) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٣١٢ ، ٣١٣ .

زراعة قصب السكر وتعدين الكبريت . وقد ضمت هذه الجزر إلى اليابان عام ١٨٨٧ حتى الحرب العالمية الثانية حين احتلتها القوات الأمريكية بعد هزيمة اليابان ، ثم عادت الجزر اليابانية فى ٦ يونيو عام ١٩٦٨ .

المظاهر الطبيعية

تشكل النطاقات الجبلية المرتفعة حوالي ٨٥٪ من جملة مساحة جزر اليابان ، وتضم هذه النطاقات نحو ٢٥٠ قمة جبلية يزيد ارتفاع كل منها على الألفى متر فوق منسوب سطح البحر ولعل أشهر هذه القمم وأعلاها جبل فوجى Fuji المعروف فى اليابان باسم Fujni yama والواقع فى جنوب جزيرة هونشو ويبلغ ارتفاعه ٣٧٧٦ مترا [نحو ١٢٣٨٨ قدم] فوق منسوب سطح البحر ، وهو عبارة عن بركان حدثت آخر ثوراته البركانية عام ١٧٠٧م(٤) .

ورغم شدة تعقد النظام الجبلى جزر اليابان وعدم انتظامه وتقطعه النهرى الشديد وما تبع ذلك من شدة تضرسه وامتداده فى محاور متعددة إلا إنه يمكن أن نميز بين سلسلتين جبليتين متوازيتين بشكل كل منها قوسا كبيراً يمتد بطول جزر اليابان احداهما تمتد بالقرب من الساحل الغربى للجزر والأخرى تمتد بالقرب من الساحل الشرقى ويفصل بين السلسلتين نطاق منخفض المنسوب يمتد فى شكل وادى كبير ، وتبدو الأجزاء الشمالية من السلسلتين وهى الممتدة فى جزيرة هوكايدو وشمال جزيرة هونشو حتى سهل ناجويا فى شكل هضاب عالية متوسط ارتفاعها حوالى ١٨٠٠ متر فوق منسوب سطح البحر ، وتتسم سطوحها بالتضرس الشديد لتقطعها بفعل المجارى المائية العديدة التى يعد نهراً شيكاريجاوا فى الشمال أشهرها وأطولها على الاطلاق ، بالإضافة إلى مجموعة أخرى كبيرة من الأنهار تجرى فى جزيرة هونشو أهمها أنهار نوشيرو Noshiro

---

(٤) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٣١٤ .

شينانو Shinano فى الغرب ، كيتاكامى Kitakami تونى فى الشرق ، ونهـر يوشينو فى جزيرة شيكوكو ، تشيكوجو فى جزيرة كيوشو .

ويضم النطاق الجبلى أعلى القمم الجبلية فى اليابان أشـهرها مـثل فوجى [١٢٣٨٨ قدم] ، كـوفو Kofu [١٠٤٧٠ قـدم] ، أوماشى [١٠٤٣٠ قـدم] ، وتقع هذه القـمم فى نطاق مرتفعات الألب اليابانية الممتدة فى النطاق الأوسط من جزيرة هونشو . أما الأجزاء الجنوبية من السلسلتين وهى الممتدة من جنوب سهل ناجويا بجـزيرة هونشو لتستمر بعد ذلك فى اتجاههـا بجزيرتى شيكـوكو وكيوشـو فتتسم بانخـفاض منسوبهـا عن منسوب مثيلتها فى الشـمال ، كما تتجه فى امتدادها صوب الأجـزاء الداخلية من الجزر بعيداً عن خط السـاحل مما أسـهم فى اتساع نـطاق السهـول السـاحليـة فى الجنوب بشكل واضح وكبير(٥) .

ويتخلل السلاسل الجبلية المشار إليها عدد كـبير من البحيرات التى تكون معظمها من ذوبان الثلوج ، وأهمها بيوا Biwa ، ماتسو Matsue تواداا Towada فى جزيرة هونشو ، تشيكوتسو Shikotsu ، كوتشار Kutchara تويا Toya فى جزيرة هوكايدو(٦) .

وتظهر حـدود الوادى الداخلى الفاصل بين السلسلتين الجبليتين بوضوح فى الجنوب الغربى حيث غـمرته المياه البحـرية وكونت المسطحات المائية الفـاصلة بين جنوب جزيرة هنشو فى الشـمال وجزيرة شيكوكـو فى الجنوب وهى المسطحات المعروفة باسـم "البحر الداخلى" فى حين تختـفى حدود هذا الوادى فى معـظم جهات اليابان بـفعل التكوينات البركانيـة التى قذفتهـا البراكين المتحدة فى شكل خطوط تقع عند الزوايا اليـمنى للثنيات الجبـلية . ويلاحظ أنه يوجـد فى جزر اليـابان ١٩٢ بركاناً منهـا ٥٨ بركاناً ثائرا والبـاقى (١٣٤) عبارة عن براكين خامدة .

---

(٥) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٣١٥ .

(٦) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٣١٦ .

وتشمل أهم النطاقات السهلية التى تشكل أكثر جهات اليابان ازدحاماً بالسكان فيما يلى :

- سهل كوينتو Kwanto الذى يمثل الظهير الطبيعى لمدينة طوكيو والبالغ مساحته نحو ٥٠٠٠ ميل مربع .

- سهل أوزاكا Osaka أو سيتسو Settsu الواقع خلف مدينة أوزاكا عند النهاية الشرقية للبحر الداخلى والبالغ مساحته ٤٨٠ ميل٢ .

- سهل كتاكامى Kitakami الواقع شمال سينويا على ساحل المحيط الهادى شمال جزيرة هونشو ، وتبلغ مساحة هذا السهل ٦٠٠ ميل٢ تقريباً .

- سهل اشيكارى Ishikari الممتد جنوب غرب جزيرة هوكايدو والبالغ مساحته حوالى ٨٠٠ ميل٢(٧) .

- سهل تسوكوسى Tsukushi المحيط بمدينة كوردم فى غرب جزيرة كيوشو والبالغ مساحته ٤٦٠ ميل تقريباً .

- سهل يوشينو فى جزيرة شيكوكو .

المناخ

تبعاً للموقع الفلكى لجزر اليابان الممتدة بين دائرتى عرض ٢٤ْ ، ٤٦ْ شمالاً تنتمى أراضيها لمناخ الأقاليم المعتدلة الدفيئة والمعتدلة الباردة بصورة عامة ، مع ملاحظة تأثر خصائص عناصر مناخها بموقعها الجغرافى فى المحيط الهادى إلى الشرق مباشرة من اليابس الأسيوى حيث يفصل بينها خليج تارتارى فى الشمال وبحر اليابان فى الوسط ومضيق تسوشيما فى الجنوب ، وتلعب أشكال السطح والتيارات البحرية دور كبير فى تحديد خصائص المناخ فى أقاليم اليابان المختلفة حيث يؤدى التقاء تيار اليابان الدفىء المعروف باسم تياركوروسيو Kurosiwo بتيار كمتشكا البارد إلى جبل التقلبات الجوية وكثرة الأعاصير وبالتالى غزارة الأمطار من أهم خصائص مناخ اليابان .

(٧) نفسه ، ص ٣١٦ .

ورغم انخفاض درجة الحرارة في البلاد خلال شهور الشتاء وخاصة في الجزر الشمالية الأكثر تعرضاً للرياح الباردة إلا أن المعدلات الحرارية هنا أعلى من مثيلتها على اليابس الآسيوي المجاور بحكم طبيعة اليابان الجزرية وسيادة المؤثرات البحرية ، لذلك يبلغ متوسط درجة الحرارة في طوكيو خلال شهر يناير ٥٠ْ ف في حين يقل هذا المتوسط عن ٣٢ْ (درجة التجمد) في مدينة تينتسين في الصين الشعبية داخل القارة[٨] .

وتتعرض اليابان خلال نصف السنة الشتوى لهبوب الرياح الشمالية الغربية الباردة الهابة من قلب آسيا وهي رياح جافة في الأصل إلا أنها تصبح محملة ببخار الماء بعد مرورها فوق المسطحات البحرية الفاصلة بين آسيا وجزر اليابان ، لذلك تسقط كميات كبيرة من الأمطار على النطاقات الغربية حتى أن بعض المواقع هنا تفوق كمية أمطارها الشتوية مثيلتها الساقطة خلال شهور الصيف . وأنه باستثناء النطاق الغربي يسود الجفاف جزر اليابان . ورغم أن السهول الغربية أكثر تعرضاً للرياح الهابة من القارة من السهول الشرقية . إلا أنها أكثر دفئاً منها ، ومرد ذلك مرور فروع من تيارات اليابان الدفيء بمحازاة السواحل الغربية مما يعمل على رفع درجة حرارتها ، في حين يمر بمحازاة السواحل الشرقية تيار كمتشكا البارد مما يعمل علي خفض درجة حرارتها بشكل واضح . ويكثر سقوط الثلوج في كل النطاقات الواقعة إلى الشمال من طوكيو خلال شهور الشتاء ، وعموماً تتراوح المعدلات الحرارية خلال شهر يناير بين ١٥ْ ف في الأجزاء الداخلية من جزيرة هوكايدو في الشمال ، ٤٥ْ ف في الأجزاء الجنوبية من البلاد والتي تتميز بدفئها خلال شهور الشتاء بصورة عامة .

وترتفع درجة الحرارة خلال شهور الصيف بشكل كبير حتى أن معدلاتها تتراوح في شهر يوليو بين ٨٠ْ ف في الجنوب ، ٦٠ْ ف في الشمال . وتسقط الأمطار الموسمية الغزيرة على كل جزر اليابان خلال هذه الفترة من السنة لتعرضها لهبوب الرياح الموسمية

---

(٨) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٣١٧

الشرقية والجنوبية الشرقية ، وللأمطار الموسمية فى اليابان قمتان تتفق الأولى مع شهر يونيو والثانية مع شهر يوليو ، كما تغزر الأمطار بصورة نسبية خلال شهر سبتمبر[٩] .

وتنتمى الأطراف الجنوبية من اليابان للمناخ المعتدل الدفيء ، بينما تنتمى نطاقتها الوسطى للمناخ المعتدل البارد وقد انعكس ذلك على طول فصل النمو الذى يزداد طولا بالاتجاه صوب الجنوب فبينما يتراوح طوله بين ١٢٠ - ١٥٠ يوماً فى جزيرة هوكايدو بالشمال ، لا تعرف الأطراف الجنوبية من جزيرة كيوشو - الجنوبية - ظاهرة الصقيع نادرا .

واسهمت ملامح البيئة الطبيعية السابق الاشارة إليها أساساً فى امتداد النطاقات الجبلية العالية التى تشغل ٨٥٪ من جملة مساحة البلاد بالاضافة إلى غزارة الأمطار التى تسقط طول العام فوق النطاقات الغربية وخلال شهور الصيف فوق النطاقات الشرقية فى اثراء الغطاء النباتى الطبيعى فى اليابان . أساسا فى الغابات التى تغطى أكثر من ٦٠٪ من جملة مساحة البلاد حيث تشغل الغابات والحشائش مساحات واسعة تقدر بنحو ٢٨,٢٥ مليون هكتار .

وتتباين غابات اليابان بين القضية المنتشرة فى الجزر الجنوبية والسفوح متوسطة الأرتفاع فى هونشو والتى يشكل الزان ، الاستعداد ، القسطل ، البلوط أهم أنواعها الصنوبرية [المخروطية] التى تمتد أهم نطاقاتها إلى الشمال من دائرة عرض ٤٠° شمالاً ، بالإضافة إلى السفوح الجبلية مرتفعة المنسوب فى معظم جزر اليابان ، وبعد الصنوبر والشربين والسرو والأرز أهم أشجارها .

وكان لاتساع مساحة الغابات فى اليابان دور مباشر فى ضخامة انتاجها من الأخشاب والذى يتراوح بين ٤٧ - ٥٠ مليون متر مكعب كل عام[١٠] .

(٩) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٣١٨ .

(١٠) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٣١٩ .

اليـــابـــان

لمحـة عامـة

- يطلق اليابانيون على بلادهم اسم نيهون أو نيبون أى أصل الشمس

- تتكون من مجموعة من الجزر تمتد من الشمال إلى الجنوب. وهى هوكايدو، هونشو، شيكوكو، كيوشو إلى جانب عدد كبير من الجزر الصغيرة.

- مساحتها ٣٧٠ ألف كيلومتر مربع

- عدد سكانها ١٥٠ مليون نسمة

- العاصمة طوكيو ومن أهم المدن كيوتو، كوتشى، هيروشيما، ناجازاكى، كانزوا.

- تجاور روسيا والصين وكوريا .. ويطلق عليها بلاد الشمس المشرقة [١]

- أراضى اليابان جبلية لاتزيد مساحة الأراضى الزراعية فيها عن ١٦٪ من مجموع أراضيها، ويتوافر فيها الفحم بدرجة كبيرة وتكثر بها البراكين والزلازل وتغزر بها الأمطار وساحل اليابان كثير التعاريج يحازيه فى الشمال تيار بارد وفى الجنوب تيار حار.

- ينحدر اليابانيون من الجنس المغولى ، عدا شعب الإينو فى الشمال وتعتبر سلالات الاينو عنصرا ينتمى إلى أصول الجنس القوقازى، ولقد امتزجت هذه السلالات في اليابان حتى أصبح سكان اليابان أكثر الشعوب تجانسا، وبصفه عامة اليابانى قصير القامة ولهم جماجم عريضة.

- وأحياناً يطلق على اليابان بريطانيا الآسيوية وإن كان الفرق شاسعا فبريطانيا يفصلها عن أوربا ٣١ كم بينما أقرب مسافة بين اليابان وكوريا ١٧٧ كم وبينها وبين شواطئ الصين ٨٠٠ كم.

---

١ - اسماعيل أحمد ياغى ، تاريخ شرق آسيا الحديث، مكتبة العبيكان . الرياض ١٤١٥ / ١٩٩٤م ، ص١٢٣، فوزى درويش : الشرق الاقصى الصين واليابان ١٨٥٣ - ١٩٧٢م مطبعة الغباشى ، طنطا، ١٩٨٨،ص٢٦ .

...رة اليابان ما هى إلا رافدا من حضارة الصين ولكن نظرا لعزلة اليابان فقد ... هذه العزلة الابقاء على القيم الحضارية القديمة وتجاوزت النماذج المستعارة الواردة إليها من الصين، بل لقد مزقوا الحضارات واخضعوها للظروف اليابانية الوطنية والدليل على ذلك الزى اليابانى ، فن الطبخ ، المعمار اليابانى، أسلوب الحياة اليوميه، اللغة اليابانية فعلى الرغم من أستخدامها رموز الفكرة المستخدمة فى اللغة الصينية وأنها أستعارت كلمات منها إلا أنها احتفظت لنفسها بخاصية خاصة (١)

ولايعود تاريخ اليابان القديم أبعد من القرن السادس ق.م، وقد تشكلت وحدة اليابان ببطء (٢)، فاليابان قديماً كانت تتألف من وحدات مستقلة من القبائل والتى كان لها زعيم دينى يتولى منصبه بالوراثة، وحوالى القرن الأول الميلادى تمكنت أحدى هذه القبائل من السيطرة على بقية القبائل وفى القرن السادس الميلادى اتخذت هذه القبيلة الشمس شعارا لها كما اكتسبت هذه القبيلة من السيطرة على نواحي العلاقات الخارجية لليابان وبالمتاح صار لها حق إرسال أى قوات للخارج (٣).

فالامبراطور المقدس (الميكادو) يُعرف بابن الشمس ويمثل الآلهة على الأرض كما كان يمثل القانون، لكن سلطته منذ القرن السابع عشر تضاءلت إلا فى المدن فهو يعيش منعزلا فى كيوتو مع مجموعة من نبلاء البلاط (الكوجه) عيشة تقليديه فقيرة فكانت للطبقة الثانية وهم طبقة الدايميو - وهم بمثابة أمراء الاقطاع - وهى مؤلفة من ٢٥٠ عشيرة تسيطر تقريباً على كل الأراضى اليابانية، وبعد عدة اضطرابات برزت شخصية شهيرة فى التاريخ اليابانى تدعى مينا موتو - يوريتومو ، وفى عام ١١٢٩ . أنعم عليه الامبراطور بلقب س- تاى-شوجن ومعناها القائد الاكبر - قاهر البرابرة - منحه الامبراطور حق تعيين خلفا له فى هذا المنصب (٤)

١- فوزى درويش ، مرجع سابق ، ص ٢٧، ٢٨. ٢- اسماعيل باغى : مرجع سابق ، ص ١٢٣.

٣- فوزى درويش : مرجع سابق ، ص ٢٨

٤- نفسه ص ٢٩ ، تشستر بين : الشرق الأقصى ترجمة حسين الحوت مراجعة فريد عبد الرحمن سلسلة الألف كتاب رقم ٥٩، وزارة التربية والتعليم، القاهرة، ١٩٥٨، ص٢٧، ٢٨.

وهكذا أصبح أقوى هؤلاء الديمونات شوجنا يقيم فى بيدو (طوكيو) فيما بعد) ويحكم بمساعدة مجلس من رؤساء العشائر يطلق عليه (باكفو) .. وكان للدايمونات رجال مسلحون هم الساموراى وكان لدى أصغرهم ٢٠٠ رجل مسلح والاكبر كان لديه الآلاف.

وكانت العلاقة بين الامبراطور الميكادو والشوجن فريدة فى نوعها فالامبراطور هو الذى يحصل على سلطته من السماء وهو نظريا السيد المطلق ولكنه لايمارس أى سلطة .. أما الشوجن فكان يحكم طبقا لتفويض يمنحه الامبراطور .. وكان هذا التفويض يتجدد عند وفاة الشوجن فى صالح خلفه الذى يكون قد أختاره وإذا كان الامبراطور قد فقد سلطته الزمنيه فان دوره كرئيس دينى قد استمر وضمن له ذلك هيبة كبيرة.

شوجنة توكوجاو ١٦٠٠ - ١٨٦٨ م

تأسيس هذه الشوجنة

بعد موت هايديوشى بعامين قرر توكوجاوا أن رفع راية العصيان فعينه الامبراطور «شوجن» بعد أن احرز نصر حاسما على خصومه وأخذ توكوجاوا فى اخضاع بقية بلاد اليابان لسلطانه ولم يتمتع بالسلام إلا عاما واحدا قبيل وفاته .. وصادر أملاك حكام الاقطاع المنهزمين ووزع بعضها على أعوانه مكافأة لهم وظل هو من أكبر ملاك الاراضى فى اليابان.

حكومة توكوجاوا

أستطاع الشواجنة الثلاثة الأول من أسرة توكوجاوا بما أوتوا من قوة أن يحكموا اليابان بأنفسهم ولكن السلطة الفعلية تركزت بعدهم فى النظام الدكتاتورى القائم

حينذاك - وهو يقضى بوضع السلطة فى أيدى مجموعة من أصحاب المناصب التابعين بوضع السلطة فى أيدى مجموعة من أصحاب المناسب التابعين للشوجن -لا فى أيدى الشوجن نفسه - وهكذا كان تسلسل المناصب فى اليابان على الوجه التالى :

١ - الامبراطور .. وهو من الناحيـة النظرية الحاكم الزمنى والروحي لليابان ولكنه بدأ منذ القرن الثانى عشر يملك ولا يحكم وقد احتـفظ الامبراطور ببلاط منعـزل فى كيوتو وتناسته رعيته عدا الشوجن الذى كان يمارس سلطته وأشراف البلاط الامبراطورى.

٢ - الشوجن .. هو صاحب السلطة الفعلية مع كون الامبـراطور هو الذى يوليه هذا المنصب من الناحية النظرية - وكان يتلقى خلعه المنصب من الامبراطور .

٣- المجلس المخصوص .

كان الشوجن يؤدى مهام منصبه بواسطة المجلس المخصوص الذي يبسط سلطانه على الطبقة الارستقراطية اليابانية كلها - والواقع أن الشوجن وأعضـاد المجلس المخصوص يخضـعون لفـئة من أتبـاعهم ذوى المناحى وهؤلاء هم السـاموراى أو رجـال الحرب من عشيرة توكوجاوا وكانوا هم الحكام الحقيقيون.

٤ - الدايميو «الحكام الاقطاعيون فى الاقاليم»

كانت أكـبر سلطة فى اليـابان بجانب حكومـة الشوجن فى بدو «طوكيـو» هى سلطة الدايميـو وهـم الأشراف الذين يحـكمون الاقـاليم الدايمونيـات .. ويختـار أصلا الدايميـو بواسطة الشـوجن . من أسـرة توكـوجـاوا ولكنهم بمرور الزمن غـدوا حكامـا اقطاعـيين وراثيين.

٥- الســامــوراى

كانت الادارة الفعلية فى الاقطاعيات الصغرى «الدايميونات» يسيطر عليها اتباع الحاكم الاقطاعي المعروفين «بالساموراى» وكثيرا ما بسطوا نفوذهم على الدايميو «الحاكم الاقطاعى» كما كان الشوجن يبسط نفوذه على الامبراطور وهكذا ويمكن القول بأن الساموراى كانوا هم الطبقة الحاكمة الحقيقية فى اليابان كما كانوا هم رجال الحرب يشبهون فى ذلك فرسان العصور الوسطى بأوربا، غير ان الفارس اليابانى يمتاز بأنه كان محاربا قويا كما كان اداريا مثقفاً ولهذا كثيرا ما كان يفرض سلطانه على سيده وهذه الفائدة المزدوجة جعلت من الساموراى طبقة لها امتيازات عظيمة وكما ان الساموراى اعتمدوا فى معيشتهم على الدايميو فقد اعتمد هؤلاء على الساموراى فى احتفاظهم بمركزهم وسلطانهم (١)

ديانــات اليابانيـــين

تعددت ديانات اليابانين فمنها البوذية التى ظلت الديانة الرئيسية فى اليابان زمنا طويلاً ومنها الكونفوشية التى دخلت اليابان ولكنها لم تنتشر كدين.

وتعد المشتق الشنتو (طريق الالهة) هى ديانة اليابان المحلية قبل دخول البوذية والكونفوشية وأكبر الهه الشنتو قوى الطبيعة وعلى رأسها مجموعة إله الشمس وتنقسم هذه الديانة إلى عدة مذاهب تبدأ بالمذهب الرسمى للدولة ثم تتفرع إلى عدة فروع ثانوية ويعتقدون أن أول امبراطور لليابان هو حفيد آلهة الشمس وقد ورث الرمز المقدس لديانة الشنتو (المرآة ، السيف ، الجوهرة) وهذا الرمز يرمز للطهارة فى الضمير والشجاعة والاخلاص فى أداء الواجب. وهذا الرمز مقدس لدى اليابانين.

١- تشستر ا. بون : مرجع سابق ، ص ٣٠، ٣١، ٣٢.

كانت بداية نشر المسيحية عندما وصل البرتغاليون لليابان وتوالت بعد ذلك البعثات التبشيرية، وحارب اليابانيون المسيحية باعتبارها وسيلة لتشجيع الاتجار مع الأجانب وحرمت اليابان نشر المسيحية فى البلاد ١٦١٢م .. وحدثت التصادمات بين اليابانيين والمسيحيين الأوربيين ولذلك صدرت مراسيم يابانية عام ١٩٣٨ تضمنت فرض قيود على المسيحية وعقاب اتباعها وحرمت الاتجار مع الأجانب عدا الهولنديين والصينيين وقضت على الديانات الوافده من الخارج وكذلك منعت استيراد الكتب الأجنبية (١)

وصول الاسلام لليابان

لم يصل المسلمون إلى أبعد من شبه جزيرة شانتونج فى الصين شمالا ربما للتركيز على المناطق التى وصلوا إليها أو لنوعية السفن التى كانت مستخدمة وقتذاك أو للضعف الذى أصاب المسلمين وقتذاك أو غير ذلك من الأسباب .. وساعد على ذلك سياسة الانغلاق التى كانت تتبعها اليابان.

وبعد الانفتاح وصل بعض التجار المسلمين من الهند ولم يكن عددهم يزيد عن الأربعين وليس لديهم امكانيات نشر الدعوة الاسلامية فكان اثرهم ضعيفا.

وبعد انتصار اليابان فى الحرب الروسية اليابانية عام ١٩٠٥، شعر اليابانيون بتخلف ديانتهم الشنتوية اذ لا يمكن ان يكون الامبراطور ابنا لاله الشمس فاجتمع كبار اليابانيين لبحث الأمر فاقترح احدهم بالنظر فى كتاب حسان بن ينوس احد مسلمى الصين والذى زار اليابان ١٩٠٥. ولكن زعماء اليابان رأوا ان تكون الدعوة عامة لأصحاب مختلف الديانات ووجهت الدعوات للدولة العثمانية وايطاليا والمانيا وفرنسا وبريطانيا لترسل من تختاره المدعوة لدينها واستبعدت الروسيا لعداوة اليابان لها وبالتالى لم يحضر ممثلين لأنصار المذهب الارثوذكسى.

١-٣ اسماعيل ياغى : مرجع سابق ، ص١٢٥ ، ١٢٦.

نشستر بيرن : مرجع سابق ، ص ٣٧ - ٤٠.

وعقد المؤتمر برئاسة الامبراطور الياباني مونسوهيتو واتحدت الدول المسيحية ضد مندوب الدولة العثمانية عندما رأت أنه كسب الاتجاه العام بل اشيع ان الامبراطور سيعتنق الاسلام .. وطلب الامبراطور من السلطان عبد الحميد الثاني الخليفة العثماني ارسال دعاة للدعوة الى الاسلام.

وحضر الدعاه من مصر أحمد الفضلي، علي أحمد الجرحاني، ومن روسيا (سيبريا) عبد الرشيد ابراهيم وكان ذلك عام ١٩٠٨م واتصل عبد الرشيد برجالات اليابان واسلم على يديه عدد من الرجال البارزين وقاموا ببناء مسجد في طوكيو وتأسست جمعية للاشراف على هذا المسجد وشئون المسلمين

وعندما اطيح بالسلطان عبد الحميد ١٩٠٩ انقطع ما كان يصل لمسلمي اليابان من دعم اذ كان السلطان يعمل لفكرة الجامعة الاسلامية فاضطر عبد الرشيد الى مغادرة اليابان بعد ٧ أشهر [١]

وعندما احتلت اليابان منشوريا ١٩٣٧م اتصل بعض اليابانيين ببعض المسلمين بمنشوريا فاسلموا ومنهم (الحاج عمر ميتا) رئيس الجمعية الاسلامية السابق

وفي الحرب العالمية الثانية احتلت اليابان اندونيسيا وماليزيا وهي دول اسلامية أو بلاد بها مسلمين مثل الفلبين وتايلاند فاختلط اليابانيون بالمسلمين .. وبعد قيام الحكم الشيوعي في الصين ١٩٤٩م فر عدد من المسلمين من الصين الى اليابان كما وصل عدد من الدعاة الهنود والباكستانيين الى اليابان وكان أثرهم ضعيفا

- فلم يكن هؤلاء مؤهلين لهذا العمل

- اختلاف المذاهب الاسلامية لهؤلاء مما ادى الى اختلافهم وأضعف أثرهم

ويقدر عدد المسلمين في اليابان اليوم بأكثر من عشرين الف مسلم لهم عدة جمعيات

---

١ اسماعيل باغي : مرجع سابق ، ص ١٢٦-١٢٨.

الجمعية الاسلامية اليابانية، الجمعية الثقافية الاسلامية، المركز الاسلامي الدولي، المركز الاسلامي باليابان وله مجله شهرية «السلام» الى جانب مسجد بطوكيو

ولقد افتتح في طوكيو معهد لتدريس اللغة العربية يتبع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية بالمملكة العربية السعودية كما توجد مساجد اخرى في بعض المدن مثل كيوتو، كوشن، كوبى وختاما يتوافد اليابانيون على الجامعات المصرية لتعلم اللغة العربية وما عداها من العلوم بل يوجد قسم للغة اليابانية بكلية الآداب جامعة القاهرة (١)

البرتغاليون واليابان

وصل البرتغاليون الى اليابان عام ١٥٤٢م وكان أول من ترك على تلك الجزر

- انطونيو دي موتو
- فرانسسكو زيمورو
- انطونيو بيروتا

وكانت اليابان آنذاك تخضع لحرب اقطاعية بين الدايميونات وهم نبلاء الاقطاع باليابان وادت هذه الحرب الى القضاء على سلطة الميكادو والشوجن ولكن استطاع زعيم عسكرى هو اورانيو - بيوناجا ١٥٣٤ - ١٥٨٢م إنهاء هذه الحروب وانتقلت السلطة بذلك الى اسرة التوكوجاو (٢)

وصل البرتغاليون الى تلك البلاد وهم يلوحون بأسلحة حديثه فرحب بذلك الدايمونات الذين كانوا يقاتلون من أجل الاستقلال وكان الامل يداعب هؤلاء بتحقيق استقلالهم بمساعدة البرتغاليين .

---

١ - نفسه ص١٢٨.

٢ جاد طه، محاضرات فى تاريخ أسيا الحديث . ١٩٨٤ ص٥٤ بانيكار، آسيا والسيطرة الغربية . ص ٥٣
الغنى مرجع سابق، ص ١٢٩.

ولكن من حسن حظ اليابان ان البرتغاليين فى النصف الثانى من القرن السادس عشر لم يكونوا بالقوة التى تمكنهم من السيطرة اذ سرعان ما طردهم الهولنديون من ممتلكاتهم، نضف إلى ذلك نمو قوة اسرة نوبيوناجا ازال كل احتمال فى نجاح الحكام المحليين فى القيام بأى عصيان ولقد حرص الامبراطور على حسن علاقاته مع البرتغاليين وبعثاتهم التبشيرية فى البداية ولكنه لاحظ ان البرتغاليين قد أنزلوا مدافعهم الى البر لحماية المكان الذى تقيم فيه بعثاتهم التبشيرية ومن أدخلهم المبشرون الى المسيحية فما كان من الامبراطور الا أن حظر على المبشرين القيام بأى نشاط فى كل أرجاء البلاد ١٥٧٨ (١) ولما كان هيديوشى يقدر أهمية التجارة الخارجية حق قدرها فلم يقم بتنفيذ مرسوم عام ١٥٨٧ بالدقة الواجبة فأدى ذلك الى بقاء كثير من المسيحيين فى البلاد وازداد معتنقى المسيحية من اليابانيين إلى (٣٠٠,٠٠٠) ثلاثمائة الف حوالى سنة ١٥٩٥م (٢)

الأسبان واليابان

استقر الاسبان ببلاد الفلبين وفتحوا مجموعة الجزر الرئيسية، وكان لليابان علاقات تجارية مع الفلبين منذ أقدم العصور، ولم يكن الامبراطور هيديوشى يمانع فى الدخول فى علاقات تجارية مع السلطات الاسبانية لولا حادثة حالت دون ذلك هى أن إحدى السفن دفعتها الرياح إلى الشاطئ حيث أخذ قائدها يتحدث عن قوة الاسبان وأمجاد غزوهم للمكسيك وبيرو - وعلم بذلك هيديوشى، فأمر بجمع الاسبان وصلبهم فى نجازاكى متهما إياهم بالجاسوسية (٣)

---

١ - جاد طه : مرجع سابق ، ص٥٢، ٥٣.

[illegible] مرجع سابق ، ص ٣٨ ، ٣٩.

٣- بانيكار مرجع سابق ، ص٨٥، ٨٦

وبصفة عامة كان اليابانيون على علم بنشاط البرتغاليين والهولنديين والأسبان والإنجليز بجزر المحيط الهادى وبخاصة جزر الفلبين وملقا وجاوه وقد لقنتهم تلك الخطوب ضرورة معالجة أمر الأجانب بحزم وحرمانهم من أية فرصة تمكنهم من الحصول على موضع قدم بالأراضى اليابانية

وفى عام ١٦١٥م أرسل اليابانيون جاسوساً الى المناطق الجنوبية لكى يقدم التقارير عن نشاط الاوربيين هناك وقد زاد اهتمام اليابانيين بعملية التجسس لما سمعوه من أخبار عام ١٦٢٢ عن خطة لاسبانيا التغزو اليابان اذ كانت اليابان هى المنطقة الوحيدة فى المحيط الهادى التى تستطيع أسبانيا مهاجمتها دون الاحتكاك بادعاءات البرتغال أو توزيع البابا لأراضى العالم (١)

وكان رد الفعل هو ابعاد كل الاسبان من بلاد اليابان، ثم وضعت اليابان خطه حازمة بالقضاء على كل اليابانيين المسيحيين ولم تلبث البلاد ان اغلقت أبوابها لعدة سنين فى وجه جميع الأمم الأوربية على السواء (٢)

نضيف الى ذلك أن أسرة توكوجاوا التى تولت منصب الشوجنية لمدة ٢٦٥ عاما، كان ينافسها اسرة تشوتشو، اسرة ساتسوما ولذلك اصدر الشوجن قرار عام ١٠ ٧ بمنع الاتصال بالاجانب أو عقد معاهدات معهم او الحصول منهم على اسلحة لضمان أمن النظام القائم من ثورات النبلاء الاقوياء وكان لهذا القرار اثره فى منع كل اتصال مباشر بالشعب من قبل الاجانب وهو ما يفسر محاولات الاسبان والبرتغال الوصول الى اليابان واقامة علاقات تجارية مع اليابانيين من خلال النبلاء والامراء الاقطاعيين

١- بانيكار مرجع سابق، ص ٨٧.

وإسماعيل باغى، مرجع سابق، ص١٣١.

٢ جاد طه، مرجع سابق، ص٥٧

اليابان وهولندا والانجليز

لقد حاول الهولنديون عام ١٥٩٤ الدخول الى الصين، ولم يعرف اليابا... الهولنديين الا عندما جنحت سفينة هولندية على الشاطئ اليابانى وعامل «إياسو» ال... من ملاحيها وبحارتها بلطف وكرم وفى عام ١٦٠٩ أرسل ملك هولندا مبعوثا لل... عن تقديره للرعاية التى وجهت الى رعاياه ونتيجة لهذه البعثة سمح للهولنديين بمزاو... التجارة

واسس الهولنديون مركزا للتجارة فى هيرادو عام ١٦١١م . ووصل الإنجليز الى ... اليابان ١٦١٣ على السفينة كلوف التى يقودها الربان جون سارس ويحمل رسالة من الملك جيمس الاول للامبراطور وقوبل سارس بحفاوة واذن له بالتجارة وأسست دار تجارية انجليزية

وكان التنافس بين الشركات الاجنبية لصالح اليابانين الذين كانوا يفضلون المدافع المسبوكة الانجليزية .. وعلى أية حال فقد نجحت اليابان فى أن تتعلم من الشركات الأجنبية بقدر كبير لمعرفة التطورات العلمية فى الغرب (١)

---

١ - اسماعيل باغى ، مرجع سابق ، ص ١٣١ ، ١٣٢

انفتاح اليابان على العالم الخارجى

أولاً .. عوامل داخلية

فرضت العزلة على اليابان لمدة حوالى ٢٠٠ سنة ونعمت اليابان بالسلام واغلقت الأبواب فى وجه الاجانب حتى الخمسينات من القرن التاسع عشر ولم يستثنوا من ذلك سوى البرتغاليين والهولنديين بشروط صارمة.

كان محرما على اليابانى مغادرة البلاد وكانت عقوبة المخالف هو الاعدام ... وكان الدافع وراء هذا الانغلاق هو الخوف من انتشار المسيحية وزعزعة أركان حكمهم التليد ففى عام ١٦٣٠م كان التحذير من استراد أى كتب يرد فيها ذكر للمسيحية فى عام ١٦٣٥م كان حظر بناء سفن قادرة على الملاحة فى أعالى البحار ولكن كان من الصعب استمرار هذه العزلة وتضافرت عدة عوامل للقضاء عليها من أهمها :

- ساهم حكام التوكوجاو فى خلق طبقة تجارية كبيرة وأصبحت هذه الطبقة أغنى من رجال الدايميو (أمراء الاقطاع) والساموراى (حملة السيوف) وقد شعر هؤلاء الساموراى - الذين كانوا يتمتعون بالكثير من المزايا فى فترة الانغلاق - أنهم أصبحوا طبقة عاطلة فاشتغل بعضهم بالتجارة وتصاهروا مع طبقة التجار وباعوا صفة النبل لأبناء هؤلاء التجار واصبح لطبقة التجار من القوة التى سيطرت بها علي الطبقات الآخرى وارتبط التجار بطبقة النبلاء والامراء (ماذا تريد طبقة التجار ؟)

- أن القروض التى حصلت عليها الشوجنية من التجار للتغلب على المصاعب المالية اتاح لهؤلاء التجار للعمل على رفع مستوى طبقتهم الاجتماعية عن طريق شراء حق التبنى فى عائلات الساموراى النبيله وزوجوا بناتهم لابناء هذه الطبقة حتى اصبح الفارق بين الطبقتين غير ملموس فى بداية القرن التاسع عشر

- وجود بعض الشوجنية المستنيرين مثل يوشيمون فلقد أعلن أن اليابان بحاجة إلى الكتب العلمية واباح استيراد هذه الكتب فى عام ١٤٧١ صدرت الأوامر إلى اثنين من العلماء اليابانيين بدراسة اللغة الهولندية وقد تهافت رجال الساموراى على تعلمها بهدف الالمام بعلوم الطب والفلك والمساحة ورسم الخرائط ونظم التسليح من مصادرها الاصلية.

فى عام ١٨٠٣ أنشأت الشوجنية مكتبا متخصصا لترجمة الكتب العلمية الهولندية وكان ذلك بوادر الاتصال اليابانى بالغرب عن طريق الهولنديين وعلومهم وذلك قبل زيارة ببرى المريكى لليابان عام ١٨٥٣م.

- قامت اليابان بعد حرب الافيون بتعديل نظامها الصارم في مواجهة الأجانب فعدلت النظام الذى كان يقضى باطلاق النار على السفن التى ترسوا علي شواطئها دون سابق إنذار فأصبح الأمر أكثر تسامحا بل وسمحت للسفن الأجنبية بالتزود بالماء والزاد.

- كان من أثر دخول بعض المؤلفات الغربية إلى اليابان أن تقدم أحد حكام نجازاكى (وهى إحدى المراكز التجارية فى اليابان حيث صارت الميناء الوحيد الذى تتم فيه المتاجرة مع الأجانب) بطلب لحكومة الشوجنية للترخيص له بتعليم اللغة الهولندية التى يمكن أن يتولى تعليمها الوكلاء الهولنديون المصرح لهم بالرسو فى نجازاكى.. وفى القرن الثامن عشر تم وضع أول نواة للهولنديين الذين تعلموا الهولندية .. وقام هؤلاء بترجمة المؤلفات الهولندية العلمية وتناولت الترجمة فى الربع الأول من القرن التاسع عشر النواحى الفنية والعسكرية .(١)

وكلها أمور تدعو للتخلص من العزلة

---

١ - فوزى درويش : مرجع سابق ، ص٣٢ ، ٣٣

ثانياً .. عوامل خارجية

١- المحاولات الأمريكية لكسر عزلة اليابان

واجمالا فاذا كانت اليابان قد اتبعت بصورة عامة سياسة العزلة والانكماش ونظرت إلى الغرب نظرة الريبة والشك.. فان الولايات المتحدة لا أوربا هى التى حاولت فتح اليابان أما الغرب والحضارة الغربية [١]

- حاول التجار الأمريكان خلال الاربعينات من القرن التاسع عشر - وقد زاد اهتمامهم بتجارة المحيط الهادى - الوصول إلى اتفاقية مع اليابان تتضمن حسن معاملة السفن التى تجنح إلى الشاطئ اليابانى وفتح الموانى اليابانية للتجارة الأمريكية لاسيما تجارة المنسوجات [٢]

ومنذ عام ١٨٤٥ أخذ الكونجرس الأمريكى قرارا يدعو الحكومة لاتخاذ الاجراءات لوضع ترتيبات تجارية مع اليابان وأصر تجار نيويورك على تنفيذ القرار لاسيما بعد أن أصبحت الولايات المتحدة تطل على المحيط الهادى بضم كاليفورنيا إليها بعد حربها مع المكسيك ١٨٤٨م

وفي عام ١٨٤٦ أرسل الرئيس بولك الكومادور بدل Piddle ومعه قوة صغيرة لإقامة علامات تجارية مع اليابان والتى رفضت أستقبال البعثة [٣] وقد أدى فشل بعثة بيدل إلى زيادة الضغط فى الولايات المتحدة لإرسال وفد أقوى إلى اليابان وأدى سوء معاملة اليابانيين للأمريكان الناجين من السفن الغارقة . إلى قرار الحكومة الأمريكية بإرسال بعثة أمريكية جديدة [٤]

١- محمد محمود السروجي : سياسة الولايات المتحدة الخارجية منذ الاستقلال الى منتصف القرن العشرين ، اسكندرية ١٩٦٥ ، ص٦٥.

٢- عبد الغفار حسين ، مبدأ مونرو ومتغيرات السياسة الامريكية ج٢ ١٨٦٠ - ١٩٠٠ الطبعة الثالثة ١٩٩٨ ص١٦٠

٣- تشستر بين : مرجع سابق ، ص ٩٥ .

٤ السابق ، ص ٩٥ .

نضف إلى ذلك أن السفن التى تصطدم بالشاطىء اليابانى كان ملاحوها يعاملون كمجرمين ويجبر بعضهم على البصق على الصليب وبعضهم كان يحبس فى أقفاص ويعرض على الجمهور وكان من الضرورى حسم هذه المواقف الأمر الذى زاد اهتمام الولايات المتحدة باليابان منذ ١٨٥٠ (١)

بعثة الكومادور برى إلى اليابان ١٨٥٣م.

زادت الضغوط على الرئيس الامريكى فليمور فأرسل الكومادور ماثيو كالبريث برى Perry الى اليابان ومعه رسالة من الرئيس الأمريكى وهدايا ومجموعة من المصنوعات التى توضح مدى تقدم الحضارة الغربية وتضمنت التعليمات إلى برى بألا يلجأ إلى إستخدام القوة إلا عند الضرورة وألا يظهر بمظهر العنف أو الغرور (٢)

قام برى بدراسة كل ما يتصل باليابان وشعبها، وصمم على ارغام اليابان على احترامه، فأحاط نفسه بمظاهر الألهة والعظمة وخصص اسطولا قويا لمرافقته واصدر اوامره لمرءوسيه مؤكدا ان بعثته ذات أهداف سلمية ولن تستخدم القوة الا عند الضرورة (٣)

وصل برى الى خليج يدو Yado فى ٨ يوليو ١٨٥٣ ومعه أربع ورفض مقابلة الموظفين اليابانيين الا أرفعهم مقاما، كما رفض ان يرحل الى نجازاكى كما طلب منه، فاضطر الشوجن الى ارسال مندوب عنه ليتسلم خطاب فليمور والذى يتضمن المطالبة بامتيازات تجارية وانشاء محطات لتزويد السفن الامريكية بالفحم وحماية المواطنين الامريكيين الذين تصاب سفنهم بالغرق(٤)

وقال بيرى «ان كثيرا من السفن الحربية المقرر لها ان تزور اليابان لم تصل بعد الى تلك البحار وان كان يتوقع وصولها بين آونة وأخرى ولاظهار نواياه الودية قد حضر

١- عبد الغفار حسن، مرجع سابق، ص ١٦٠، ١٦١

٢- المرجع نفسه، ص ١٦١.

٣- اسماعيل ياغى، مرجع سابق، ص ١٣٤.

٤- فوزى درويش، مرجع سابق، ص ٥٧.

اسماعيل ياغى: مرجع سابق، ص ١٣٤.

بأربع سفن من الطراز الاصفر معتـزما اذا استلزم الامر ان يعود الى يدو فى الربيع القادم ومعه قوة أكبر»

قامت الحكومة بترجمة محتويات خطاب الرئيس فليمور وطرحته للبحث على رجال الدايميو لكى يقوموا باسداء المشـورة بشأنه فكانت نسبه ٢٥٪ من الردود تؤيد فتح ابواب اليابان للتجارة الأوربية و١٩٪ . لا تستـسيغ فكرة التجارة مع تجنب الحرب مع الأجانب و ١٥٪ ترفض طلبـات بيرى رفـضا باتـا .. وعلى الرغم من أن هذه الردود كـانت تمثل ٢٥٪ من الردود المتـوقعة، فـان الحكومة أخـذتها مـؤشرا لسيـاستـها وهى المقـاومة بكل الوسائل الممكنة ولكن مع تجنب الحرب مع الامريكيين .. ولذلك عندما عاد بيرى ١٨٥٤ وطلب موافاته بالرد الحاسم اما عقد معاهدة أو الحرب ورضخ اليابان للخيار الأول[1].

غادر بيري المياه اليـابان على أمل العودة فى العام التالى بقوة أكبـر ليتلقى رد الحكومة اليابانية وكانت طلقات مدفعية زسطوله بمثابة انذار .

وغادربرى الى اليـابان فى فبراير ١٨٥٤ .. بعـد أن أشيع ان اسطولا روسيا كـان يقوم بمناورة قرب اليـابان - وكان معه اسطول اكـثر عددا وبدون صعوبة دخل فى مباحـثات انتهت بمعاهدة كانا جاوا مع اليابان فى ٣١ مارس ١٨٥٤

كانت هذه المعاهدة أول معاهدة بين اليابان والدول الغربية وتضـمنت :-

١ - فتـحت اليابان امام الـتجارة الامـريكية مينائين صـغيريـن شيمـودا، هاكوداتى . وتدخل فيهما السفن الأمريكية لتتزود ويمكن لقباطينها ان يبيعوا ويشتروا السلع

٢- معاملة البحارة الامريكيين الناجين من السـفن الغارقة معاملة لائقة واعادتهم الى وطنهم

٣- الموافقة على تعيين ممثلين قنصليين اذا رأت أى من الدولتين ذلك ضروريا .

١- فوزى درويش : مرجع سابق ، ص ٥٨.

٤ - تعد اليابان بمنح الولايات المتحدة حق الدولة الأولى بالرعاية [(١)]

ولم تعطى هذه المعاهدة الامريكية أية ميزة قضائية، كما لم يسمح لهم بالتجارة المباشرة بل ظلت اليابان حرة فى ان تخضع علاقاتها التجارية للشروط التى تراها مناسبة، وسيقوم الموظفون بدور الوساطة بين التجار الامريكيين والرعايا اليابانيين

كانت هذه المعاهدة - رغم انها لا تفى بمطالب الامريكيين - هى البداية لكسر انغلاق اليابان الذى ظل حوالى ٢٠٠ سنه وكانت البداية لمزيد من المعاهدات - ووافق مجلس الشيوخ على هذه الاتفاقية فى ١١ يوليو ١٨٥٤ [(٢)]

وبذلك استطاعت الولايات المتحدة ان تخرج اليابان من عزلتها وان تسهم بنصيب كبير فى ان تتبوأ اليابان مركزا ممتازا فى منطقة الشرق الأقصى بعد عدة سنوات [(٣)]

واعتبرت هذه المعاهدة حدثا هاما فى اليابان لأنها أنهت سياسة العزلة التى عاشتها اليابان طوال قرنين من الزمان وقد اعقب هذه المعاهدة سلسلة مماثله من المعاهدات التى منحت اليابان بموجبها نفس الامتيازات لبريطانيا عام ١٨٥٤ والروس ١٨٥٥ والهولنديين ١٨٥٦.

وعرض الشوجن هذه المعاهدات لضعفه على الامبراطور ولم يوافق الامبراطور إلا بعد جهد بل ان رجال البلاط الامبراطورى الذين وافقوا على التصديق أظهروا رغبتهم فى ابقاء التجارة فى أضيق الحدود [(٤)]

وطبقا لمعاهدة كانا جاوا ارسلت الحكومة الامريكية المستر تونسند هاريس Town-send Harris كقنصل للولايات المتحدة وذلك فى عهد الرئيس بوكنان [(٥)] وعلى الرغم

١- اسماعيل ياغى : مرجع سابق ، ص ١٣٤ ، ١٣٥

وفوزى درويش : مرجع سابق ، ص ٥٨ ، تشستر : مرجع سابق ، ص ٩٦.

٢- عبد الغفار حسين : مرجع سابق ، ص ١٦١.

٣- محمد السروجى : مرجع سابق ، ص ٧٠

٤- تشستر بين : مرجع سابق ، ص ٩٦.

٥- محمد السروجى : مرجع سابق ، ص ٧١

وعبد الغفار : مرجع سابق ، ص ١٦٤ . واسماعيل ياغى : مرجع سابق ، ص ١٣٥

من فتور استقباله ولم ترسل اليه الولايات المتحدة رساله واحدة من وزارة الخارجية الامريكية مدة ثمانية عشر شهرا إلا أنه استطاع ان يحظى بالمثول امام الشوجن وهو أمر وميزة لم يمنح لاحد منذ عام ١٦١٣م ونال مكانة كبيرة لدى الشوجن ونجح فى عقد معاهدة تجارية عام ١٨٥٨ حققت مزيد من المكاسب للولايات المتحدة الامريكية [١] وكانت علامة حقيقية الانفتاح اليابان امام التجارة الخارجية وإقامة الأجانب بها، لقد استفاد هاريس من الكوارث التى حلت بالصين حين رفضت سياسة الانفتاح اثناء محاوراته مع الساسة اليابانين وكانت حكومة باكوفو تخشى تعرض اليابان للمتاعب التى عانت منها الصين مما جعلها تسارع بالتوقيع على اتفاقيات مماثله للمعاهدات التى فرضت على الصين [٢] وتضمنت المعاهدة عدة بنود

* أربعة موانىء جديدة للتجارة وهى كاناجاوا، نجازاكى، نييجانا، كوبى

* أعدت العدة لتبادل التمثيل الدبلوماسى.

* منحت الامريكيين المقيمين باليابان حق امتداد القوانين الامريكية - سواء فى القضايا المدنية أو الجنائية.

* حرمت تجارة الافيون .

* منحت الاجانب حرية التدين .

* أعدت العدة لوضع اتفاقية للتعريفة الجمركية ولكنها أعطت حق الانفضلية للمنتجات الامريكية .

* الاستمرار فى منح امريكا حق الدولة الاولى بالرعاية .

* أصبح للامريكيين حق الاقامة فى الموانىء التى فتحت لهم .

١- اسماعيل ياغى : مرجع سابق ، ص ١٣٧.

٢- ميجى إيسن اعداد ناجاى منشبو ترجمه عادل عوض سلسلة الالف كتاب الثانى رقم ١٠٨ ص ١٥.

* اصبح للامريكيين ان يمارسوا التجارة مباشرة ودون وسيط .

* اصبح للولايات المتحدة حق ان يكون لها ممثلا فى عاصمة الشوجن .

ولم يوافق اليابانيون علي هذه الشروط الا بعد أن هدد تونسند هاريس [1]

وكانت الاستفادة التى حصلت عليها اليابان بمقتضى هذه المعاهدة حقها فى شراء السفن التجارية والحربية والعتاد الحربى من الولايات المتحدة والاستفادة من الخبراء الامريكيين فالمعاهدة وثقت العلاقات الأمريكية اليابانية وساهمت فى تقدم اليابان حضاريا وعسكرياً [2]

من الشوجن .. الحاكم العسكري وجمعها شواجنه

من باكونو .. حكومة السلطة الشوجنية .. والمعنى الحرفى للكلمة حكومة الخيمة وهو ما يعكس الاصل العسكرى لحكم الشوجن ويحمل فكرة حكومة الطبقة العسكرية (ميجى ايشن الثورة الاصلاحية فى اليابان ص ١٢) .

* حصلت الدول الاخرى على حقوق مماثلة لتلك التى حصلت عليها الولايات المتحدة فى معاهدات

مع بريطانيا ١٨٥٤ ، ١٨٥٩م

روسيا ١٨٥٥ ، ١٨٥٩م

هولندا ١٨٥٩

فرنسا والبرتغال ١٨٥٤ ، ١٨٥٩ [3]

١- اسماعيل ياغى : مرجع سابق ، ص ١٣٥ ، ١٣٦

عبد الغفار : مرجع سابق ، ص ١٦٢.

٢- محمد السروجى : مرجع سابق ، ص ٧١

٣- اسماعيل ياغى : مرجع سابق ، ص ١٣٦ ، عبد الغفار : مرجع سابق ص ١٦٢

وهكذا انفتحت اليابان أمام ضغط النفوذ العربي ولشعورها بعجزها بعد قرنين من الانغلاق ولقد ذكر الشوجن في مذكرة كتبت في مارس ١٨٥٨ عن توقع الصدام بين اليابانيين والدول العظمى «أن هذه الحرب ستكون بدون أي أمل، واذا حاولت اليابان فانها لن تصبح مهددة فقط بدولة عظمى واحدة بل وبالعالم أجمع»

ومن ناحية أخرى فان اليابان كانت في حاجة إلى تنمية مواردها الاقتصادية وقواتها العسكرية فلقد ذكر الشوجن"فيمكننا بعد ذلك ان ندخل في مجموع الدول ونعقد الاتصالات مع تلك الدول التي قد تكون متطابقة مع مبادئنا ويمكن بهذه الطريقه ضمان الموقف الوطني لليابان والذي يمكنه ان يلعب دورا في العالم ويصل الى مستقبل عظيم»

رد الفعل الشعبي للمعاهدات مع الدول الأجنبية

* قامت حركة معارضة قوية بعد توقيع المعاهدات السابقة التي وقعها حكومة الشوجن، ولم يستطع الشوجن إزاء ذلك أن يوقع علي معاهدة ١٨٥٨ مع الولايات المتحدة دون أخذ رأى الامبراطور، وانتهز أعداء أسرة التوكوجاوا الفرصة والحوا على ضرورة أخذ رأى الامبراطور في هذا الصدد وهي السلطة التي أهملت منذ قرنين من الزمان

* اعتقد الشوجن أن البلاط الامبراطوري سوف يتأثر بالحجج التي سيبرر بها عقد المعاهدة.. ولكن حدث العكس وعارض نبلاء البلاط في أمر منح الامبراطور سلطات كاملة للشوجن من أجل التفاوض مع الاجانب .. ولكن لم يكن لذلك تأثير في توقيع المعاهدة

* لقد تعالت صيحات المواطنين اليابانيين ضد الاجانب ومعاهداتهم وامتيازاتهم وطالبوا بطردهم وكان زعماء القوات المعارضة هم عشائر ساتسوما ، تشوشو ، هيزن ، توسا ويشار اليهم غالبا بمجموعة ساتشوهيتو

* اشتدت حركة المعارضة للأجانب

---

١ - ناجال منشيو : الثورة الاصلاحية ، (ميجى اشن) ، ص ١٦ ، ١٧

وتمثلـــــت فى تيارين :

١ - التيار الأول .. متعصب ضد الأجانب فاليـابان قد خضعت امام اسهديد الخارجى دون مقاومة وان انفتاح اليابان يؤدى بالتبعيـة الى ارتفاع أسعار المعيشة فـالمشتريات التى سيشتريها الاجانب تقلل من وجود المواد الأولية والغذائية .. ويتسبب كذلك فى حروب عـملة الذهب اذ ان عـلاقـة القيـمـة بين الفـضـة والذهب هى ٨ : ١ بينمـا هى فى اوربا والولايات المتحدة ١٥ : ١ بمعنى أنه فى وسع اوربا ان تحضر الفضة وتبادلها بالذهب فى اليابان وكان تهريب الذهب بهذه الصورة يثير قلق الجماهير مما وسع قاعدة معاداة الأجانب.

كما ساعدت التجارة التى جلبها الغربيون لليابان وسعيهم لترويجها داخل البلاد على زيادة مـعدلات التـضـخم وأثر ذلك على العـمال واصحـاب الرواتب فى الوقت الذى طالبت فـيـه الحكومة من العـمـال بالتخلى عن بعض رواتبـهم لجمع الاموال للانفـاق العسكرى وتعرضت الحكومـة لضغوط داخلية للاقلال من امتيـازات الأجانب وضغوط خارجية لكبح جـماح الحركة المعادية للاجانب ولم تنجح الحـكومة فى كلا الاتجاهين .. لقد تقـدم الغربيـون بمطالب للتعـويض عمـا تعرضوا لـه من إرهاب فاعطتهـم الحكومة الكثير بينما وعدت الشعب باعطاء القليل لاولئك الغربيين [١]

٢ - التيار الثانى فكان أقل حدة من التيـار الأول ويتمثل فى إعادة السلطة للامبراطور وتحطيم نظام الشـوجن تبعـا لذلك .. وتمثل ذلك فى نبـلاء البلاط الامـبراطورى وكـبار الدايميو الموجـودين في الجنوب الغربى الذين كـانوا اكثر من غيـرهـم استقـلالا عن اسرة التوكـوجاوا .. وكانت حـجتهم واضـحة هى فشل نظام الشـوجن فى حمـاية البلاد من الأخطار الخارجيـة .. الامر الذى يدعو الى توحيد السلطة فى أيدى الامبـراطور للحفاظ على استقـلال البلاد وهاجم الوطنيون الاجانب والموظفين التـابعين لهم بين عامى ١٨٥٨ ، ١٨٦٥ وبلغ هذا الهجوم الدرجـة القصوى سنة ١٨٦٢م فلقد قـتل رتشاردش الانجليزى على أيدى سـاموراى عـشـيرة سـاتسـوما وإزاء ذلك طـالـب البريطانـيون من الشـوجن وعشيرة ساتسوما .

---

١ - ناجال متشيو : الثورة الاصلاحية ، (ميجى اشن) ، ص ١٦ ، ١٧.

دفع تعويض.

٢- محاكمة القتلة وإعدامهم

ولقد وافقت حكومة الشوجن على دفع التعويض ولكنها اعترفت بعجزها عن معاقبة الجناة.. فتحركت وحدات من الأسطول البريطانى إلى خليج (كاجوشيما) وضربت المدينة بالقذائف (وهو ميناء تابع لعشيرة ساتسوما) فى أغسطس ١٨٦٣م وترتب على ذلك أن قامت ساتسوما بدفع الغرامة للبريطانيين.

وفى أغسطس ١٨٦٣ اطلقت القذائف اليابانية على سفن هولندية وفرنسية وأمريكية لمنعها من عبور مضيق شيمونوسكى لتنفيذ الأمر الإمبراطورى الصادر فى ٢ فبراير ١٨٥٩ الذى اعتبر أن أمر الإنفتاح أمر مؤقت وعلى ذلك فعلى حكومة الشوجن أن تعود إلى سياسة الانغلاق وبالتالى تبدأ الاستعدادات من أجل طرد الأجانب.. فقامت الأساطيل الأجنبية فرنسية، بريطانية، أمريكية، هولندية بضرب ميناء شيمونوسكى وهو ميناء تابع العشيرة تشوشو وتدمير وسائل الدفاع التى أقامتها عشيرة تشوشو تدميراً كاملاً[١] فتخلت تشوشو عن معاداة الأجانب بل وطلبت المساعدة فى الحصول على أسلحة أجنبية.. وإزاء هذه الأعمال الهجومية من قبل الدول الغربية ضد اليابان ونزولاً على رغبتها فى عقد المعاهدات التجارية، فقد وافق الامبراطور على المعاهدات سلمياً[٢] وهكذا أجبرت اليابان على إحترام تعهداتها مع الدول الغربية [٣]

وإزاء التدخل الأجنبى ضعف مركز الشوجن، كما أخذ دايميو الجنوب الغربى وهم عشائر ساتسوما، تشوشو، هيزن، توسا على اضعاف الشوجن (التوكوجاوا) وساندوا

١- اسماعيل ياغى : مرجع سابق ، ص ١٣٦ ، ١٣٧ ، ١٣٨

inazo mitobe , Japan , London , 1931 , P.101

٢-١ سماعيل ياغى مرجع سابق ، ص ١٣٨ + تشستر بين ، مرجع سابق ، ص ٩٩.

٣ السروجى : مرجع سابق ، ص ٧٢.

الامبراطور فى إستعادة سلطته والقضاء على الشوجن وعينوا مستشارين للامبراطور وفعلاً وجه الامبراطور إلى الشوجن (يوشينوبو Yashinbo وكان عمره ٢٨ سنة) وكان الامبراطور (موتسوهيتو وكان عمره ١٤ سنة)

- بطلب من الدايميو الأربعة- خطاباً كتبه له المستشارون.. شرح فيه حالة الفوضى التى تعانيها البلاد وأرجعها إلى ثنائية السلطة وأنه من الضرورى لكى تستعيد البلاد قوتها توحيد الادارة لصالح الامبراطور ولم يقاوم الشوجن فما لبث أن تنازل فى ٦ نوفمبر ١٨٦٧ عن سلطاته وقدم استقالته [١]

لقد أدرك يوشينوبو أن الوقت لم يعد فى صالح النظام الذى يمثله وتنازل عن موقعه ودمينياته فى البلاد إلى السلطة الشرعية [٢]

وخوفاً من محاولته استعادة السلطة قامت قوات الديميونات الأربعة الكبار للجنوب الغربى بمحاصرة الحصن الذى يقيم فيه الشوجن السابق وما لبث أن أصدر الامبراطور مرسوما امبراطوريا فى ٣ يناير ١٨٦٨ بإلغاء وظيفة الشوجنية كما قضى على آخر جيوب مقاومة الشوجون السابق يوشينوبو فى يونيو ١٨٦٨م

ونقطة هامة فى هذه المرحلة من الصراع أن الدول الغربية لم تتدخل بشكل مباشر فى الصراع بين الشوجن والامبراطور ولكنها أسهمت بشكل غير مباشر فى دعم الامبراطور ودايميو الجنوب الغربى بإعطائهم معلمين عسكريين لتدريب قواتهم على النظم العسكرية الحديثة

... وهو موقف يدعو للتساؤل فحكومة الشوجن هى التى قبلت الانفتاح فى اليابان بينما كان الامبراطور ولسنوات عديدة يقاوم ذلك ومن ناحية أخرى فإن دايميو الجنوب الغربى هم الذين جعلوا الدول الكبرى تقوم أعوام ١٨٦٣، ١٨٦٤، ١٨٦٥ بمظاهرة

١- بانيكار : مرجع سابق ، ص ٢١٩.

٢- inazo mitobe , op.cit , P.101

ثم بل أن الوزير البريطاني المفوض الكوك Alcock قد رأى في نهاية ١٨٦٤ مصلحة الغرب تقتضي المحافظة على الشوجن.

ولكن يبدو أن تغيير الحكم الامبراطوري واتصال مستشاري الامبراطور بالمفوضية البريطانية وتأكيدهم إنه ليس هناك رغبة في التراجع عن القرارات التي اتخذت من قبل المتعلقة بالانفتاح وكان ذلك عاملاً أساسياً في تطمين الدول الغربية (١١)

ونستطيع أن نجمل أسباب سقوط الشوجنية في عدة نقاط:

١- العصيان المسلح للفلاحين وهو ما أنذر بسقوط حكومة الشوجن وبزوغ المد الديمقراطي .

٢- كان الدايمونات حريصين على أن يكون له وريث حتى لا تعود أملاكه للدولة وبالتالي أصبح وجود المحظيات بشكل قانوني وكثيراً ما يحدث تنافس شديد بين الأولاد الشرعيين وأولاد المحظيات على من سيرث الإقطاعيات.. وهو أمر يصعب استمراره إلى الأبد.

٣- إن زيارة الكومادور بيري عام ١٨٥٢ قد أظهرت مدى ضعف الشوجنية التي فقدت أساس احترامها الذي كان لها في البداية.

٤- إن البلاط الامبراطوري وعدد كبير من الدايميونات كانوا يودون الاطاحة بنظام الشوجنية عند أول فرصة أو على الأقل بشوجنية التوكوجاو وأصبح كثير من هؤلاء يناقش حق الشوجنية في التفاوض مع الأجانب وتعالت الصيحات بطرد البرابرة (الاجانب) وسقوط الشوجنية.. وإذا كان الشوجن يخشى القوى الأجنبية التي عقد معها المعاهدات (الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا وهولندا) فإنهم مستعدون لمواجهتهم (٢)

١- بانيكار : مرجع سابق ، ص ٢١٩

٢- inazo mitobe ,op.cit , PP. 99 - 101

لقد استعاد الامبراطور سلطته ١٨٦٨ واصدر ما سمى بالميثاق التعاهدى لكى يهدئ شعور القلق فى البلاد والتزم فى هذا الميثاق بتطبيق المبادئ السياسية والاجتماعية لصالح الجميع واستخدام اكفأ الرجال لتطوير اليابان

ولاشك ان هذا التغيير يرجع الى دور المصلحين من مستشارى دايميو الجنوب الغربى (اكوبو ، سايجو ، جونو) او من نبلاء البلاط (ايواكورا) Iwakura وكانت هذه المجموعة تهدف الى :-

١ - إعادة السلطة للامبراطور

٢- تغيير المنظمات السياسية والاجتماعية فى اليابان على قواعد غربية لبناء قوة اليابان وتحريرها من النفوذ الغربى بعد أن تعرف كيف تفيد منه. فهؤلاء لم يكونوا ضد الانفتاح بل كانوا معادين فقط لنظام الشوجون

ومن ناحية أخرى كانت باليابان رغبة اصيلة للحصول على معارف الغرب وكانت جهود جماعة الدنجا - كوشا وهى جماعة من العلماء الذين درسوا فى هولندا وظلوا مهتمين بالعلوم الغربية والمجموعة الضخمة التى نشرها هؤلاء دليل على وجود فئة لا تحمل ضغائن - عكس الصينيين - ضد العلم الاوربى وأنهم آمنوا ان الحرص على حياتهم القومية يستلزم استثمار العلوم الاوربية ونشرت هذه الجمعية بين الناس معلومات ضخمة فى كافة الفنون والعلوم والرسم ، الخرائط ، الجغرافيا ، الفنون العسكرية ، الطب ، الفلك ، علم النبات مما اوجد تهيئة شعبية لتقبل مرسوم للامبراطور بحماس والذى دعاهم فيه الى تقبل المعرفة من اى مكان [1]

من ناحية ثالثة فان ساموراى عشائر الجنوب الغربى : ساموراى ، شوشو ، ساتسوما اعتقدت بتفوق الأسلحة الغربية واصبحوا يعتقدون بضرورة فتح البلاد للتجارة الاجنبية

---

١ بانيكار . مرجع سابق ، ص ٢١٩

يضاف الى ذلك ان نتائج حرب الافيون فى الصين كانت ماثلة أمامهم وكان الدرس الاول الذى اعطاه الغرب لليابان هو ضرورة الدفاع عن نفسها بالسلاح وبالتالى أصبح التسليح أمرا ضروريا [1]

العهد الامبراطورى ١٨٦٨

ولد الامبراطور موتسو - هيتو Moutso - Hitto فى ٣ نوفمبر ١٨٥٣ ولم يستخدم هذا الاسم فى اليابان بل كان يلقب بلقب الامبراطور موتسو - هيتو وكان متفتحا ومن ثم نعت عهده بالميجى اى الحكم المستنير

وفى الحقيقة تعد الميجى إيشن نقطة تحول فى التاريخ اليابانى ، فرغم ان الأحداث الحقيقية التى دفعت ١٨٦٨ لم تكن سوى مجرد تغيير ضئيل فى ميزان القوة داخل الطبقة الحاكمة القديمة فلا يجب ان نغفل أن الميجى إيشن قد أنهت سطوة الطبقة المحاربة ، واحلت نظام مركزى تسانده السلطة التقليدية فى البلاد ويحكمه ملك عصرى محل نظام الاقطاع القديم الذى اعتمد على اللامركزية فى الحكم وقد خطا قادة الاصلاح خطوات جزئية نحو بناء الدولة وجعلها قوة كبيرة على المستوى الاقليمى والعالمى [2]

ولا شك ان هناك فارق كبير بين الصين واليابان فلقد كتب اللورد «يلجن» لا شك ان هناك نتيجة واحدة للفرق بين عادات الصينيين وطرائق احساسهم وبين ما لليابانيين من عادات وطرائق هى أنه بينما الصينيون يتأخرون باطراد وسيظلون فى أغلب الظن يفعلون ذلك حتى تتمزق امبراطوريتهم إربا ، فإن اليابانيين اذ لم يكونوا فعلا فى حالة تقدم مطرد فهم فى حالة تسمح لهم بالاستفادة من فيض الضياء الذى أوشك ان ينصب عليهم انصبابا وأن يحسنوا الاستفادة من تلك التحسينات والاختراعات التى ينظر اليها

١- inazo mitobe , op.cit., P.101

٢- تاجاى متشيو : الثورة الاصلاحية فى اليابان (ميجى ايشن)

الصينيون نظره الاحتقار والسخرية والتى سيتمكن بها اليابانيون عندما يعرفوننا معرفة احسن أن يقتبسوا من هذه التحسينات ويستخدموها(١)

لقد ادرك اليابانيون ضعفهم السياسى والعسكرى ونسبوه الى التأخر فى المهارة العلمية والفنية وضعف تأثير التعظيم السياسى ولذلك رحبوا بالمساعدات الغربية وكرسوا جهودهم للحصول على المعلومات والتطبيقات الفنية الغربية بل لتفهم الاساس العلمى الضرورى للتقدم المادى (٢)

لقد اعلن الامبراطور مرسوم القسم أو ميثاق الاصلاح فى خمس نقاط عامه

١- يجتمع مجلس على اساس واسع ويكون ذلك مؤكدا لاهمية الرأى العام

٢- تقوم كل طبقات الشعب من حكام ومحكومين ببذل جهود دائمة لصالح الامة كلها

٣- سيبذل كل الافراد وكذلك الموظفون المدنيون والعسكريون وغيرهم من الناس قصارى جهدهم ولن يكلوا فى الوصول الى غايتهم المشروعة

٤- ينبغى التخلى عن كل عرف أو عادة سخيفة وستنظم كل الاعمال وفقا للعدالة والاستقامة

٥- ستطلب المعرفة من كل صقع من أصقاع العالم وبذلك يتقوى اساس دولتنا الامبراطورية(٣)

وتم نقل العاصمة من كيوتو الى يدو «التى سميت طوكيو» تأكيدا لنبذ الماضى وترتب علي هذا النقل ان أصبحت البيروقراطية التى كانت مركزة فى يد من قبل تحت سلطة

مرجع سابق ، ص ١

١- بانيكار : مرجع سابق ، ص ٢١٧ ، ٢١٨.

٢- نفس المرجع ، ص ٢١٨

٣- بانيكار : مرجع سابق ، ص ٢٢٠

نوزى درويش مرجع سابق ، ص ٦١ ، ناجال متشيو : مرجع سابق ، ص ٢٣

الامبـراطور التامة ، كمـا اصبح البلاط الامبـراطورى فى بيئة تنبض بالحـياه بأكبر مُـركز تجارى فى اليابان[1]

كما اعلن الامبراطور عن انشاء علاقات دبلوماسية مع الدول الاجنبية وحذر من قتل الاجانب والاعـتداء عليهم ، فكل من اقـدم مستـقبلا على قـتل الاجانب او ارتكاب أى عمل من اعمال العنف معهم لن يكون مضادا فى تصرفه لاوامر جلالته فحسب بل يكون سببا فى جلب الويلات القومية فى نظر دولة المعاهدات التي صرح جلالته بانه مرتبط بها برباط الصداقة» [2]

مجالات الاصلاحات الامبراطورية

ولقد تميـزت هذه الاصلاحـات بالعمل على تقـدم اليابان وفق النظم الغـربية دون ان تفقد اليابان تقاليـدها وشخصيتها .. وتولى حركة الاصلاح جـماعة من المثقفين من أهل البلاد يساعدهم خبراء ومستشارون أجانب

وتناولت هذه الاصلاحات

أولاً الناحية السياسية

* إلغاء اقطاعيات الدايميو ١٨٦٨

لقد اتخذت الحكومة عـدة خطوات لتحقيق التجانس بين الاقطاعيات توطـئه لتوحيد البلاد ، واصدرت الأوامر لتوحيد نظم الادارة وفصل الامور الشخصية عن الامور العامة والميزانية ، ثم قـامت بتعيين السادة الاقطاعـيين السابقين كمحـافظين .. وفى خريف عام ١٨٧٠ اصـدرت الحكومـة أوامرها بإجـراء اصـلاحـات فى إدارة الاقطاعـيـات وقـامت بتصنيف الاقطاعـيات حسب حجمها .. فـهناك الكبيرة والمتـوسطة والصغيـرة وفى عام

١ – تشستر بين : مرجع سابق ، ص ١٠١.

٢ – بانيكار : مرجع سابق ، ص ٢١٧ .

١٨٧١ ألغت الحكومة نظام الاقطاعيات لتبدأ عملية توحيد البلاد وإعادة تقسيم المدن. فبعد ان كانت تضم ٢٥٠ اقطاعية أصبحت تضم ٥٠ ولاية فقط [1]

ولتعويض الدايميو عن الايرادات التى كانوا يحصلون عليها من مناطق نفوذهم ، اصبحوا يتسلمون معاشا من الدولة يساوي عشر هذه الايرادات وكان هذا التعويض كافيا ماداموا لا يتحملون مصاريف ادارة مناطق النفوذ كما تم منح رجال الساموراى من أتباعهم معاشات كذلك

ومنذ ذلك الوقت أصبحت الدولة وحدها هى التى تمارس السلطات العسكرية والادارية ، وحلت محل المقاطعات أقسام إدارية على رأس كل منها موظف حكومى تعينه الحكومة المركزية وتحرر الفلاحون نهائيا من حقوق السادة وحصلوا وبملكية من الدولة على الاراضى التى كانت فى حوزتهم حتى ذلك الوقت من السيد الاقطاعى ، وكان عليهم دفع الضرائب للامبراطور واستسلام اصحاب الامتيازات لهذه الاجراءات التى قضت على النظام الاقطاعى قد يرجع الى الولاء للامبراطور والاحساس بالمصلحة الوطنية .. وقد يرجع الى ان اصحاب الامتيازات قد اعتقدوا انهم سيربحون من التغيير ومن تحولهم الى اصحاب معاشات فى الدولة واعتقدوا ان هذا المعاش سيفوق ما كانوا يحصلون عليه من ايرادات

ولكن الارجح هو ميزان القوى على السياحة اليابانية ، فكانت الحكومة الامبراطورية تحظى بتأييد الدايميونات الكبار فى الجنوب الغربى ولديهم قوات مدربة ومجهزة ولم يكن فى وسع الدايميو الآخرين ابداء أية مقاومة

* آصدار دستور جديد

فى ١١ فبراير ١٨٨٩ اصدر الامبراطور الدستور فتحولت اليابان من نظام اقطاعى إلى ملكية دستورية فى خلال عشرين عاما تقريبا.

---

١ - ناجال منشيو . مرجع سابق ، ص ٢٤

ولم يتخذ هذا الدستور وهو وليد «إيتو» من أى دستور آخر نموذجا له ، وان كان تأثير الدستور الانجليزى والالمانى ظاهرا فى كثير من مواده .. ولكن كان هناك اعتبارين تسلطا على ايتو ومستشاريه الاول الاحتفاظ بسلطة العرش سليمة غير منقوصة والثانى اقناع العالم بأنه اصبح على رأس اليابان حكومة ونظاما دستوريا (1)

وفى الحقيقة لو نظرنا الى المسرح السياسى الاوربى ، نجد أن قضية الديمقراطية لم تكن مسألة حيوية عام ١٨٨٩ فالامبراطورية الالمانية بقيادة بسمارك لم تدع ان لها دستورا ديمقراطيا بل كانت تقوم على الحكم الاستبدادى لملك بروسيا ، وكان الاستبداد سائدا فى امبراطورية النمسا وقيصرية الروسيا ، حتى فى انجلترا موطن الديمقراطية كان التصويت مقيدا .. وبالتالى كان على اليابان ان تأتى بدستور لا تخف موازينه عند مقارنته بدساتير الدول الملكية فى اوربا (2)

وكان الاعتقاد السائد ان اتخاذ اليابان للنظام الدستورى سوف يعطيها مكانة كبيرة فى العالم احترام الدول لها ودليلا على نضجها وترتفع الى مصاف الدول الأوربية الكبرى ويكن ذلك أيضا وسيلة لاقناع الدول العظمى لالغاء معاهداتها والتى كانت تحد من سيادة اليابان

وفى عام ١٨٨١ اصدر الامبراطور مرسوما يعد بتأسيس برلمان على النمط الغربى كأساس للنظام الجديد .. وكانت أولى الخطوات - بناء على دراسة ايتو للنظم السياسية فى أهم الدول - فى عام ١٨٨٥ يوم أوجدت وزارة لتتولى شئون الحكم فى البلاد ثم تلى ذلك انشاء مجلس للبلاط مكون من الشخصيات البارزة والسياسيين ذوى الخبرة على غرار المجلس البريطانى ويحمل نفس الاسم ثم تلى ذلك اعلان الدستور عام ١٨٨٩ (3)

---

١ - بانيكار : ص ٢٢٣ .

٢ - نفس المرجع والصفحة

٣ - نفس المرجع والصفحة

١ - السلطة التنفيذية

يرأس السلطة التنفيذية الميكادو (الامبراطور)

لقد كان التوفيق بين مركز الامبراطور ونظام الحكم البرلمانى أمرا صعبا .. ولكن ايتو ومن معه لم يجدو فى ذلك تناقضا فلقد نصت اولى مواد الدستور

«الامبراطورية يليها ويحكمها سلسلة من الاباطرة لا تنقطع إلى أبد الأبدين» ونصت المادة الثانية على « ان الامبراطور مقدس ولا يجوز المساس به» وعلق ايتو على هذه الفقرات بقوله «ان العرش المقدس تأسس يوم فتق الله السموات عن الارض ، والامبراطور سليل السماوات ، وهو الهى ومقدس وهو يسمو ويتصدر فوق كل رعاياه» (١)

وحيث ان الامبراطور شخصية مقدسة فلا يمكن ان تقوم الى جواره مسئولية برلمانية .. فهو الذى يختار رئيس الوزراء ولم تكن سلطة رئيس الوزراء تمتد الى وزير الحربية والبحرية فهم مسئولون مباشرة امام الامبراطور .. والوزراء مسئولين أمامه وحده وكان المقصود من الدايت ان يمكن الامبراطور من تحقيق رغبات شعبه والوزارة مسئولة امام العرش (٢).

السلطة التشريعية.. البرلمان «الدايت»

تتكون من مجلسين

* مجلس أعيان (الشيوخ) يعين أعضاءه بحكم المنصب والمكانة من امراء الاسرة الامبراطورية واعضاء مجموعة النبلاء الجديدة التى انشئت بمقتضى مرسوم ١٨٨٤ (وقد أعطيت القاب النبل للدايميو السابقين ولنبلاء البلاط السابقين وبعض رجال الاصلاح الذين أدوا خدمات لاعادة السلطة للامبراطور ويعين هؤلاء مدى الحياة بواسطة الامبراطور .

---

١ - نفس المرجع : ص ٢٢٣ ، ٢٢٤

٢ - نفس المرجع : ص ٢٢٤

* مجلس نواب منتخب ... أعضاؤه ممن يدفعون مقدار معينا من الضرائب (يدفعون ١٥ ين ضريبة مباشرة) ويبلغ عدد هؤلاء ٤٥,٠٠٠ مواطن من مجموع يصل وقتذاك ٤٢ مليون نسمة

* لم يكن الدايت يستطيع رفض الميزانيات اللازمة للجيش والبحرية ولتسيير الادارة ولدفع ارباح الديون

* ضمن الدستور الحريات الأساسية ، الحرية الشخصية وحريه الصحافة (بعدة شروط يحددها القانون)

الاحزاب السياسية

تشكلت الاحزاب السياسية فى الفترة ١٨٨٠ الى ١٨٩٠م وهى :

* الحزب الليبرالى أو حزب الاحرار الي الغه ايتاجاكى ١٨٨١م وكان يدافع عن السيادة الشعبية وتشجيع الحكومات الدستورية والنيابية

* الحزب التقدمى (كايشنتو) الذى كونه الكونت أوكوما ١٨٨٢ وهو يقلل من شروط الانتخاب

* الحزب الدستورى الامبراطورى .. يوافق على مجلس وطنى ولكن بشرط ان يحتفظ الامبراطور بحق الاعتراض المطلق

ثانيا الناحية القضائية

* انشأت الحكومة ادارة للقانون الجنائى ونظمت الادارة القانونية

* وضعت الحكومة قانون للاجراءات المدنية

* تم وضع قانون للاجراءات الجنائية

* تم فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية

* تولى رئاسة السلطة القضائية محامون مدربون

وجاءت هذه الاصلاحات القضائية من جانب حكومة اليابان لكى تتخلص من قيود معاهدات الامتيازات [1]

ثالثا الناحية الاجتماعية

* قضت الحكومة على مميزات طبقة الدايميو ، ففقد هؤلاء ما كانوا يتمتعون به من حق ضرب النقود، كما فقدوا ممتلكاتهم ووزعت اراضيهم على الفلاحين كما فرض عليهم هدم قصورهم المحصنة

* كما فقد الساموراى امتيازاتهم القليلة كحق حمل سيفين

* تحرر الفلاح من العبودية واصبح حرا فى زراعة ما يراه من محاصيل

* فتح باب العمل على مصراعيه لجميع الرجال على السواء

* اصبح الجميع متساوون امام القانون

* ولقد اندمج النبلاء فى الدوائر المالية الكبرى بما لديهم من رأس مال ضخم من معاشاتهم المستبدلة

* انضم الساموراى الى الطبقة الوسطى وطبقة الزراع تبعا لما يمتازون به من قدرات وما لديهم من رأس مال

* أصبحت حرية العمل مكفوله للجميع بعد ان كانت ابواب بعض المهن مقفولة امامهم.

ومن الطبيعى ان هذه التحولات لم تكن سهله ميسوره فقد عبر النبلاء عن استيائهم بعدة ثورات كان أخطرها ثورة ساينو التى تم القضاء عليها ١٨٧٧م كما اغتيل الوزير المصلح أوكوبو عام ١٨٧٨م [2]

---

١ - سماعيل باغى : مرجع سابق ، ص ١٤٠ ، ١٤١ ٢- اسماعيل باغى : مرجع سابق ، ص ١٤١ ، ١٤٢

رابعاً الناحية الاقتصادية

استفادت الحكومة بصورة كبيرة من المدرسة الغربية

١- فى مجال النقل البرى والبحرى

كان انشاء نظام للنقل أمرا ضروريا لتحقيق هدفين

أ- تحقيق الوحدة الاقتصادية فى البلاد

ب- ضمان الدفاع الوطنى

تقررت الحكومة منذ عام ١٨٧٠ انشاء خطوط للسكة الحديد لتربط بين - طوكيو / يوكوهاما ، كونى / أوساكا

واقرضتها بريطانيا الاموال اللازمة لذلك

وفى عام ١٨٧٨ قامت اليابان ببناء خط يربط بين طوكيو / كوبى وشجعت الحكومة القطاع الخاص فى هذا الصدد حتى تمكنت فى خلال عشرين عاما من اقامة شبكة طولها ٧,٢٠٠كم

ومن ناحية النقل البحرى دعمت اسطولا البحرى بالشراء والتصنيع اذ إنشأت دار الصناعة البحرية فى اليابان

كذلك انشأت خطوط التلغراف والتليفون منذ عام ١٨٦٩/ ١٨٧٠ عن طريق مشروعات حكومية وما أن حل عام ١٨٨٠ حتى كانت المدن قد ارتبطت بخدمة تليفونية وتلغرافية كامله أى فى خلال عشر سنوات

خامسا فى مجال الصناعة

كان اهتمام اليابان بالصناعة لعاملين :-

١- لم تكن اليابان ترغب فى الاعتماد علي الغير بخصوص تسليح جيشها

٢- عدم رغبة اليابان فى ترك الاجانب يستغلونها ويحصلون منها على السلع الغذائية مقابل سلعهم الصناعية

كانت اليابان فى حاجة إلى

رؤوس أموال ، تقنية أجنبية ، كادر يابانى

ان مشكلة تدبير رؤوس الاموال كانت عقبة كبيرة امام الحكومة فالدخل من التجارة الخارجية محدود نظرا لسياسة الانغلاق ومع ذلك عزفت اليابان عن التوسع فى سياسة الاستعانة بالقروض الخارجية ففى الفترة الممتدة من عصر النهضة حتى نهاية القرن التاسع عشر لم تعقد اليابان سوى قرضين كبيرين من انجلترا الاول قيمته مليون جنيه استرلينى عام ١٨٧٠ لتمويل بناء الخط الحديدى بين طوكيو - يوكوهاما والثاني ٢,٤ مليون جنيه استرلينى.ولقد تم سداد القرضين الاول منذ عام ١٨٨١ فصاعدا والثانى عام ١٨٩٧م

قامت الحكومة عام ١٨٧٣ بإنشاء نظام ضريبى جديد وفرضت ضريبة عقارية على الارض بعد تقييمها بنسبة ٣٪ من قيمة الارض وليس على المحصول الناتج من الارض وتحملها ملاك الأراضى الى جانب تحويل مشروعاتها ذات الطابع الاجتماعى من استقطاع جزء من دخول طبقة الساموراى والخلاصة ان اليابان اعتمدت علي التمويل الداخلى بنسبة كبيرة لاحداث النمو الاقتصادى والعسكرى [1]

واستعانت اليابان بالخبرة الاجنبية المتخصصة ولكن لفترة محدودة معتمدة بعد ذلك على الكوادر اليابانية

واستغلت اليابان كافة امكانياتها ، استغلت الفحم فى هوكايدو ، أنشأت المصاهر الامبراطورية وهى اكبر منشأة تعدينية فى اليابان ١٨٩٢ ، أنشأت مصانع للمنسوجات

١- فوزى درويش : مرجع سابق ، ص ٧٤.

القطنية وغطى انتاجها عام ١٨٩٠ نصف الاستهلاك المحلى واصبحت اليابان فى خلال ١٨٦٨ - ١٨٩٨ اى فى خلال ٣٠ عاما اكبر دولة صناعية فى آسيا .. ومن الطبيعى لا يمكن مقارنتها بالتقدم الصناعى فى اوربا فى ذلك الحين.

لقد ظهرت فى اليابان أول آله غزل ميكانيكية ١٨٧٠ ، وأول معمل للورق ١٨٧٤ .. وواصلت اليابان تطورها الصناعى حتى بلغ عدد العمال اليابانيين فى المناجم بـ ٢٥٠ الف عامل .. وبعد ان اتمت الصناعات الاساسية كالتعدين والصلب وصناعة السفن أقيمت الصناعات الخفيفة كصناعة المنسوجات وغيرها بقصد انتاج سلع للتصدير (١)

وساعد على تقدم صناعة المنسوجات الحريرية ما أصاب دود القز فى اوربا من مرض واستغلت اليابان تلك الفرصة لتطوير هذه الصناعة الى جانب صناعة المنسوجات القطنية والصوفية

واستطاعت اليابان كسر حاجز التخلف والدخول فى فلك التقدم الاقتصادى والفنى وما استتبع ذلك ودفعت الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ ، ١٩٠٥ التقدم فى الصناعات الثقيلة بوجه خاص واصبحت هذه الصناعة بعد الحرب العالمية الاولى مربحة بشكل كبير وامكنها استغلال المواد الخام فى كوريا ومنشوريا (٢)

ونقطة جدير بالاهتمام فى هذا المجال اذ صدرت الاوامر فى اكتوبر ١٨٨٠ ببيع كافة المشروعات التى تمتلكها الحكومة للافراد عدا السكة الحديد ، الخدمات التلغرافية، الترسانة البحرية .. وتم بيع هذه المشروعات باسعار أقل من تكلفتها فمثلا مصانع الاسمنت فى منطقة فوروكاوا Furukawa تم بيعها بـ ٢٥٠ الف ين فى حين كانت تكلفتها ٤٦٨,٠٠٠ ين .. وكان الهدف هو أن تخفف الحكومة عن كاهلها أعباء بعض المشروعات التي يمكن للافراد القيام بها .. وكانت سيطرة الحكومة على النظام المصرفى كفيلة بقدرتها على توجيه النشاط الاقتصادى .

١- اسماعيل ياغى : مرجع سابق ، ص ١٤٢ ، ١٤٣

٢- فوزى درويش : مرجع سابق ، ص ٧٥.

سادسا الناحية العسكرية

نظمت الحكومة الجيش على اساس غربي وخاصة النظام الالماني واستعانت بالخبرة الأجنبية في التدريب العسكري ، وجعلت الخدمة العسكرية اجبارية مدتها ١٢ سنة منها ٣ اعوام خدمة فعلية ، وانشأت الكليات العسكرية وكذلك تم بناء اسطول بحرى على غرار الاسطول البريطاني ، واقيمت معامل الاسلحة والبارود ومسابك الحديد .

ووصلت القوة العسكرية اليابانية الى درجة كبيرة رجحت كفة اليابان فى حربها مع الصين ١٨٩٤ / ١٨٩٥م [١]

سابعاً فى مجال التعليم

كان البند الخامس من الاعلان الامبراطوري لعام ١٨٦٨م يتضمن «السعى لجمع المعرفة من بين الامم وبذلك تترسخ الامبراطورية» وكان دافع الحكومة فى هذا المجال ان الشعب الذى يتشر التعليم بين أبنائه هو وحده الذى يمكنه من تنفيذ الاصلاحات الفنية والعلمية .

- تم انشاء وزارة للمعارف ١٨٧١ وقامت بوضع نظام للتعليم يحقق هذا الهدف واصبح التعليم فى المرحلة الابتدائية ملزما

- وتم انشاء مدارس فنية عليا للطب والملاحة والزراعة والتجارة وصيد الاسماك

- ارسلت البعثات الى الخارج .. فلقد ارسلت اليابان مجموعة من الطلاب لينهلوا من علوم الغرب وكانت اعظم هذه البعثات بعثه ايواكورا Iwakura التى غادرت اليابان ١٨٧١ ومكثت سنتين فى الولايات المتحدة واوربا وكانت تتكون من ٤٨ عضواً ، ٥٤ طالبا وضمت الي جانب رئيسها شخصيات هامة مثل ايتو ito الذى صار من ابرز قاده اليابان فيما بعد [٢]

١- اسماعيل ياغى : مرجع سابق ، ص ١٤٤ ، فوزى درويش : مرجع سابق ، ص٧٢.

٢- فوزى درويش : مرجع سابق ، ص ٦١.

- اهتم الامبـراطور بالمتعلمين ووضعهم فى الوظائف المناسبة واستدعـى الخبراء من جميع الجنسيات لكى تصبح اليابان اقوى الامم فى العالم

- لم يكن الفضل يرجع للحكومة وحدها فقد تأسست جامعات خاصة

- انتشـرت الصحف والمجلات والكتب وكـانت اول جريدة لليـابان ١٨٧١ وبعد ٤ سنوات كان باليابان مئة جريدة ومجلة

واصلاحات كـثيرة قامت بها اليـابان .. ابطلت البوذية كديانة رسميـة وحلت محلها ديانة الشنتـو ولكن دستور ١٨٩٩ كـفل حرية العـقيدة للجـميع مـا دام الدين لا يعرض النظام والسلام للخطر (١)

واصلحت السجون واعيد تنظيمهـا .. ودخلت الملابس الغربية وكان الامر فى البداية صعبا ومثيرا للضحك حتى لبسها الامبراطور والامبراطورة (٢)

دور الاجانب فى التنمية باليابان

استخدمت اليابان الخبراء الاجانب كل فـى تخصصه ففى اعادة بناء الاجهزة الادارية كان الخبير بواسوناد Boissonada كما قام خبـير أمريكى بتنظيم التعليم David Murray دافيـد مورى ... وكان تدريب الجـيش على يد خبراء فـرنسيين ثم المان .. وكان الخـبراء الانجليز فى البحرية الحربية .

واستخدم الخبراء الانجليز فى الصناعات القطنية .

واستخدم الخبراء الانجليز والامريكان فى الصناعات المنجمية .

والخبراء الانجليز والالمان فى الصناعات التعدينية .

والخبراء الفرنسيين والايطاليين فى صناعة الحرير .

وكان هناك خبراء من النمسا والسويد ... الخ .

١- اسماعيل باغى : مرجع سابق ، ص ١٤٣

٢- نفس المرجع ص ١٤٤

واجمالا كان بالحكومة ٥,٠٠٠ موظف اجنبى منهم ما لا يقل عن ١٣٠٠ يشغلون مناصب عالية . والشئ الذي كانت اليابان تحاول ان تتعلمه من هؤلاء الخبراء الاجانب هو كيف تصبح امة قوية ولذلك كان عزم الحكومة علي تقصير مدة عمل هؤلاء الخبراء ونجحت فى ذلك وحل الشباب اليابانى والذين ارسلتهم الحكومة فى بعثات علمية الى أوربا محل هؤلاء الخبراء مما اتاح لليابان ان تتحرر اقتصاديا من الوصاية الدولية [1] ولقد تحملت الخزينة اليابانية مرت الخبراء الاجانب ففى عام ١٨٧٢ كان هناك ما يزيد عن ٢٠٠ خبير وكان يدفع لهم مرتبات بلغت حوالى ٥٣,٠٠٠ جنيه ولم يكن هذا المبلغ هينا إذ تذكرنا ان دخل الحكومة بلغ ٥,٢٠٠,٠٠٠ جنيه منهم حوالى ٣,٤٠٠,٠٠٠ جنيه كانت مخصصة وواجبة الأداء للقضاء على الاقطاع فيتبقى من جملة الدخل ما لا يزيد عن ٢,٠٠٠,٠٠٠ جنيه للمصاريف العادية [2]

الغاء المعاهدات غير المتكافئة التى عقدتها الدول مع اليابان .

ادى التطور الاقتصادى والتكنولوجى الهائل الذى حدث فى اليابان الى شعور اليابانين بالتفوق وتزايد وعيهم بالشخصية اليابانية وتركزت المشاعر فى حب الوطن

وكان غرض اليابانين هو اقناع الدول الأوربية ان اليابان تقترب من مستوياتهم وان اليابانين اصبحوا اوربيين فى كل شئ عدا لون البشرة وذلك للتخلص من هذه المعاهدات فكانت اليابان مستعدة لعمل كل شئ فى سبيل ذلك .. وقاموا بالاصلاحات المختلفة .. وكانت المعارضة الرئيسية فى سبيل الغاء هذه الامتيازات من بريطانيا وتعمد اليابانيون تجنيد أنفسهم لاسترضاء تلك الدولة وتملقها ، لذلك انتشرت فى تلك الايام بدعه جديده وهى ان يشيروا الى انفسهم بأنهم بريطانيو الشرق وتم تشجيع دراسة اللغة الانجليزية بشكل خاص ... الخ .

١- بانيكار : مرجع سابق ، ص ٢٢٠

٢- inazo mitobe, op.cit, P 100

وكانت البداية تسوية بعض المشاكل مع دول أوربا وامريكا فى الأرخبيل اليابانى

- فالولايات المتحدة اثناء بعثه بيرى قد رفعت العلم الامريكى على جزر بونين وهى تقع جنوب يوكوهاما بـ ٩٠٠ كم وتم حل المسألة وتخلت عنها الولايات المتحدة ١٨٧٣

- فى عام ١٦٠٩م اخضع دايميو ساتسوما جزر ريوكيو ونالت استقلالها عام ١٦٣٧م ولكنها كانت تدفع جزية للدايميو وكذلك الصين

وفى عام ١٨٧٥م احتلت اليابان الجزر وضمتها اليها ١٨٧٩م واحتجت الصين .. توسطت الولايات المتحدة وتم حل المشكلة باعتراف الصين بالحقوق اليابانية بهذه الجزر

- كانت جزيرة سخالين كانت موضع نزاع بين الروسيا واليابان وقد اقام بها الروس بعض المراكز لموقعها القريب من سيبريا لحماية المنشئات الروسية على ساحل سيبريا ووافقت حكومة الشوجن لضعفها ١٨٦٢ على تقسيم الجزيزة لتأخذ روسيا القسم الشمالى منها وكان الامر موضع نزاع مستمر لعدم وضوح الحدود .. واخيرا سويت المسألة عام ١٨٧٥ بمعاهدة تنازلت فيها اليابان عن مطالبها فى سخالين مقابل اعتراف الروسيا بحق اليابان بجزر كوريل وكان ذلك اول اتفاق دولى تقف فيه اليابان على قدم المساواة مع دولة كبرى [١]

لقد نصت معاهدة ١٨٥٨م على امكانية اعادة النظر فى بنودها منذ عام ١٨٧٢ وبالتالى كان هناك اساسا قانونيا لاعادة النظر فى هذه المعاهدات

كان الاجانب يتمتعون بميزتين

- الاعفاءات القانونية والقضائية .. اى عدم خضوعهم للقانون اليابانى بشكل عام
- تدخل الدول فى تحديد الرسوم الجمركية فى اليابان

١ - بانيكار : مرجع سابق ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

* ارسلت اليابان عام ١٨٧٢ بعثة الامير ايداكورا الى الولايات المتحدة وأوربا لحل هذا الموضوع ولكنه لم يحل الا فى عام ١٨٩٤ .

* تمثل العرض اليابانى أنه فى حالة موافقة الدول على الغاء نظام الاعفاءات القضائية وتكون اليابان حرة فى تقدير رسومها الجمركية فان اليابان ستفتح كل موانيها أمام التجارة الأجنبية وتلغى كافة القوانين التى تمنع نشر الدين المسيحى وسترحب بالبعثات التبشيرية .. ورفضت الدول .

* فى عام ١٨٧٨م اعلنت الولايات المتحدة استعدادها للتخلى عن البنود الخاصة بالجمارك والتى نص عليها اتفاق ١٨٦٤م اذا وافقت الدول الأخرى على نفس الشئ .

* كانت الصعوبة الرئيسية التى واجهت اليابان فى سبيل تعديل المعاهدات غير متكافئة الأطراف هو تماسك الممثلين الدبلوماسيين فى الشرق الأقصى ومناصرة الدول بعضها بعضا مع معاملاتها مع الحكومات الاسيوية (عدا الروسيا) .

فمثلا عندما تفاوضت اليابان عام ١٨٧٣م فى معاهدة مع ايطاليا تبيح للرعايا الطليان بالسفر داخل اليابان ووافقت ايطاليا فى مقابل ذلك على تعديل الامتيازات القضائية حتجت الدول وحال ذلك دون التصديق على المعاهدة .

ومثال آخر .. وقعت الولايات المتحدة مع اليابان ميثاقا اعترفت فيه بمساواة اليابان لها كان ذلك مثار استياء الدول الأخرى [1] .

وبالتالى كان على اليابان ان تتفاوض مع كل دولة على حده .

---

١ - بانيكار : مرجع سابق ، ص ٢٢

وفى نفس الوقت تطور تشريعاتها ونظامها القضائى بصورة لا تجعل ذلك عائقا أمام المطالبة بالغاء الامتيازات.

* رأت اليابان - كما سبق الاشارة - فى تطوير تشريعاتها كخطوة لاقناع الدول علي التخلي عن امتيازاتها القضائية ، وأعد الفقيه الفرنسى «بواسوناد» القانون الجنائى والاجراءات الجنائية واخذت فى تطبيقها منذ عام ١٨٨٠م. ولكن كان رد فعل الدول كان ضعيفا اذ وافقت الدول على التخلى التدريجى عن نظام الاعفاءات القضائية مقابل وجود قضاة غربيون فى المحاكم اليابانية حتى عام ١٩٠٣م

* فلقد جرت مفاوضات مستمره مع الدول على يد وزراء الخارجية خاصة على يد الكونت إينويى ١٨٧٩ - ١٨٨٧م ولم تتمخض هذه المفاوضات عن نتيجة ذات قيمة ، وعلى أية حال فنتيجة لما قام به اليابانيون من الرعاية لقضيتهم فى بريطانيا وتملقهم لها ، أبدى اللورد جرانفيل الموافقة الحذرة ازاء مطالب اليابان

* افتتح فى طوكيو مؤتمر عام ١٨٨٦م لاعادة النظر فى هذه المعاهدات ومهدت اليابان ببذل المساعى لانجاح المؤتمر وحصلت علي تأييد أمريكا وبريطانيا والمانيا .. واسفرت هذه الجهود فى النهاية على الموافقة بعدة شروط منها ما ينص على ضرورة وجود قضاة أجانب فى المحاكم اليابانية التى تحاكم الاجانب فضلا عن عدم إعطاء الحرية كاملة لليابان بالنسبة للأمور المتعلقة بالتعريفة الجمركية

* رفض الرأى العام هذه الشروط وقطعت المفاوضات عام ١٨٨٧ واستقالت الوزارة

* وقام وزير الخارجية الجديد أركوما بمفاوضة كل دولة على حده وتوصل فى عام ١٨٨٩ الى مشروع اتفاق مع الولايات المتحدة نصت فى بنودها العلنية على الغاء النظام القضائى فى مدة خمس سنين والسماح لليابان بزيادة الرسوم الجمركية ولكن نصت فى بنودها على تواجد قضاة أجانب فى المحكمة العليا اليابانية واصدار القانون المدنى بعد عرضه على الحكوم الامريكية - ولكن جريدة التيمس Times فى لندن نشرت البنود

السرية فاشتدت المعارضة ووافقت الحكومة مفاوضاتها تحت ضغط الرأى العام وتعرض أوكوما لمحاولة اغتيال واستقالت الوزارة ورفض الدايت هذه الشروط وبدا واضحا ان الدايت لن يتساهل فى مطالبه .

* قامت الحكومة الجديدة بإصدار عدة قوانين جديدة بخصوص الملكية وقانونا تجاريا مستوحى من القانون الألمانى لاقناع الدول بهذه المتغيرات لالغاء معاهدات الامتيازات وركزت مفاوضاتها مع انجلترا بدلا من سياسة التفاوض الجماعى وساعد على ذلك عوامل خارجية :

١ - تولى حزب الاحرار الوزارة فى بريطانيا وكان اكثر استعدادا للتفاهم مع اليابانيين

٢ - أخذت الحكومة الروسية فى انشاء السكك الحديد عبر منشوريا واعتقدت الحكومة الانجليزية بامكانية اتخاذ اليابان كنقطة ارتكاز ضد التوسع الروسى فى الشرق الأقصى .

* وبالتالى اسفرت جهود اليابان مع بريطانيا عن معاهدة لندن فى ١٦ يوليو ١٨٩٤ وتضمنت عدة نقاط أهمها .

١ - الغاء النظام القنصلى القضائى فى مدة خمس سنوات وبشرط ان تتمم اليابان وضع قوانينها خلال هذه الفترة

٢ - السماح لليابان بزيارة رسومها الجمركية بداية من عام ١٨٩٩ بنسبة تتراوح بين ٥ ، و ١ ٪ طبقا لنوعية السلع

٣ - تعهدت اليابان فى مقابل ذلك بالمساواة فى الحقوق بين اليابانيين والأجانب فيما يتعلق بالاقامة والتجارة وسارت الدول الاخرى على نفس المنهج فكانت اتفاقيات اليابان مع الولايات المتحدة (ديسمبر ١٨٩٤) ومع المانيا (٤ ابريل ١٨٩٥) وروسيا (٨ يونيو ١٨٩) وفرنسا (٤ أغسطس ١٨٩٦).

ويجب الاشــارة أيضا الى ان خروج الـيابان منتصــرة فى حربهـا مع الصين ١٨٩٤ / ١٨٩٥ كان عاملا ساعد على قوة موقف اليابان فى هذا الصدد

* كانت نقطة الضـعف فى هذه المعاهدة هو وضع حـدود للرسوم الجمـركية بمعـرفة الدول لليابان وقد تخلصت من هذا القيد عام ١٩١١م

الحرب اليابانية الصينية ١٨٩٤ / ١٨٩٥م

سبق القول عن الاصلاحات الامبراطورية والتطـور الاقتصادى اليابانى تبعا لذلك بما أدى الى شعور اليـابان بقـوتهـا وبالتالى اخـذت الاهداف القـديمة تتـحرك ازاء كـوريا رنشوريا وجزر المحيط الهادى .. وحيث ان اليابان جـاءت متأخرة إلى معترك الدول الكبرى فانها كانت تطمع فى أن تقتسم مع هذه القوى جانبا من القارة الآسيوية ورغـم أن انجلترا قد تصدرت لأول محـاولة يابانية للتوسع فى فرموزا ولكنها نجـحت فى أن تضـم إليها جذر ريوكيو Riou - Kiou عام ١٨٧٤ م ثم ما لبث أن وجهت أهتمامها صوب كوريا [١].

لقد ازداد التدخل الأجنبى فى الصين بمقـتضى معاهدة نانكين Nankin ١٨٤٢ والتى أنهت حرب الافيـون والمعاهدات اللاحقة .. وتكالبت الدول للفـوز بنصيب من أراضي الصين، وكانت المنافسة شديدة بين إنجلترا وروسيا فـإلى جانب ما استولت عليه بريطانيا نتيجة حرب الانيون فقد استولت بحلول عام ١٨٨٥ على ماليزيا وبورما

اما الروسيا فقد تنازلت الصين لها عن الاقالـيم الواقعة شمال نهر أمور التى تكون ما يسمى بالمقـاطعات البحـرية بما فيها ميناء فيلاديفـستك Vladivostok .. وفى الفترة بين ١٨٦٧ - ١٨٨٥ استـولت فرنسـا على الهند الصينيـة (فيـتنام / كمـبوديا / لاوس) .. واهتمت كـذلك الولايات المتحـدة بهذه المنطقـة .. وتطلعت اليابان لـتأخذ نصيـبها هى الأخرى .

---

١ - فوزى : مرجع سابق ، ص ٧٩.

دوافع اليابان للتوسع الاستعماري

بصرف النظر عن دوافع هذه الحرب فهى من أبرز عوامل تولد الثقة لدى اليابانيين نتيجة لما نقلوه من الغرب من التكنولوچيا المتطوره لاسيما فى المجال العسكرى، فسال لعابهم الى المغامرات العسكرية والتوسع في المنطقة وكانت هذه الحرب أول تجربة ولدت فيهم الثقة فلقد انتصر الجيش اليابانى وكان عدده حوالى سبعين ألفا من الجنود بينما بلغ تعداد الجيش الصينى مليون جندى (١)

لقد لجأت اليابان الى التوسع الخارجي حيث كانت معرضة لانفجار سكانى وخلاصا من هذه المشكلة وللحصول على المواد الأولية اللازمة للصناعة وفتح اسواق امام انتاجها المتزايد .. اتجهت هى الأخرى الي الصين ولا سيما كوريا لموقعها الهام اذ تعتبر معبرا سهلا يؤدى الى اراضى منشوريا الفنية بثرواتها الزراعية والمعدنية فضلا عن مواردها الطبيعية

كوريا بين الصين واليابان

كانت كوريا تخضع لسيادة الصين وظل امبراطور كوريا (١١مليون نسمه) يتقبل برضى لمدة لا تزيد عن ٣٠٠ سنه حماية امبراطور الصين ويدفع الجزية السنوية له .. وقد حاولت عدة دول الاستيلاء علي كوريا كفرنسا اذ قام أحد الفرنسيين بغزوها ، ولكن فرنسا سرعان ما تخلت عنها، كما حاول احد الامريكيين الاستيلاء على بعض التحصينات الساحلية ولكن سرعان ما عاد أدراجه

كان لليابان أيضا ادعاءات فى كوريا فقد جرت العادة لقادة كوريا أن يرسلوا البعثات السياسية فى المناسبات الرسمية تحمل الجزية لامبراطور اليابان

---

١ - نفسه ص ٨٠

وفى ستى ١٨٦٠ ، ١٨٦٢ عاملت كوريا بعثتين يابانيتين معاملة سيئة وتعالت الصيحات بضرورة ارسال حملة تأديبية على كوريا ولكن الامبراطور لم يستمع الى هذه الصيحات

لقد بدأ الصراع بين اليابان والصين بالنسبة لكوريا منذ منتصف القرن التاسع عشر ولكن القوى المحافظة فى اليابان منعت القوى الوطنية المتطرفة من الدخول فى حرب مع الصين بسبب كوريا ١٨٧٣ بدعوى ان قوى اليابان الاقتصادية والسياسية لم تتدعم بعد [1]

وعلى أية حال عقدت اليابان مع كوريا عام ١٨٧٦ معاهدة نصت فيها على أن كوريا دولة مستقلة وهو ما يعنى عدم الاعتراف بتبعيتها للصين مما يمهد الهجوم اليابانى على كوريا فيما بعد

لقد أدى الصراع اليابانى الصينى على كوريا ، أن انقسمت الدوائر الحاكمة بكوريا الى فريقين اتجه كل فريق ليناصر أحدهما .. فبينما كان البلاط الكورى محافظا وواليا للصين .. كانت هناك قوى أخرى تميل الى اليابان كنموذج يجدر الإقتداء به وكان الصراح بين الاتجاهين [2]

وفى عام ١٨٨٢ حدثت عدة اضطرابات فى كوريا ، وتم الاعتداء على المفوضية اليابانية فأرسلت الصين واليابان بقواتها الى كوريا لاقرار الأمن .. وعلى أية حال تم التفاهم بين اليابان والصين حول مشكلة كوريا وعقد فى ذلك معاهدة تيان تشن ١٨٨٥ تضمنت عدة بنود

- أن تسحب اليابان والصين قواتها من كوريا
- ليس لكليهما الحق فى إرسال قوات الى كوريا فى حالة حدوث اضطرابات إلا بعد موافقة الدولتين

---

١ - محمد نعمان جلال : الصراع بين اليابان والصين ، مكتبة مدبولى ١٩٨٩ ، ص ١٤.

٢- نعمان : مرجع سابق ، ص ١٥

وهو ما يعنى ان هذه المعاهدة قد اعترفت بالمساواة بين اليابان والصين بالنسبة لكوريا ورغم ذلك ظل الاشراف العام على كوريا تتولاه الصين [١] اذ اعتبرت الصين نفسها صاحبة الاختصاص فيما يتعلق بالشئون الخارجية لكوريا ، فقد استدعت القائم بالاعمال الامريكى فى سيول ونبهت لخطورة نشاطه الذى يهدف الدعوه لاستقلال كوريا وظل يوان - شيه - كاى كمقيم صينى فى سيول وذلك من أجل ضمان خضوع كوريا لرغبات الصين

ولم تكن اليابان راضية عن ذلك وكانت تنتظر اللحظة المناسبة لكى تحسم قضية لمن تكون السيطرة على كوريا [٢].

وكانت اللحظة المناسبة عندما حدث تمدد كبير فى جنوب كوريا قام به جماعة من الكوريين العادين لليابان عرف باسم تمدد Tonghks ونادت بالمحافظة على التقاليد الشرقية ونبذ مظاهر الحضارة الغربية فى البلاد واعتبر المتمردون اليابانين مرتدون كشرقيين وفاسدون كغربيين ولم يكن هؤلاء المتمردون مع البلاط الامبراطورى بل كانوا يعملون ضده وهزمت قوات الحكومة فى اول اشتباك لها مع المتمردين ولذلك طلبت المعونه من الصين التى استجابت وارسلت قوات الى كوريا وابلغت اليابان بذلك طبقا لاتفاق ١٨٨٥ وأكدت الصين فى بلاغها لليابان بانها سوف تسحب قواتها بعد القضاء على التمرد فى كوريا ولكن اليابان اعتبرت هذا التصرف بمثابة تهديد لمركزها فى كوريا وخرق لاتفاق تيان تشن ولذلك قرر مجلس الوزراء اليابانى برئاسة ياماجاتا Yamagata ورئاسة الاركان اليابانية اتفقا على ضرورة ارسال قوات يابانية الى كوريا لمواجهة التصرف الصينى [٣]

---

١ - فوزى : مرجع سابق ، ص ٨١

٢ - نعمان : مرجع سابق ، ص ١٥

محمد نعمان مرجع سابق ، ص ١٥ فوزى . مرجع سابق ، ص ٨١.

٣ محمد نعمان : مرجع سابق ، ص ١٩ ، ٢٠

وبعد انهاء الاضطرابات رفضت الصين سحب قواتها الا بعد اتمام انسحاب اليابان وفشلت المفاوضات.

اعلنت اليابان عزمها على اصلاح كوريا وهو ما رفضته الحكومة الكورية التى كانت تتطلع الى حماية الصين فهاجمت القوات اليابانية القصر وقبضوا علي أعضاء الأسرة الحاكمة واعتقلوهم فى المفوضية اليابانية وما لبث أن قامت الحرب بين القوات اليابانية والصينية.

وفى هذه الحرب كانت الكفة الراجحة لصالح اليابان ففى منتصف سبتمبر سيطرت اليابان على خليج تشيهيلى Chihli وهو موقع مهم ساعد القوات الصينية فى منشوريا وكوريا وفى ٢١ نوفمبر استولت اليابان على بورت آرثر وما لبثت اليابان فى خلال ثلاث شهور أن استولت على كوريا وشبه جزيرة لياوتنج ثم قدمت عدة شروط لايقاف الحرب

١- أن يكون لى هونج شانج رئيس الوزراء الصينى وهو صاحب اتفاق ١٨٨٥ - ممثل الصين فى المفاوضات

٢- ان تسلم الصين لليابان مدينة Shanhaikwan

وهى البوابة الرئيسية نحو شمال الصين عبر سور الصين ومدينة تيان تشن وهى مدينة صناعية ومدينة تنجكاو Tangku وهى ميناء لمدينة تيان تشن

رفضت الصين فى البداية ولكنها ما لبثت أن وافقت وتوجه لى إلى شيمونسكى وتشددت اليابان وتم الاعتداء على لى بواسطة بعض اليابانيين واعتذرت اليابان وخفضت من تشددها ولذلك عندما استؤنفت المفاوضات توصل الطرفان الى اتفاق شيمونسكى فى ١٧ ابريل ١٨٩٥ وتضمن

١ - الاعتراف باستقلال كوريا (أى وضعها تحت الحماية الفعلية اليابانية)

[illegible] الصين لليابان عن فرموزا وشبه جزيرة لياوتنج بما فيها ميناء دايرن Dairen [illegible] ميناء بورت آرثر الحربى فى منشوريا .

٣- ان تدفع الصين مبلغ ١٦٥ مليون دولار لليابان على سبيل التعويض

٤ - حصلت اليابان على كافة الامتيازات التى كانت تتمتع بها الدول الاوربية فى الصين كحق محاكمة رعاياها فى محاكمها.

رد الفعل الدولى

لم ترضى الدول الاوربية عن اتفاق شيمونسكى فعقد ممثلو روسيا وفرنسا والمانيا مؤتمرا فى طوكيو فى ٢٣ ابريل ١٨٩٥ وطالبوا اليابان بالتخلى عن شبه جزيرة لياوتونج ولم تنضم بريطانيا الي هذه الدول الثلاث ولكنها كانت تميل الى نصيحة هذه الدول وعدم مساندة اليابان

ولم تستطع اليابان مواجهة هذه الدول الثلاث فاجتمع المجلس الامبراطورى فى ٢٩ ابريل ووافق فى النهاية على التخلى عن مطالب اليابان فى شبه جزيرة لياوتونج مقابل تعويضا اضافيا تدفعه الصين وقدره ٣٠ مليون تايل

وكان الاستياء اليابانى ازاء موقف هذه الدول لاسيما روسيا التى قامت باستعدادات عسكرية لتأييد مطالب الدول الثلاث السابقة وهكذا بدأت عوامل الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤ / ١٩٠٥ فلقد قامت الروسيا بدور الحامية للصين وعقدت معها تحالف ضد اليابان عام ١٨٩٦ بل وسعت روسيا للحصول على امتيازات فى كوريا لا سيما بعد تورط الموظفين اليابانين فى اغتيال ملكة كوريا وهروب الملك وطلبه الحماية من البعثة الروسية فى سيول وهكذا اخذت اليابان فى الدخول فى اتفاقيات مع روسيا عام ١٨٩٦ ، ١٨٩٨ لتسوية خلافاتها حول كوريا [1]

---

١ - محمد نعمان : مرجع سابع ، ص ١٩ ، ٢٠ .

وهكذا تبين لليابان بعد حربها مع الصين من أجل السيطرة علي كوريا ان لها منافسا خطيرا يتربص بها الدوائر وانه لابد من منازلته قريبا فكانت الحرب اليابانية الروسية ١٩٠٥ (١)

المعاهدة اليابانية ، البريطانية ١٩٠٢

سبق الاشارة الى انتصار اليابان فى الحرب اليابانية الصينية ورد فعل الدول الاوربية الثلاث ورضوخ اليابان لنصيحة هذه الدول مكرهه .. ولكن سرعان ما احتلت روسيا شبه جزيرة لياوتونج بل ومدت الخط الحديدى إلى بورت آرثر عبر الأراضى الصينية.

وكان الروس يهتمون بمنشوريا منذ ١٨٦٠ وزاد اهتمامهم بها منذ احتلال اليابان لها عام ١٨٩٤ .. وكانت روسيا ترى السيطرة على كوريا ومنشوريا ليكون لها ميناء فى المياة الدافئة، كما أن مد السكة الحديد بسيبيريا عبر منشوريا كانت عاملاً لهما للإقلال من النفقات إذا مدت عبر الأراضى الروسية، ولقد حصلت روسيا على حق مرور سكة حديد سيبيريا عبر منشوريا ١٨٩٦ وأستأجروا ميناء بورت آرثر عام ١٨٩٨ بل وما لبث أن احتلت منشوريا

وفي هذه الظروف احتلت اليابان كوريا فطلب ملكها المساعدة من الروسيا وبعد انتهاء الاحتلال اليابانى لكوريا عاد الملك يحكم بلاده.

انزعجت بريطانيا من التقدم الروسى فى الصين وكانت اليابان ترغب استرجاع بورت آرثر فكان الاتفاق اليابانى البريطانى ١٩٠٢ .

لا شك أن اقدام بريطانيا على التحالف مع اليابان بعتبر خروجاً على التقاليد الددبلوماسية الاوربية والانجليزية بصفة خاصة بالتحالف مع دولة آسيوية على قدم المساواة.

---

١ - فوزى : مرجع سابق ، ص ٨٤ .

وهو من ناحية أخرى أول تحالف لبريطانيا مع دولة أخرى بعد اعلانها مبدأ العزلة المجيدة وهو يقصد به عدم التدخل البريطانى فى ميزان القوى الأوربية وبالتالى لا يعتبر هذا الاتفاق خروجاً على مبدأ العزلة المجيدة فالاتفاق مع دولة أخرى آسيوية بقصد حماية الامبراطورية البريطانية المترامية الأطراف بل يمكن القول أن هذا الاتفاق ساعد على استمرار العزلة البريطانية بالنسبة للتوازن الأوربى اذ جنب بريطانيا من الاتفاق مع دولة أوربية فى وقت هى فى حاجة لمثل هذا الإتفاق نتيجة تورطها فى جنوب أفريقيا [١].

الدوافع البريطانية لهذا التحالف

- وضع حد للتوسع الروسى فى آسيا.. إذ أن السيطرة الروسية على كوريا ومنشوريا يهدد وسط الصين حيث يوجد نهر اليانج-تسى Yang- Tse حيث المصالح البريطانية وقد توجد عوائق طبيعية تمنع هذا التهديد بل هو تهديد أيضاً للمصالح البريطانية فى الهند وإيران وهو ما حاولت اليابان تأكيده لبريطانيا.

- وبالتالى كان هدف بريطانيا هو تأمين مصالحها فى آسيا اعتماداً على قوة اليابان بدرجة كبيرة وهو ما أشارت إليه المذكرات السرية المتبادلة بين الدولتين من النص على تجميع قوة بحرية مشتركة فى الشرق الأقصى أقوى من أية قوة بحرية أخرى.. وهو ما يوفر الجهد البريطانى فى حماية المصالح البريطانية بل كان الأمر فوق طاقتها فكان من الضرورى التواجد البحرى البريطانى فى بحر الشمال لمواجهة القوة البحرية الألمانية الصاعدة وفى البحر الأبيض لمواجهة القوة البحرية الفرنسية والدفاع عن قناة السويس فضلاً عن ضرورة التواجد البحرى فى المحيط الهندى للدفاع عن الهند والمصالح البريطانية فى إيران والخليج العربى.. وكان المخرج هو مصادقة الدول البحرية الجديدة

١ - سمعان : مرجع سابق ، ص ١٦٧ ، ١٦٨.

كاليابان والولايات المتحدة بدلاً من مواجهتها والتعاون معها فى حماية مصالح الامبراطورية البريطانية وللسيطرة على البحار.

- من ناحية أخرى فإن بريطانيا أرادت وضع حد للتوسع اليابانى فى الصين (وهو أمر مناقض للهدف الأول) فإن عزل روسيا فى منطقة الشرق الأقصى سيؤدى حتماً إلى الصراع بينهما فمساعدة بريطانيا لليابان هو خطوة لحفظ التوازن فى الشرق الأقصى فالروسيا ستجد من مطامع اليابان ويصل الطرفان إلى منطقة تعادل وهو أمر فى صالح بريطانيا.

- كان هناك تخوف بريطانى من اتفاق اليابان مع الروسيا بشأن توزيع مناطق النفوذ بينهما فى شمال الصين وهو ما يسبب حرجاً لبريطانيا وكانت هناك مفاوضات فعلاً بين اليابان والروسيا للوصول إلى مثل هذا الاتفاق [1].

أما دوافع اليابان لعقد التحالف

- هو اعتقاد اليابان بأن روسيا منافسة لها فى الشرق الأقصى وأن انتصار اليابان على الروسيا- فالصدام بينهما أمر حتمى- أمراً فى الإمكان تحقيقه ولكن كان هناك تخوف من مساعدة فرنسا لروسيا(تحالف ١٨٩٤) فتضافر الاسطولين الروسى والفرنسى يمكن أن يمنع اتصال اليابان بآسيا.. فهذا التحالف سيؤدى إلى تحييد البحرية الفرنسية فى حالة الحرب بين اليابان والروسيا.

- الحيلولة دون الاتفاق بين بريطانيا والروسيا وهو أمر خطير بالنسبة لليابان فى صراعها مع الروسيا وكان هناك اتجاه فى بريطانيا يحبذ هذا الاتجاه.

٢- نفس المرجع ، ص ١٦٩ ، ١٧٠.

- ان تحالف اليابان مع بريطانيا له مضمون سياسي فهو اعتراف من دولة كبرى بان اليابان قد أصبحت فى مصاف الدول الكبرى ومن ناحية أخرى فإن تسوية الأمور فى لشرق الأقصى لا يمكن أن تتم دون اشراك اليابان فيها [1]

مضمون الاتفاق

كان هدف التحالف هو المحافظة على الوضع الراهن فى الشرق الأقصى والمحافظة على استقلال الصين وكوريا وهو ما يضمن عدم تمكين روسيا من الاعتداء على الصين أو كوريا وكذلك كفالة الحقوق المتساوية لكافة الدول فى القيام بأنشطتها الاقتصادية فى هذه البلاد.. وكانت هذه الديباجة تأكيداً لمبادئ عامة وعدم اثارة الدول الأخرى التى لها مطامع فى الصين لا سيما ألمانيا والولايات المتحدة

وتضمنت المادة الأولى من الاتفاق على اعتراف اليابان بمصالح بريطانيا فى الصين وكوريا وأن كلا الطرفين له الحق فى حماية مصالحه عندما تتعرض للتهديد نتيجة اضطرابات داخلية (كحركة البوكسر) أو خطر خارجي (الخطر الروسى)

رفضت المادة الثانية أنه فى حالة العدوان الخارجى الذى يهدد مصالح أحد الطرفين يلتزم الطرف الأخر بالوقوف علي الحياد إذا حدثت حرب.. ولكن اذا تدخلت دولة أخرى فى الحرب فالطرف الثانى ينضم إلى حليفه (مادة ٣) والمقصود من ذلك هو منع فرنسا من مساعدة الروسيا ليس طبقاً لنصوص التحالف الروسى الفرنسى ولكن خوفاً من إنهياره أو أضعافه فى حالة عدم مساعدة فرنسا للروسيا .

ونصت المادة الرابعة على عدم إبرام إتفاقيات مع دول أخرى فيها مساس بمصالح الطرف الآخر دون التشاور مسبقاً بينهما ومدة الحلف ٥ سنوات قابلة للتجديد ما لم يخطر أحد الطرفين الطرف الأخر برغبته فى إنهاء الحلف قبل عام من نهاية فترة الحلف.[2]

١- سمعان ، مرجع سابق ، ص ١٦٦ ، ١٦٧.

٢- Inazo nitobe, op.cit., p. 139.

ولقد ادى الاتفاق الياباني البريطاني في ١٩٠٢ الى عدة جوانب ايجابية بالنسبة لليابان منها:

- زيادة أهمية اليابان بتحالفها مع اعظم قوة وقتذاك وهى بريطانيا.
- تمويل البنوك البريطانية للمشروعات اليابانية.
- منع بعض الدول عن تقديم المساعدة لروسيا خوفاً من اعلان الحرب عليها.
- زاد الاتفاق مع قوة القرار اليابانى فيما بعد للانضمام للحلفاء فى الحرب العالمية الأولى .
- انسحاب روسيا جزئياً من منشوريا [١]

أما من ناحية الروسيا وفرنسا فمن الواضح أن التحالف البريطاني اليابانى يهدف إلى منع فرنسا من مساعدة روسيا إذا نشبت الحرب ورغبة من الدولتين في مناهضة هذا الأتفاق نقد أكدتا تضامنهما وأعلنتا فى مارس ١٩٠٢ توسيع نطاق التحالف الروسى الفرنسى (١٨٩٤) ليشمل مصالحهما فى أسيا وتمسك الدولتين بسياسة الباب المفتوح والحالة الراهنة فى شرق أسيا وسلامة الصين وكوريا... وواضح من صيغة هذا الأعلان أنه ذو طبيعة سياسية وليست عسكرية فكل ما التزمت به الدولتان هو التشاور فيما بينهما فى حالة تهديد مصالحهما فى المنطقة [٢]

(٢) الحرب الروسية اليابانية ١٩٠٤- ١٩٠٥م

بعد أن قضت اليابان بالقوة على النفوذ الصينى فى كوريا عام ١٨٩٥ واجهت خطراً أشد وهو الروسيا فالروسيا رأت من الضرورى السيطرة على كوريا ومنشوريا لتحقيق عدة أهداف :

١- سمعان، مرجع سابق ، ص١٧١، تشستربين، مرجع سابق، ص ١٥٩.
٢- تشستربين، مرجع سابق ، ص١٥٥ - ١٦٠

١ - أن تستثمر إمبراطوريتها فى أسيا بصورة جيدة .

٢ - الحصول على ميناء فى المياه الدافئة.

٣ - إكمال خط حديد سيبيريا عبر منشوريا فإستكمال الخط عبر الأراضي الروسية سيزيد التكاليف كثيراً .

٤ - غنى منشوريا بمواردها.

عقدت روسيا مع الصين إتفاق «لى هونج شانج - لوبانوف» عام ١٨٩٦ حصلت الروسيا بمقتضاه بحق مرور سكة حديد سيبيريا عبر منشوريا وأستأجروا ميناء بورت أرثر وإتخذوا من حركة البوكسر ذريعة لإحتلال منشوريا، وترتب على تنقل القوات الروسية من مكان لآخر فى منشوريا عقد إتفاق مع الصين عام ١٩٠٢ وفى العام التالى تقدمت روسيا إلى الصين بعدة مقترحات لو قبلتها حكومة بكين لأصبحت منشوريا ومنغوليا تحت حماية روسيا، أما من ناحية كوريا فقد تغلغل النفوذ اليابانى فى كوريا بتوجيه الوزير اليابانى اينوبى وتدفقت رؤوس الأموال اليابانية وأدخلت الإصلاحات فى الحكومة والنظام القضائى وعين الموظفون اليابانيون فى الوظائف الهامة فى كوريا ولما إعترض ملكها دبر الوزير اليابانى بمعاونة الوصى على عرش كوريا مؤامرة ترتب عليها إغتيال الملكة وفرار الملك من المعتقل إلى المفوضية الروسية ١٨٩٦ .

وبمساعدة الروس قضى الملك على النفوذ اليابانى وإتخذ لنفسه لقب إمبراطور ليؤكد إستقلاله ومساواته بجيرانه من الحكام وفى مقابل إتفاق لى هونج شانج مع روسيا عام ١٨٩٦ ، أرسلت اليابان بمبعوثها يامـا جاتـا للوصول إلى تفاهم مع روسيا وتم عقد بروتوكول تعترف فيه اليابان لروسيا بالشركة المتساوية بينهما فى كوريا - وما لبثت روسيا أن تغافلت عن هذا البروتوكول «ياما جاتا - لوبانوف» وزاد نفوذها فى كوريا وإستخدمت الخبراء الروس لتدريب الجيش الكورى وما لبث الطرفان أن عقدا بروتوكولاً أخر وهو ما يعرف ببروتوكول نيشى - روزن تضمن :

١ - إعتراف الطرفان «روسيا اليابان» بإستقلال كوريا .

٢- الإتفاق على الإمتناع عن مساعدة الجيش الكورى أو إعادة تنظيم مالية كوريا .

٣- اعترفت روسيا بمصالح اليابان التجارية والصناعية فى كوريا.

ومرة أخرى لم تحترم روسيا بروتوكول نيشى - روزن وحاولت إستئجار ميناء فى جنوب كوريا وتقديم قروض فى مقابل الحصول على إمتيازات ولكن اليابان احبطت هذه المساعى بل ونجحت فى السيطرة على تجارة كوريا وسككها الحديدية ومرة أخرى جرى التفاوض حول توزيع النفوذ والسيطرة على كوريا فكانت مفاوضات ١٩٠٣ إذ عرضت اليابان على روسيا أن تعترف بمنطقة النفوذ الروسى فى منشوريا مقابل أن تعترف الروسيا بمركز اليابان الممتاز فى كوريا وتحفظت روسيا بأنها تعترف بمركز اليابان الإقتصادى فقط فى جنوب كوريا على أن يبقى شمال كوريا منطقة محايدة وتقدمت اليابان بمقترحات جديدة تتضمن :

١- حرية الملاحة فى بوغاز كوريا.

٢- انشاء منطقة حياد بين كوريا ومنشوريا.

٣- الربط بين سكك حديد كوريا ومنشوريا.

٤- الاعتراف بمركز روسيا الممتاز فى منشوريا وبمركز اليابان الممتاز فى كوريا.

ورفضت روسيا هذه الإقتراحات بل وقامت بعمليات استفزازية فقد حاولت غزو كوريا من الشمال مستترة وراء امتياز استغلال غابات شمال كوريا (١)

وكان رد فعل اليابان هو ترك الوزير المفوض موسكو ٦ فبراير ١٩٠٤ مهددوا بإستخدام القوة وبعد يومين هجم الأسطول اليابانى الوحدات البحرية الروسية فى

---

١ - إسماعيل ياغى : مرجع سابق، ص ١٤٦ / ١٤٧.

شملبو shamlpo، بورت أرثر : وإستطاعت القوات اليابانية هزيمة القوات الروسية عند نهر يالو وسقطت بور أرثر فى أيدى اليابانيين فى يناير ١٩٠٥م

ولقد رفضت بريطانيا عبور اسطول روسى من بحر البلطيق متجهاً إلى ميناء فيلاد- يفستوك - قناة السويس، فسلك الأسطول طريق رأس رجاء الصالح...

وأنتصر اليابانيون فى معركة مكدن فى الفترة من ٢٣ فبراير إلى ١٠ مارس ويعزوا العسكريون هزيمة روسيا إلى :

- ضعف القيادة.

- ضعف تدريب الجيش الروسى وكذلك ضعف أسلحته .

- وجود الأسطول الروسى فى بحر البلطيق والبحر الأسود وهما بحران مغلقان [١].

عند قيام هذه الحرب حاول ثيودور روزفلت حصر الحرب فى الصين وعدم امتدادها خارجها لذلك وجه إنذاراً لكل من المانيا وفرنسا بالوقوف على الحياد وعدم التدخل لصالح روسيا والا سيقابل أى تدخل بتدخل الولايات المتحدة بجانب اليابان.

وعندما تحقق لليابان النصر خشيت أن يتكرر موقف الدول الأوروبية منها فى حربها مع الصين وسلبها ثمرة إنتصارها ١٨٩٥م. لذلك إتجهت اليابان للولايات المتحدة تطلب وساطتها لإنهاء الحرب ورفضت روسيا في البداية هذه الوساطة حتى بعد سقوط بورت آرثر وهزيمة منوكدن وتوسط قيصر المانيا لإقناع روسيا بقبول وساطة الولايات المتحدة وفعلاً أستجاب الطرفان لوساطة تيودور روز فلت وكان الأتفاق فى بورتسموث الأمريكية [٢] وقد تضمنت بنود هذه المعاهدة التى عقدت فى ٥ سبتمر ١٩٠٥ :

١ - اعتراف روسيا بمصالح اليابان الخاصة السياسية والعسكرية والأقتصادية فى كوريا.

---

١ - اسماعيل باغى ، مرجع سابق ، ص ١٤٦ - ١٤٧ .

٢ - نوزى ، مرجع سابق، ص ٨٦ .

٢- انسحاب قوات الطرفين من منشوريا وإعادة الأقاليم إلى إدارة الصين عدا اقليم لياو تونج فتديره اليابان وكذلك سكة حديد بورت آرثر - خارجين فى وسط منشوريا.

٣- حصول اليابان على النصف الجنوبى من جزيرة سخالين الروسية التى تقع شمال الجزر اليابانية.

٤- الأعتراف بسيادة الصين ووحدة أراضيها وأحترام مبدأ الباب المفتوح.

٥- دفع مبلغ ٠٠٠ , ٠٠٠ , ٤ جنيه كتعويض لليابان عن إعالة الأسرى الروس [١].

٦- حصول اليابان على حق الصيد فى مياه سيبريا.

٧- سيطرت المشروعات اليابانية فى منشوريا وأهمها الخط الحديدى الشهير فى جنوب منشوريا الذى تم تسليمه بكاملة إلى اليابان وكانت معاهدة بورتسموث عام ١٩٠٥ نجاحاً لسياسة الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأوسط من أجل الحفاظ على سياسة الباب المفتوح فى المجال التجارى وسلامة أراضى الصين وحماية جزر الفلبين من المطامع اليابانية كما حافظت على توازن القوى فى الشرق الأقصى فبقيت روسيا دولة هامة من دول المحيط وأصبحت اليابان نداً لها وهو ما يتمشى مع وجهة النظر الأمريكية [٢] إن بصمات الولايات المتحدة تبدو واضحة فى ضوء المعاهدة ففى البداية كانت الروسيا طبقاً للسياسة الأمريكية هى العدو الأول الذى يهدد المصالح الأمريكية فى الشرق الأقصى ولذلك أيدت اليابان فى بداية الحرب ولكن بعد إنتصار اليابان أرادت الولايات المتحدة تحجيمها أو الأقلال من نفوذها خوفاً على المصالح الأمريكية ولذلك أبرمت معها اتفاقاً خاصاً لضمان المصالح الأمريكية فى الفلبين والمحيط الهادى ونتيجة للضغط الأمريكى تم تغيير النفوذ اليابانى فى منشوريا وقصر سيطرة اليابان على جنوب جزيرة سخالين واتباع سياسة الباب المفتوح كما تم رفض طلب اليابان فى الحصول على تعويضات من

١- سمعان : مرجع سابق، ص ١٧٨، Inazo nitobe, op.cit., p. 143

٢- فوزى : مرجع سابق، ص٨٧.

روسيا عن اضرار الحرب وقبلت اليابان هذه الضغوط لأنها خرجت من الحرب منهكة القوى، ولا تستطيع مواجه الضغط الأمريكى رغم ثورة الرأى العام اليابانى.. وعلى أية حال فإن هذه المعاهدات حملت فى طياتها بذور الصراع بين اليابان والولايات المتحدة حول السيطرة على أسيا والمحيط الهادى [1]

واجمالاً فإن أهم النتائج التى ترتبت على هذه الحرب يمكن إيجازها على الوجه التالى:

١ - تأكيد وضع اليابان كدولة كبرى.

٢- إعادة تكييف العلاقات اليابانية الأمريكية فإن هذه الصداقة التى ظهرت بين البلدين إنما قامت على أساس من الشك والريبة فى نواياهما وخوف كل منهما من الآخر .

٣- التوسع فى مفهوم الحلف اليابانى - البريطانى.

٤- بحكم الواقع صار هناك تحالف بين اليابان وبريطانيا والولايات المتحدة .. فأصبح هناك توازن دولى جديد فى منطقة الشرق الأقصى وهو موجه ضد المانيا التى حلت محله روسيا بعد هزيمتها فى تهديد الدولة البحرية.

٥- بعد هزيمة الروسيا فى الشرق الأقصى إتجهت إلى البلقان وصار عليها إما التقارب مع المانيا على أساس اتفاق بجورك أو الإنضمام إلى فرنسا وبريطانيا وهو ما يدعو إلى ضرورة تصفية خلافاتها مع بريطانيا.

٦- هزيمة الروسيا أدى إلى قيام ثورة ١٩٠٥ وهو ما مهد للثورة عام ١٩١٧.

٧- إن إنتصار اليابان كان حافزاً للصين للقيام بحركة اصلاحية فسقطت اسرة المانشو وقام النظام الجمهورى عام ١٩١٢ .

٨- أدى إنتصار اليابان إلى حفز الشعوب الأسيوية للتحرر من السيطرة الأستعمارية الأوربية والأمريكية.

---

١ - سمعان : مرجع سابق، ص١٧٩.

٩- قضى إنتصار اليابان على خرافة تفوق الجنس الأبيض الأوربى على الشعوب الملونة [١].

دخول اليابان الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٨.

أن شروط التحالف البريطانى اليابانى ١٩٠٢ لم تكن تقضى بمساعدة اليابان لبريطانيا فى الحرب العالمية الأولى «الحرب الأوربية» أو أى حرب وقد سبق الاشارة إلى هذا الأتفاق ونصوصه وهى لا تلزم اليابان بالدخول فى الحرب لمؤازرة بريطانيا (راجع الاتفاق اليابانى البريطانى ١٩٠٢) بل أن تدخل اليابان فى الحرب لم يكن بناء على رغبة دول الوفاق كذلك بريطانيا بل ضد رغبة هذه الدول [٢]

ولكن اليابان رأت فى هذه الحرب فرصة لتحقيق أطماعها الاستعمارية فى الشرق الأقصى .. فكانت تهدف لوراثة الدول الأوربية فى المنطقة.. وكانت السوق الصينية محط انظار اليابان فضلاً عن وجود الفحم والحديد ورأت اليابان فى تحالفها مع بريطانيا ضمانة لها للإستيلاء على المناطق التى تسيطر عليها المانيا فى خليج كياوتشاو وشانتونج [٣]

وكانت القوات الألمانية متمركز فى تسنجتاو فى المنطقة المستأجرة الألمانية فى كياوتشو فى اقليم شانتونج ولم تكون هذه القاعدة البحرية محصنة ولكنها كانت تحوى محطة لاسلكية قوية للأتصال بالبواخر الألمانية فى المحيط الهادى، وكانت منطقة كياوتشاو ذات اهمية كبيرة لليابان فلقد مدت المانيا خطوط سكة حديد من ميناء تسنجتاو الى الداخل حتى تسينان Tsinan كما حصلت المانيا على حق التعدين فى هذا الأقليم وبالتالى أصبحت منطقة شانتونج منطقة نفوذ المانية [٤]

١- نفس المرجع، ص ١٧٩، ١٨٠.

٢- فوزى : مرجع سابق، ص ٩٣.

٣- ...جع سابق، ص ٩٣، ٩٥.

٤- ...كار : مرجع سابق، ص ٣٠٥.

لقد رأت بريطانيا إزاء نية اليابان فى دخول الحرب الاكتفاء بمساعدة اليابان بتدمير السفن الألمانية الموجودة فى المياه الصينية، فلم تكن بريطانيا تهدف فى تلك المرحلة إلا الى تدمير القوة البحرية الألمانية ببلاد الصين وأن لا تمد عملياتها الحربية جنوباً بحجة شن الحرب على ألمانيا ورغبة فى تهدئة روع الدول الأخرى من تلك الخطوة اصدرت وزارة الخارجية البريطانية تصريحاً تضمن أنه « من المفهوم أن تصرف اليابان لن يمتد إلى المحيط الباسفيكى وراء بحار الصين إلا بقدر ما هو ضرورى لوقاية خطوط الملاحة اليابانية فى المحيط الهادى ولا فى أى أرض عدا الأرض الواقعة تحت الاحتلال الألمانى على قارة أسيا الشرقية»

ولكن اليابانين اعتبروا ان هذا التصريح من جانب واحد غير ملزم لهم وبالتالى ظهرت السفن اليابانية أمام الجزر الألمانية جنوب المحيط الهادى بحجة مطاردة الأسطول الألمانى فى الشرق الأقصى (1)

وعلى أية حال كان قرار اليابان دخول الحرب فى ٨ أغسطس ١٩١٤ أى بعد أربعة أيام من قيامها ليس طبقاً للتحالف مع بريطانيا بل تعبيراً عن صداقة اليابان لبريطانيا ولحماية المصالح التجارية اليابانية فى الشرق الأقصى والمحيط الهادى والقضاء على النفوذ الالمانى بتلك المناطق، وبالتالى فشلت الجهود البريطانية فى إثناء اليابان عن إعلان الحرب على ألمانيا وقصر مهمتها على تدمير السفن الألمانية فقط.

وفى ١٥ أغسطس ١٩١٤ أرسلت اليابان انذاراً الى المانيا تطالبها فيه بسحب جميع قواتها البرية والبحرية من الصين فوراً ونزع سلاح القوات التى يتعذر سحبها، وتسليم منطقة كياوتشو Kiochow فى اقليم شانتونج Shantung إلى اليابان دون قيد ولا شرط «تعهدت اليابان بتسليم هذه المنطقة إلى الصين فيما بعد» ولم تستجب المانيا للانذار وبعد اسبوع وهى مدة الأنذار اعلنت اليابان الحرب على المانيا فى ٢٣ أغسطس ١٩١٤ (٢).

---

١ - بانيكار : مرجع سابق ، ص ٣٠٥ .

٢- سمعان : مرجع سابق، ص ٣٦٢.

وحاولت بريطانيا دون جدوى أن تحدد دور اليابان فى الحرب بأن تقوم بأعمال الدوارية فى منطقة غرب المحيط الهادى شمال خط الأستواء والتى تشمل جزر ماريان، مارشال، كارولينا الألمانية على أن تتولى القوات الاسترالية احتلالها وعلى الرغم من ذلك فقد احتلت اليابان بعض هذه الجزر ورفضت الجلاء عنها ورضخت بريطانيا على أمل تسوية مستقبل هذه الجزر بعد الحرب.

ولقد أحدث الانذار اليابانى إلى ألمانيا قلقاً كبيراً فى الصين لأنها كانت تخشى أن تتخذ اليابان منطقة كياتشو واقليم شانتونج قاعدة لمزيد من التوسع فى الأراضى الصينية ولذلك تسعي جاهدة لجعل الدول التجارية بالإمتناع عن الحرب فى الأراضى الصينية والمياه المجاورة لها بمعنى احترام حياد الصين وبالتالى ابقاء منطقة كياوتشو فى حوزة المانيا حتى نهاية الحرب. وفشلت الجهود الأمريكية فى تحييد المحيط الهادى والشرق الأقصى نظراً لأصرار اليابان على الحرب وتنفيذ مخططاتها الاستعمارية[1] وفى ٢٧ أغسطس استولت اليابان على قاعدة تسنجتاو البحرية بل وسرعان ما احتلت اليابان منطقة كياوتشو وسيطرت على كافة المواصلات فى إقليم شانتونج وعبثاً حاولت الصين مع الولايات المتحدة أن تتدخل لدى اليابان لإعادة شانتونج إلى الادارة الصينية فاحتلال اليابان له يعتبر انتهاكاً لحياد الصين وسلامة اراضيها.

ولكن الولايات المتحدة رفضت التدخل لتفادى التورط فى صراع مسلح مع اليابان من أجل الصين وهو ما كانت تدركه اليابان تماماً وبالتالى استمرت فى تنفيذ مخططاتها الاستعمارية وفى تحد سافر للدول الكبرى [2]

لقد كان النزاع حول احتلال خليج كياوتشو مناسبة انتهزتها اليابان التى كانت تشعر بالمرارة من الموقف الروسى والفرنسى والألمانى المشترك عام ١٨٩٥ بعد انتصارها على

١- سمعان : مرجع سابق . ٣٦٢، ٣٦٣.

٢- فوزى : مرجع ساق . ص ٩٥.

الصين حين ضغطت هذه الدول على اليابان للتنازل عن مكاسبها ولا سيما تنازلها عن اقليم لياوتونج، كما لم تنسى اليابان الموقف الغربي لتخفف من مطالبها بعد انتصارها على الروسيا ١٩٠٥ وبالتالى رأت ضرورة أن تتعاظم قدرتها على المساومة فى أى مؤتمر قادم للصلح وذلك بالتوصل مسبقاً إلى اتفاق مع الصين فى حين انشغال الدول الأوربية فى الحرب .

فى ٧ يناير ١٩١٥ طالبت الصين اليابان بإنسحاب القوات اليابانية من اقليم شانتونج وإعادة منطقة كياوتشو الى الادارة الصينية ودفع تعويضات مناسبة عن الأضرار التى اصابت الصين نتيجة هذه العمليات الحربية التى قامت بها اليابان فى الصين وانتهاك حيادها ورفضت اليابان المطالب الصينية بل وقدمت مطالبها إلى الصين [١] إذ قام الوزير اليابانى هيوكى Hioki فى ١٨ يناير ١٩١٥ بتسليم مذكرة تضمنت المطالب اليابانية الواحدة والعشرين إلى خمس مجموعات [٢]

المجموعة الأولى وهى تتعلق بأقليم شانتونج وتتضمن ٤ مطالب :

١ - قبول الصين لأى اتفاق تعقده اليابان مع المانيا بشأن حقوق المانيا فى هذا الاقليم.

٢ - تتعهد الصين بعدم التنازل عن أى جزء من هذا الاقليم لصالح دولة ثالثة.

٣ - توافق الصين على ان تقوم اليابان بمد سكة حديد إضافية فى الاقليم .

٤ - تلتزم الصين بفتح عدد من المدن الساحلية بالأقليم للتجارة الدولية.

---

١ - سمعان : مرجع سابق ، ص ٣٦٣.

٢ - فوزى : مرجع سابق ، ص ٩٦.

المجموعة الثانية :

تتعلق باقليم منشوريا والجزء الشرقى من منغوليا الداخلية وتتضمن ٧ مطالب.

١- موافقة الصين على مد إمتياز اليابان إلى ٩٩ عاماً لأستغلال ميناء بورت أرثر وميناء دايرن وخط حديد جنوب منشوريا .

٢، ٣ - اعتراف الصين بحق اليابانيين فى الإقامة والتجارة والتملك دون قيود فى هذين الأقليمين .

٤- اعتراف الصين بحق اليابان بإستغلال مناجم منشوريا .

٥- ضرورة موافقة اليابان على أية قروض لانشاء سكة حديد فى الأقليمين.

٦- ضرورة استشارة اليابان بالنسبة للخبراء الذين تستعين بهم الصين فى الأقليمين

٧- نقل إدارة سكة حديد كيرن - شنجشون من منشوريا إلى اليابان لمدة ٩٩ عاماً.

المجموعة الثالثة وتتضمن مطلبين :

١ - حصول اليابان على امتيازات صناعية وتعدينية فى وادى نهر اليانج تسى - وهو منطقة نفوذ بريطانية - وكذلك اشتراك اليابان فى ملكية وإدارة شركة هانيينج Han-yehping للحديد والصلب وهى أكبر شركة صينية للحديد والصلب .

٢ - التزام الصين بعدم التصرف فى حقوقها فى هذه الشركة .

المجموعة الرابعة وتتضمن مطلباً واحداً :

١ - التزام الصين عن عدم التنازل عن أى ميناء أو جزيرة على طول سواحلها لدولة ثالثة.

المجموعة الخامسة تضم ٧ مطالب :

١- التزام الصين بتعيين خبراء يابانيين فى جميع الميادين السياسية والمالية والعسكرية

٢- حق المستشفيات والمدارس والبعثات التبشيرية اليابانية فى تملك الأراضى.

٣- تعيين عدداً كبيراً من اليابانيين فى أجهزة الشرطة الصينية فى الأماكن الهامة من البلاد وخضوع هذه الأجهزة لإدارة صينية - يابانية مشتركة.

٤- التزام الصين بشراء ما يلزمها من الأسلحة والمعدات الحربية من اليابان فى حدود ٥٠٪ على الأقل من احتياجاتها أو إقامة صناعات حربية مشتركة بين البلدين.

٥- تخويل اليابان امتيازات لإنشاء خطوط حديدية إضافية فى عمق الأرض الصينية.

٦- ضرورة حصول الصين على موافقة اليابان مسبقاً على أية قروض اجنبية لإنشاء خطوط حديدية أو صناعة تعدين أو تجهيز الموانئ فى اقليم نوكين المقابل لجزيرة فورموزا .

٧- موافقة الصين على حق اليابان فى التبشير بالديانة البوذية فى جميع أنحاء الصين .[1]

والخلاصة أن المطالب الأحدى وعشرين لم تكن تمس الصين فى كيانها الأقليمى فقط بل فى كيانها الحضارى والفكرى فضلاً عن إخضاعها السياسى والإقتصادى والعسكرى لليابان... أكثر من هذا نشر البوذية.. ومن المعروف أن العقيدة الرسمية فى الصين كانت الكونفوشية ومن ناحية أخرى فإن هناك نوعين من البوذية هما بوذية ماهايانا وهى تتمشى مع الأذواق الشعبية ومليئة بالخرافات والأساطير وبوذية هينايانا وهى البوذية فى صورتها الأولى وتهتم بالنواحى التأملية بل وظهر نوع ثالث من البوذية عرفت بإسم بوذية زين Zen وهى ذات نزعة تأملية عميقة.

١- سمعان مرجع سابق، ص ٣٦٤، ٣٦٥.

محمدنعمان : مرجع سابق، ص٣٢، ٣٤.

فوزى : مرجع سابق، ص ٩٦، ٩٧.

وبالتالى أى نوع من الديانة البوذية سيتم نشره فى الصين وماذا ستكون العلاقة بين هذه البوذية وديانة الصين![1].

وبنظره فاحصة لهذه المطالب نجد أنها تشكل وصاية يابانية كاملة على الصين[2].

قدمت هذه الطلبات للصين بطريقة سرية ولكن الصين تعمدت السماح بتسرب أخبارها حتى تتدخل الدول ضد المطالب اليابانية ولكن لانشغال بريطانيا فى الحرب وافقت على المطالب اليابانية بعد أن وعدت اليابان إرجاء النظر فى مطالب المجموعة الخامسة .

أما الولايات المتحدة فقد اعترضت على مطالب المجموعة الخامسة وكذلك على ادعاءات اليابان فى السيطرة على ثروة الصين وإزاء هذا الموقف وافقت اليابان بتأجيل مطالب المجموعة الخامسة وعدلت فى صياغة المطالب الأخرى مع الإحتفاظ بالجوهر وقدمتها للصين لقبولها وإلا اضطرت لإستخدام القوة ورضخت الصين فى ٨ مايو ١٩١٥ وقبلت معظم المطالب اليابانية ورتبت هذه الأمور كلها فى عدة إتفاقيات فى ٢٥ مايو ١٩٢٥ وظلت هذه الاتفاقيات محل نزاع دائم بين اليابان والصين أو أن الصين لم تصدق على هذه الاتفاقيات تصديقاً كاملاً بعرضها على البرلمان وتسبب ذلك فى توتر العلاقات بينهما حتى قيام الحرب العالمية الثانية [3] .

وعلى أية حال فقد تضمنت هذه الاتفاقيات المطالب الواردة بالمجموعات الأربع مضافاً إليها البند الخاص بإستخدام رؤوس الأموال اليابانية فى إقليم فوكن من المجموعة الخامسة وفى مقابل ذلك تعهدت اليابان بإعادة كياوتشاو الى الصين بعد الحرب على ان تصبح ميناء تجارياً تمتع فيه اليابان بإمتيازات خاصة إلى مجموعة من الامتيازات فى كل من منشوريا ومنغوليا إلى جانب مد مدة استئجار بورت آرثر [4].

---

١ - محمد نعمان : مرجع سابق، ص ٣٥.

٢ - فوزى : مرجع سابق ، ص ٩٧.

٣ - سمعان : مرجع سابق، ص ٣٦٧.

٤ - فوزى : مرجع سابق، ص ٩٨.

ولولا الاحتجاج الشفوى للحكومة الامريكية على هذه المطالب وتمسكها بسياسة الباب المفتوح وكذلك انطلاق الطلاب فى شوارع الصين يكون أو يحاولون الانتحار لشعورهم العميق بالإستحياء امام هذا الذل الذى لحق ببلادهم ومقاطعة الصين للبضائع اليابانية ليتم إجبار الصين على قبول هذه المطالب برمتها [١].

ولقد قامت اليابان بحملة محمومة فى كل العواصم الأوربية لتحصل من الدول على الموافقة على سياستها فى الصين فلم تقتصر بريطانيا على الموافقة على المركز الخاص لليابان فى الشرق بل كانت تقدم النصح للصين بقبول المطالب الأحدى والعشرين وكذلك فرنسا وايطاليا وفى ٥ مارس ١٩١٧ وافقت روسيا على تأييد مدعيات اليابان فى شانتونج [٢].

وهذه الدول من دول الوفاق وبلا شك ان مقتضيات الحرب هى التى جعلتها توافق على مدعيات اليابان فنظراً لتهديد الغواصات الألمانية لدول الوفاق فقد وافقت هذه الدول على مطالب اليابان فى مؤتمر الصلح عقب نهاية الحرب مقابل ارسال اليابان مدمراتها الى البحر الأبيض المتوسط ...[٣] ولذلك فإن مساعى الحكومة الصينية فى الحصول على تأييد الدول لها ضد اليابان باءت بالفشل حتى من الولايات المتحدة الأمريكية التى لم تكن على إستعداد لتقديم عون كبير للصين [٤].

ولقد حاولت اليابان تهدئة ثائرة الصين فقدمت اليابان العون المادى للعسكريين الشماليين فى الصين وقدمت القروض عامى ١٩١٧، ١٩١٨ مما مكن هؤلاء العسكريين من توحيد جهودهم وقواهم وأدى ذلك أيضاً إلى زيادة نفوذ اليابان السياسى فى شمال الصين وبعد ثورة البلاشفة فى روسيا ١٩١٧ عقدت اليابان مع الصين اتفاقاً للتعاون

١- فوزى : مرجع سابق، ص ٩٧.

٢- بانيكار : مرجع سابق، ص ٣٠٥

٣- اسماعيل ياغى : المرجع السابق، ص ١٥٣

٤- محمد نعمان : المرجع السابق، ص ٣٥.

العسكرى بين البلدين لمقاومة الشيوعية الأمر الذى وضع الجيوش الصينية تحت السيطرة اليابانية [1].

رغبت دول الوفاق فى أن تدخل الصين الحرب وذلك فى عام ١٩١٧ لتأمين إحتياجاتها من المواد الخام والعنصر البشرى الصينى وكان هناك امل من الصين فى مبادئ ولسن وإنهيار المانيا فى الحرب ولكن العقبة امام دخول الصين الحرب كانت تأتى من اليابان التى ارادت أن تستخدم ذلك كورقة ضغط على دول الوفاق كى يسلموا بمطالب اليابان والاتفاقيات اليابانية الصينية عام ١٩١٥.. وقد عرضت اليابان شروطها فى سبيل اقناع الصين بدخول الحرب ضد المانيا وتأييد ادعاءات بريطانيا على الجزر الالمانية فى المحيط الهادى جنوب خط الاستواء مقابل تأييد بريطانيا لادعاءات اليابان فى اقليم شانتونج والجزر الألمانية فى المحيط الهادى شمال خط الاستواء وتم الاتفاق على ذلك مع بريطانيا فى ١٦ فبراير ١٩١٧ وعقدت مثل هذا الاتفاق مع مع روسيا فى ٢٠ فبراير وفرنسا في أول مارس ١٩١٧ [2]

وفرصة أخرى استغلتها اليابان لتدعيم مكاسبها وهى دخول الولايات المتحدة الحرب فى ابريل ١٩١٧ فأصبحت اليابان والولايات المتحدة فى معسكر واحد ضد ألمانيا وهو ما فرض عليها ضرورة التنسيق العسكرى وتوضيح مواقفهما السياسية لمشاكل ما بعد الحرب والحصول على موافقة الولايات المتحدة على المكاسب اليابانية فى الصين.

فأرسلت اليابان بعثة عسكرية برياسة الكونت ايشى Ishii إلى واشنطن وكان الأمر صعباً على الولايات المتحدة فهي إما أن تتنازل عن سياستها التقليدية وهى سياسة الباب المفتوح أو تري اليابان فى صف الأعداء، فأضطرت الى الموافقة على وجهة النظر اليابانية والتى تتضمن مصالح اليابان فى الصين مع بعض التحفظات نظير اعتراف فاتر من اليابان

---

١ - إسماعيل ياغى : المرجع السابق، ١٥٣

٢ - سمعان : مرجع سابق، ص ٣٦٧

بالمحافظة على وحدة الصين وعدم اقامة عراقيل خطيرة امام سياسة الباب المفتوح [1]

وعلى اية حال تم الوصول الى اتفاق مع وزير الخارجية الأمريكية لا نسنج وسمى الأتفاق بإسميهما Lansing- Ishii Agreement ونص الاتفاق على :

١ - تأكيد الدولتين لسياسة الباب المفتوح وضمان سلامة الصين .

٢ - اعتراف الولايات المتحدة بالعلاقات الخاصة بين اليابان والصين على أساس الجوار والتشابه العنصرى [2] ولقد رأت وزارة الخارجية الأمريكية أن هذا انتصار لسياسة الباب المفتوح فى حين اعتبرته اليابان بمثابة تدعيم لمركزها الخاص فى الصين [3] وفسرته على أنه يعنى المصالح السياسية والاقتصادية فى الصين بينما فسرته الولايات المتحدة بأنه يعنى المصالح الإقتصادية فقط وتفسير كل طرف لكلمة (المصالح الخاصة) تعنى أن الاتفاق كان غامضاً ويبدو أن غموض الاتفاق كان مقصوداً من قبل الولايات المتحدة فلم يكن هذا الاتفاق يعنى عدول الولايات المتحدة عن سياستها السابقة إزاء التوسع اليابانى فى الشرق الأقصى، كل ما فى الأمر أرادت الولايات المتحدة اثناء الحرب وانشغالها بها ان تتفادى مواجهة صريحة وفعالة مع اليابان.. فهذا الاتفاق يشتمل على تحفظ مقنع على ادعاءات اليابان فى الصين وفى المحيط الهادى والدليل على ذلك هو المعارضة الامريكية بعد الحرب للتوسعات اليابانية بداية من مؤتمر الصلح عام ١٩١٩ وفى مؤتمر واشنطن عام ١٩٢٢ .. وأخيراً فى حرب المحيط الهادى ١٩٤١-١٩٤٥.

وكان من الطبيعي أن تدرك اليابان مدى التحفظ الامريكى وبالتالى ارادت استغلال ظروف الحرب لتدعيم سيطرتها على الصين ويصبح الأمر واقعاً بعد الحرب فأستبدلت

---

١ - محمد السروجى: السياسة الخارجية للولايات المتحدة الامريكية ص ١٣٨.

٢ - سمعان : مرجع سابق، ص ٣٦٨.

، فوزى : مرجع سابق، ص ٩٩.

٣ - إسماعيل ياغى : مرجع سابق، ص ١٥٤

الادارة العسكرية بإدارة مدنيـة لاقليم شانتـونج وهو ما يعنى عـدم النية فى ارجـاعه إلى الصين كما وعدت والدليل على ذلك طلبـها من مدارس البعثات التبشـيرية الأجنبية فى الاقليم الالتـزام بنظام التعليم اليـابانى [1] وفى عـام ١٩١٧ ايضاً جـاءت فرصـة أخرى لليابان لتـأكيـد نفوذها ومد سـيطرتها فى منطقـة الشرق الأقصى، فـعندما قـامت الثورة البلشفية فى روسيـا وما تبعها من قيام الحرب الأهلية بين قـوات الثورة والقوات الروسية البيضاء أدى هذا إلى اضعـاف السلطة الروسيـة فى شمال منشوريا.. فرأت الصين انتهاز هذه الفرصة لتأكيد سيطرتهـا على هذا الأقليم وقررت ارسال قوات إلى شمال منشوريا لمساندة القوات الروسيـة البيضاء ضد قوات الثورة شجـعت فرنسا وبريطانيا هذه الخطوة على أمل القضاء على الثـورة الروسية ولكن من ناحية أخـرى فلم ترغـب هاتان الدولتان والولايات المتحدة واليابان فى أن تستعيد الصين سيطرتها الفعلية على منشوريا لتعارض ذلك مع مصـالحهـا الاستعـمارية مما أدى إلى سـحب الصين مضطرة قـواتها من شـمال منشوريا فى يناير ١٩١٨ وتحول الاقليم إلى قاعدة للمؤامرات والحملات العسكرية التى شجعتها ومولتها بريطانيا وفرنسا واليابان ضد نظام الثورة الروسية ومن ناحية أخرى فقد أبدت اليابان اسـتعدادها للتـدخل بمفردها فى سيبيريا وشمـال منشوريا وإحتـلال ميناء فيلاديفوستك وإدارة خط حديد شـرق الصين وعقدت مع الصين معاهدتين فى ١٦، ١٩ مـايو ١٩١٨ للتعـاون المشتـرك ضد العـدو المشـترك وهو الاتحـاد السوفـيتى وقـد ايدت بريطانيا وفـرنسا واليـابان تحت حجة مـحاولة إحيـاء الجبهـة الشرقيـة لتخفـيف الضغط الألمانى على الجبهة الغـربية وكذلك لانقاذ الفرقة التشيكية فـى روسيا والتى كانت تحاول الوصـول إلى غرب أوربا عـبر سـيـبـريا والمحيط الهـادى والولايات المتـحدة والمحـيط الاطلنطى - وهـى فـرقـة من ٥٠ الف جندى وكـانت تتكـون من اسـرى الحـ
استـولت عليهم روسيا فى حـربها ضد النمـسا والمجر والمانيا ولـقد استخـدمت وفرنسا هذه الفرقـة كأداة ضـد الثورة الروسية - ولكن الحقيقـة فإن الدول الغربية ارادت

---

١ - سمعان : مرجع سابق، ص ٣٦٩

إستخدام اليابان للقضاء على الحكم الشيوعى في روسيا.. ورحبت اليابان بذلك اذ وجدت فرصة لتأكيد نفوذها فى منشوريا خاصة والتوسع فى منطقة الشرق الأقصى عامة.

واضطرت الولايات المتحدة - وكانت تخشى التوسع اليابانى فى المنطقة - تحت ضغط بريطانيا وفرنسا إلى الموافقة على هذه الخطة لا سيما وقد ادركت ان اليابان سوف تتدخل فى سيبيريا على أية حال .. فقبلت التدخل الجماعى لإنقاذ الفرقة التشيكية وكان الهدف من العمل الجماعى ليس إنقاذ الفرقة التشيكية بقدر ما كان الخوف من أن تنفرد اليابان بالنفوذ فى تلكية المنطقة وكان الزعماء العسكريون اليابانيون يرون أن الفرصة سانحة امامهم لاحتلال سيبيريا فى ظل الفوضى السائدة بسبب الثورة الروسية أو على الأقل إقامة دولة عميلة لليابان بها تكون بمثابة حاجز بين اليابان وروسيا.. وعندما تركت قوات الحلفاء سيبيريا ارسلت اليابان قوة تبلغ ٧٥ الف جندى تعادل ٣ أضعاف قوات الحلفاء وبقيت القوات اليابانية بعد إنسحاب قوات الحلفاء ١٩٢٠ حتى جاء وقت إنعقاد مؤتمر واشنطن ١٩٢٢ متذرعة بحادثة مقتل الرعايا البريطانيين [١].

وكانت هذه الحجة لتبرير التدخل الجماعى امام الرأى العام .. ولم تحقق حملة سيبيريا هدفها فى القضاء على الثورة الروسية وانتهت ١٩٢٢.

وبالتالى فالمحصلة النهائية لليابان نتيجة اشتراكها فى الحرب العالمية الأولى ضد الدول المركزية.

- تغير الوضع تماماً فى المحيط الهادى والشرق الأقصى عما كان عليه قبل الحرب.
- ازداد النفوذ اليابانى فى منشوريا.
- استولت اليابان على منطقةكياوتشو وجميع الامتيازات الألمانية فى اقليم شانتونج.

١- فوزى : مرجع سابق، ص١٢٥

سمعان : مرجع سابق، ص ٢٧٠ - ٢٧٣

- فرضت وصايتها الفعلية على الصين.

- استولت على الجزر الألمانية شمال خط الاستواء فى المحيط الهادى.

- اصبح التنافس فى المحيط الهـادى قاصراً على اليابان والولايات المتحـدة الأمريكية بعد تقلص النفوذ الأوربى فى المنطقة [1].

مؤتمر واشنطن ١٢ نوفمبر ١٩٢١ - ٦ فبراير ١٩٢٢م

مكاسب اليابان فى مؤتمر الصلح فى باريس وتمثلت فى الحصول على -

- مقاطعة كياو الألمانية فى الصين.

- مقاطعة شانتونج الألمانية .

- جزر مارشال، كارولين ، ماريان وهى الجزر الألمانية شمال خط الأستواء .

- سيبيريا الشرقية.

- استقر اليابانيون أخيراً فى فيلاديفوستك عام ١٩/ ١٩٢٠.

هذه المكاسب اليابانية اقلقت الولايات المتحدة فنمو القوة اليابانية فى الشرق الأقصى من الأمور الهامة للولايات المتحدة لعاملين أساسيين :

أ- حرص الأمريكـيون على السوق الصينيـة لإنماء تجارتهم فبالتـالى هناك خوف من منافسة اليابان فى هذه السوق.

ب- اهتمـام الولايات المتحدة بسـلامة جزر الفلبين وحمـايتها من عـدوان دولة ثالثة «اليابان» .

وبالتالى قامت الصحف الأمريكيـة بمهاجمة اليابان ووصفتها بأنها ألمانيـا ثانية فهى محبة للعسكرية وأنهـا تشكل خطراً على العالم ومما هو جديـر بالملاحظة أن الرئيس الأمريكى

١- سمعان : مرجع سابق، ص ٢٧٠ - ٢٧٣

ويلسن قد وقف ضد المطالب اليابانية فى مؤتمر الصلح وأعتبرها خاطئة خلقياً وجائرة سياسياً وإذا كانت اليابان قد حصلت على مطالبها بمساعدة إنجلترا وفرنسا فإن الصين قد رفضت التوقيع على المعاهدة بتأييد الولايات المتحدة الأمريكية.[1] ومعنى هذا أن الحرب العالمية الأولى أدت إلى بروز دور الولايات المتحدة فى منطقة الشرق الأقصى وزادت القوى البحرية الأمريكية بصورة أصبحت معها أكبر قوى عالمية فى المنطقة وفى نفس الوقت تزايدت مسئولية اليابان فى المنطقة بعد إستيلائها على المستعمرات التى كانت خاضعة لألمانيا مع معارضة الولايات المتحدة للسياسة اليابانية فى الصين ومن هنا كان الصراع بين الولايات المتحدة واليابان [2] أى أن الحرب العالمية الأولى قد أنتجت أول حركة إنتقال للأهمية السياسية من أوربا إلى الولايات المتحدة الأمريكية [3]

عقد مؤتمر واشنطن :

كانت اليابان وبريطانيا والولايات المتحدة خلال عام ١٩٢٠ فى سباق محموم نحو تدعيم السلاح البحرى وإنتشرت التكهنات بقرب وقوع حرب بين الولايات المتحدة واليابان فكانت الدعوة لعقد هذا المؤتمر من أجل النظر فى تحديد مدى التسلح البحرى درءاً لوقوع حرب فى المستقبل وكان المؤتمر بدعوة من الولايات المتحدة وحضر حفل الافتتاح الرئيس الأمريكى هاردنج Harding فى ١٢ نوفمبر وتم انتخاب وزير الخارجية الامريكى تشالز هيوز Ch. Hughes رئيساً للجلسات والذى قيم المؤتمر فيما يتعلق بالمعاهدة البحرية الخاصة بتحديد الاساطيل بقوله، انها ربما كانت اكبر خطوة للأمام فى التاريخ من اجل اقرار السلام فى المنطقة [4].

١- بانيكار : مرجع سابق، ص ٣٠٧ .

٢- محمد نعمان : مرجع سابق ، ص ٤١ .

٣- بانيكار : مرجع سابق، ص ٣٠٧ .

٤- فوزى: مرجع سابق ، ص ١٢٦

وحصر المؤتمر تسع دول بحرية هى الولايات المتحدة وبلجيكا وبريطانيا وفرنسا وايطاليا وهولندا والبرتغال واليابان والصين [1] ولم توجه الولايات المتحدة الدعوة إلى روسيا لخروجها من الحرب [2].

لقد أدركت اليابان أن الهدف من ذلك هو عزلها وعرض علاقتها مع الصين على مائدة المفاوضات لاسيما مسألة شانتونج والحد من نشاطها بوجه عام لذلك لم تقبل دعوة الرئيس الأمريكى هاردنج إلا بعد أن أوضحت كل الإيضاح أن المسائل التى تهم دولاً معينة أو أن الأمور التى يجب أن تعتبر من الحقائق المقررة والأمور الواقعة ينبغى الا تثار فى المؤتمر وبهذه الصيغة حاولت صون حقوقها فى شانتونج وهى حقوق تستند الى معاهدة فرساى وان تحافظ على مركزها فى منشوريا الذى يندرج تحت شرط الأمور التى تهم بصفة خاصة دولاً معينه [3].

اسفر المؤتمر عن معاهدات ثلاث :

المعاهدة الأولى فى ١٣ ديسمبر ١٩٢١ بين فرنسا، بريطانيا، اليابان، الولايات المتحدة ونصت على المحافظة على الأوضاع الراهنة فى المحيط الهادى، كما تضمنت تحت ضغط الولايات المتحدة ما يفيد انهاء التحالف اليابانى البريطانى [4].

كان التحالف اليابانى الانجليزى ١٩٠٢ قد جدد ١٩١١ لمدة عشر سنوات وان كانت بريطانيا قدتحفظت بأنها لن تصل إلى التدخل المسلح فى حالة وقوع صدام بين اليابان والولايات المتحدة .

١- محمد نعمان : مرجع سابق، ص ٤١. فوزى : مرجع سابق، ص ١٢٦

٢- فوزى : مرجع سابق، ص ١٢٦

٣- بانيكار : مرجع سابق، ص ٣٠٨

٤- فوزى : مرجع سابق، ص ١٢٧

لقد أضرت السياسة اليابانية فى الصين منذ عام ١٩١٥ بالمصالح الاقتصادية الانجليزية كما ان حركة التوسع الروسى كانت الدافع الاساسى لعقد التحالف .. قد توقف ذلك منذ ثورة ١٩١٧ .. ولكن بريطانيا كانت تخشى مساعدة اليابان للحركة الوطنية فى الهند ومع ذلك فالعلاقات البريطانية الامريكية قد صار لها الاعتبار الأول وكانت الولايات المتحدة ترغب فى انهاء التحالف البريطانى اليابانى فلقد رأى وزير الخارجية الامريكى في ٢٣ يونيو ١٩٢١ ان تجديد التحالف سيكون سنداً للعسكرية اليابانية على حساب المصالح الامريكية وان التخلى عن هذا الحلف سيكون علامة للتعاون الانجلو امريكى فى مسائل الشرق والمحيط الهادى بل ان الموقف الامريكى ازاء حركة استقلال ايرلندا الجنوبية سيترتب سلباً أو إيجاباً ازاء الموقف الانجليزى فى المسألة اليابانية [1] لقد أخذ الرأي العام الامريكى ينتقد المحالفة الانجلو اليابانية وأخذت واشنطن تتنبأ بحدوث صراع فى المحيط الهادى بعد مكاسب اليابان فى هذه المنطقة واعتبرت أن هذه المحالفة هى التى كانت تحرس الجناح الدبلوماسى لاعتداءات اليابان بشمال الصين.. بل كان العامل الذى أحبط محاولات الولايات المتحدة فى الحد من مصالح اليابان وكان أجل المعاهدة ينتهى ١٩٢١م.

ومن ناحية أخرى فإن بريطانيا ادركت أنه لا معنى للتحالف مع دول أسيوية تحد من حرية بريطانيا فى التصرف ببلاد الشرق الأقصى بعد زوال التهديد الالمانى.

ومن ناحية ثالثة كانت كندا تعارض فى تجديد المعاهدة وكانت تعكس إتجاه واشنطن الى حد ما وفى المؤتمر الامبراطورى نال آرثر ميغين (م ي غ ي ن) رئيس الوزراء الكندى نسبة كبيرة من التأييد لوجهة نظره رغم معارضة لويد جورج وتشرشل وغيرهما ممن كانوا يخافون مغبة إثارة حقد اليابان وعداوتها على المصالح البريطانية فى الشرق [2]

---

١ - بيير - توفان : تاريخ العلاقات الدولية - أزمات القرن العشرين ١٩١٤ -١٩٤٥ ص ٣٤٦، ٣٤٧.

٢- بانيكار : مرجع سابق، ص ٣٠٨

المعاهدة الثانية فى ٦ فبراير ١٩٢٢

اتفق فيها على ان تكون نسبة الاساطيل بين الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان وفرنسا وايطاليا هي ٥: ٥: ٣: ١,٧٥ : ١,٧٥ على التوالي [١] وإلا تزيد حمولة السفن الحربية عن ٣٥ الف طن وحاملات الطائرات عن ٢٧ الف طن واعلان هدنة بحرية لمدة عشر سنوات ولقد أفادت هذه المعاهدة اليابان اذ جعلت من اسطولها قوة بحرية كبرى معترف بها [٢].

المعاهدة الثالثة فى ٦ فبراير ١٩٢٢

تنص على احترام سلامة اراضى الصين واستقلالها السياسى والادارى وان يسمحوا لها بالعمل على تطوير نفسها وإقامة حكومة مستقرة والتمسك بسياسة الباب المفتوح وألا تسعى الدول المتعاقدة التسع لإقامة مناطق نفوذ خاصة بها في الصين [٣].

واثناء انعقاد المؤتمر دارت محادثات جانبية بين وفد الصين واليابان حول اقليم شانتونج اسفرت عن موافقة اليابان على ترك الاقليم خلال ستة أشهر وتم فى ١٧ ديسمبر ١٩٢٢ مغادرة جنود اليابان شانتونج [٤] وكذلك اعادة خط سكك حديد تسنجتاو - تسينان إلى الصين بل ووعدت اليابان بالإنسحاب من سيبيريا فى أقرب وقت.. ففقدت اليابان كل مكاسبها ولم يبق منها إلا الجزر اليابانية فى المحيط الهادى [٥].

ان الهدف الرئيسى من انعقاد المؤتمر هو محاولة الولايات المتحدة الضغط على اليابان للتخلى عن بعض مكاسبها وهو ما حدث مما أدى إلى إستياء العسكريين اليابانيين ذوى النزعة التوسعية، وكان هذا المؤتمر بداية حقد اليابان على الولايات المتحدة.

١- توفان : مرجع سابق، ص ٣٤٨.
٢- فوزى : مرجع سابق، ص١٢٧
٣- محمد نعمان جلال: مرجع سابق، ص ٤٢، ٤٣
٤- نفس المرجع ص ٤٢.
٥- فوزى : مرجع سابق، ص ١٢٧

لقد ذهبت اليابان إلى مؤتمر واشنطن كارهة واعتبرت ان ما تمخض عنه المؤتمر من قرارات يعتبر تدخلاً سافراً فى شؤونها فى منطقة الشرق الأقصى وآسيا برمتها بل أثار حفيظتها رفض الدول الأوربية لمبدأ المساواة العنصرية التى طرحته الصين فى مؤتمر الصلح.. وقد رفض الاقتراح الولايات المتحدة واستراليا.. وكان سبب رفض استراليا هو الخوف من هجرة العنصر الاصفر إليها مما يؤدى إلى انخفاض مستوى معيشة أهلها وكما رفض الرئيس الأمريكى ولسن حتى لا يثير الشعب الامريكى حول هذا الموضوع [1].

ولقد حرصت الولايات المتحدة على أن يصدر عن المؤتمر قرارات ضمن بنود المعاهدات بطريقة غير مباشرة إلى إنهاء التحالف اليابانى البريطانى الذى تم تجديده عام ١٩٠٥، ١٩١١ وكانت احدى مواد هذا الاتفاق كما سبق تنص على دخول بريطانيا الحرب إلى جانب اليابان فى حالة حدوث عدوان من دولة ثالثة فماذا يكون الموقف لو كانت هذه الدولة الولايات المتحدة الامريكية ؟ وبالتالى أقرت بريطانيا على عدم تجديد هذا التحالف [2] ومن الجدير بالذكر أن ما تضمنته معاهدة واشنطن لم يكن الهدف منها الحفاظ على مصلحة الصين بل كان الهدف الأول هو حماية حقوق الدولة التجارية والاقتصادية من اليابان أى أن هذا المؤتمر كان يهدف إلى حماية مصالح هذه الدول امام المطامع اليابانية.

وقد حققت الصين عدة مكاسب :

- قضت على المطالب الواحد والعشرون التى سبق أن تقدمت اليابان بها فى معاهدتى ١٩١٥، ١٩١٨م .

- تمخض المؤتمر عن الغاء المعاهدة البريطانية اليابانية (١٩٠٢) ،وهى المعاهدة التى استندت اليها اليابان فى توسعها فى الصين [3].

١- نفس المرجع ص ١٢٨.

٢- فوزى : مرجع سابق، ص ١٢٨

٣- محمد نعمان : مرجع سابق، ص ٤٣.

لذلك اخذت اليابان تعمل على تجاهل هذه الاتفاقيات وتعمل فى نفس الوقت على تحصين ممتلكاتها فى المحيط الهادى وعلى تسليح نفسها بأقصى سرعة بقدر ما تتحمله امكانياتها الاقتصادية استعداد ليوم نزال مشهود آمنت أنه آت لا ريب فيه كما عملت ايضاً على الاعتماد على قوتها الذاتية والسير فى طريق الصناعة لتصبح دولة صناعية كبرى والنهوض بقواتها البحرية والجوية ذاتياً. وزادت من انتاجها وزادت صادراتها ولجأت الحكومة إلى خطة الاقتصاد الموجه ونفذتها بإحكام ونجاح ولم يكن ميسوراً الحصول على المواد الخام إلا فى منشوريا وصممت على أن تجعل منها مخزناً ودار صناعة أى ترسانة [1]

احتلال اليابان لمنشوريا ١٩٣١

لقد أصبحت اليابان بما قامت به من إصلاحات دولة كبرى على النسق الأوربى وتزايد عدد سكانها بصورة لا تتناسب مع المستعمرات التى ورثتها عن الألمان فى منطقة الشرق الاقصى أو فى فورموزا أو فى كوريا وكان استيلائها على ميناء بورت آرثر يحثها بإستمرار على التوسع الاستعمارى فى منشوريا [2]

لقد تفتحت اعين اليابان على منشوريا وهى أرض صينية للتوسع الإستعمارى اليابانى [3] وهى اقرب الولايات الصينية إلى اليابان خصوصاً بعد أن ضمت كوريا وكانت الفرصة سانحة فالروسيا مشغولة بثورتها وما ترتب عليها من تغييرات ، ولقد بدأت الصين العمل فى تدعيم قوتها بعد ثورة ١٩١١، وتمثلت أهمية منشوريا فى أنها تمد الصين بنصف ما تحتاجه من أخشاب ، ٤٠٪ من الفحم والحديد وهو موارد هامة فى فترة التطور الصناعى [4]

١- بانيكار : مرجع سابق، ص٣١٠.

٢- عبد العزيز سليمان نوار : التاريخ المعاصر لأوربا من الحرب البروسية الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار الفكر العربى ١٩٨٢ ، ص ٣٦٣.

٣- فوزى : مرجع سابق، ص ١٢٩.

٤- عبد الحميد البطريق: التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ - ١٩٦٠ ص ٣٢٤

لقد نمت صادرات اليابان ووارداتها مع منشوريا وقام اليابانيون بتنفيذ مشروعات اقتصادية وخطوط حديدية واسعة النطاق وهاجر عشرات الألوف من اليابانيين إلى منشوريا.. وبإختصار أصبحت منشوريا متنفساً لليابان إقتصادياً وبشرياً [1] وكانت القيادة العسكرية اليابانية شديدة التحمس لتحقيق التوسع اليابانى فى منشوريا [2] فعندما تولى البارون تاناكا رئاسة الوزارة اليابانية فى إنتخابات ١٩٢٥ تصاعدت موجة الإتجاهات الفاشية بشكل واضح ولقد حوت المذكرة الكثير ، الذى يفسر السياسة اليابانية التوسعية لاسيما فى الحرب العالمية الثانية جاء فيها مخاطباً الإمبراطور «من أجل أن تتولون جلالتكم المهمة التى أنيطت بكم فى بعث عهد جديد فى الشرق الأقصى وإنشاء إمبراطورية على مستوى القارة.. فإنه بمجرد غزو الصين فإن كافة أقطار أسيا الأخرى سوف تستسلم أمامنا ولسوف يفهم العالم أن أسيا لنا ولسوف لا يجرؤ أحد على التدخل وحين نصبح سادة الصين فلسوف نغزو الهند وآسيا الصغرى وآسيا الوسطى.. وأوربا وأن أول ما ينبغى عمله هو ضمان السيطرة على منشوريا ومنغوليا [3]

ولقد أشارت المذكرة إلى قيود مؤتمر واشنطن وضرورة التخلص منها حماية للأمن القومى اليابانى وأن موارد اليابان التى حصلت فى حربها مع روسيا قد حددتها معاهدة الدول التسع فى واشنطن فليس لليابانين حرية الهجرة إلى منشوريا بينما الباب مفتوحاً أمام الهجرات الصينية الأمر الذى يستدعي ضرورة أن توقف اليابان هذه الهجرة .

أن اليابان عليها أن تتبع سياسة الحديد والدم Blood and Iron - Policy لإزالة العقبات التى تعترض إقامة إمبراطورية يابانية ومواجهة الولايات المتحدة التى تعمل ضد اليابان فى الصين ولغزو الصين يجب أولاً غزو منشوريا ومنغوليا .

١- فوزى : مرجع سابق، ص ١٢٩.

٢- نوار : مرجع سابق، ٣٦٣.

٣- فوزى : مرجع سابق، ١٢٩ محمد نعمان جلال : مرجع سابق، ص ٤٦-٥٠

إن الإقتصار على التجارة اليابانية مع الصين دون الحقوق السياسية تمثل إنتحاراً ثورياً فبريطانيا والولايات المتحدة ممكن أن تتاجرا فقط مع الصين لأن الأولى لديها الهند وأستراليا وتمدانها بالمواد الأولية والغذائية والثانية لديها كندا وأمريكا الجنوبية تحقق لها إحتياجاتها .. أما اليابان فلديها نقص فى المواد الأولية الغذائية وزيادة فى السكان فإذا إعتمدت فقط على العلاقات التجارية فستتفوق عليها بريطانيا والولايات المتحدة وهناك أيضاً إحتمال يقظة الصين وتوحيد أراضيها وتنمية صناعاتها وهو ما يمثل خطراً على اليابان ..وبالتالى لمنع التغلغل الأوربى وتطور الصين يجب جعل منشوريا ومنغوليا قاعدة للتوسع فى الصين وبعد الصين تتقدم اليابان نحوالهند والخليج وآسيا الصغرى ووسط آسيا وأوربا ومذكرة تاناكا تشير إلى :

١- المطامع اليابانية للسيطرة على العالم .

٢- الهجوم الشديد على مؤتمر واشنطن ١٩٢٢.

٣- إن العدو الرئيس لليابان هى الولايات المتحدة وإذا كانت اليابان قد أنكرت هذه الوثيقة ومهما كان الأمر فإن السياسة اليابانية فى الثلاثينيات كانت تسير على تلك المبادئ[1]

لقد تجلى الصراع الاقتصادى بين كلاً من الصين واليابان حول سكك حديد منشوريا فلقد تمسكت اليابان بمعاهدة ١٩١٥ مع الصين تعهدت فيها الصين بعدم إنشاء خطوط حديدية فى منشوريا تنافس الخطوط الحديدية التى تمتلكها اليابان .. أنكرت الصين ذلك وشرعت فى إنشاء ثلاث خطوط حديدية مولتها ذاتياً وإفتتحت ميناءين جديدين بقصد منافسة ميناء داير ن فى الإتصال بالداخل وبذلك قلت قيمة الخط الحديدى الذى تحت هيمنة اليابان.. وأدركت اليابان أنها أمام خياران أما أن تتخلى عن مركزها صاغرة أو تحارب دفاعاً عن حقوقها[2].

١- محمد نعمان جلال : ص ٥٢، ٥٣.

٢- بانيكار : مرجع سابق، ص ٣١٠

وبتزايد المنافسات الإقتصادية بين اليابان والصين فى منشوريا تعددت فرص الإحتكاك بين الشعبين في منشوريا وتعالت صيحات التوسعيين اليابانيين لإستغلال هذه الإحتكاكات من أجل شن هجوم على الصين وقويت هذه الدعوة فى أعقاب إرتفاع نسبة البطالة فى اليابان بسبب الأزمة الإقتصادية الدولية وهكذا الحرب ضد الصين علاجاً مرتقباً لمشكلتى البطالة والكساد الإقتصادى القومى اليابانى وخاصة لخلق مجالات لإستيعاب الفائض البشرى اليابانى المتزايد .. ورأت اليابان أن تسارع فى الإستيلاء على منشوريا قبل أن يشتد ساعد الصين فى المستقبل القريب (١)

وكانت بداية الصراع والحرب هو إستغلال اليابان وقوع حادثة تخريب ضد الخط الحديدى فى منشوريا وفى مساء ١٨ سبتمبر ١٩٣١ إحتل اليابانيون مكدن وبعد أيام كانت اليابان قد إحتلت جميع المراكز الإستراتيجية لمنشوريا وتقدمت الصين بشكوى إلى عصبة الأمم وكان رد اليابان أن المسألة محلية بحته ويمكن حلها بالتفاوض وإهتمت الولايات المتحدة بالأمر وعلى أية حال ففى نهاية العام كانت اليابان قد إحتلت منشوريا (٢)

إستنجدت الصين بعصبة الأمم فتقدم شانج كاى شيك بشكواه فصدر قرار العصبة فى ٣٠ سبتمبر ١٩٣١ بإلزام اليابان بسحب قواتها من الأراضى التى احتلتها مع تلطيف عبارة الألزام بتحفظ تقليدى يقول «على أن يكون ذلك بالكيفية التى تكفل سلامة الرعايا اليابانيين » مما قلل من فاعلية القرار وصدر قرار أخر فى ٢٤ أكتوبر يقضى بسحب القوات اليابانية الأمر الذى رفضته اليابان (٣) كما أستنجدت بالولايات المتحدة إستناداً إلى ميثاق برياند – كلوج Briand - Kellogge Pact الذى تولته فرنسا ووقعته إيطاليا وألمانيا والإتحاد السوفيتى واليابان فى أغسطس ١٩٢٨ من أجل منع الحروب وتسوية

١- عبد الحميد البطريق : مرجع سابق ص ٣٢٤، ٣٢٥
، نوار : مرجع سابق، ص ٣٦٤.
٢- بانيكار : مرجع سابق، س ٣١٠، ٣١١
٣- فوزى : المرجع السابق ، ص ١٣١.

المشكلات بالطرق السلمية بين الدول ومع ذلك فقد تقاعست الولايات المتحدة رغم التناقض بين نمو قوة اليابان وتطلعات واشنطن فى الشرق الأقصى ولعل سبب ذلك وإكتفاء الولايات المتحدة بالإحتجاج الدبلوماسى هى أنها رأت وقتذاك فى التوسع اليابانى على حساب الصين تهديداً مباشراً للإتحاد السوفيتى الذى كان منطلقاً لنشاط الحركة الشيوعية فى الصين أى أن اليابان كانت من وجهة نظر الامريكان رادعاً للسوفيت ويجب إطلاق يدها فى مثل هذه الإتجاهات حتى ولو كانت تعارضت جزئيا مع تطلعات الولايات المتحدة [1]

وإستولت اليابان على شنغهاى وهى مركز الأجانب فى الصين ورفضت الولايات المتحدة هذا الأمر ودعت إلي عقد مؤتمر من الدول الكبرى لبحث الأمر فإنسحبت اليابان من شنغهاى ولكنها رفضت ترك منشوريا وما لبث أن أعلنت إستقلالها تحت إسم جديد هو منشوكو عام ١٩٣٢ وعينت عليها حكومة موالية ووضعت على رأسها إمبراطور الصين السابق بو-يى Pou-Yi ولم تعترف الدول الأعضاء فى عصبة الأمم بدولة منشوكو ونجحت الولايات المتحدة فى عزل اليابان التى قررت الإنسحاب من المنظمة الدولية حتى لا تلتزم بقراراتها .

ولقد بنت اليابان إنسحابها من عصبة الأمم فى ٢٤ مارس ١٩٣٣ على أساس التناقض بين وجهة نظر اليابان والعصبة (فى السياسة الواجب إتباعها للمحافظة علي السلام وخاصة فيما يتعلق بالمبادئ الأساسية التى لا يمكن بدونها قيام سلام دائم فى الشرق الأقصى) أى أن السلام فى الشرق الأقصى أصبح هدف السياسة اليابانية وإذا كان الرأى العام كان منقسماً إزاء التوغل اليابانى فى منشوريا إلا أنه توحد كرد فعل لموقف العصبة للحماس الوطنى الذى كان سائداً آنذاك ولقد عاد المندوب اليابانى بعد القاء خطابه بالعصبة واعتبر بطلاً قومياً [2]

---

١ - نوار : مرجع سابق، ص ٣٦٥

٢ - محمد نعمان جلال : مرجع سابق، ص ٦٠.

ومهما كان الأمر فقد ظلت منشوكو تابعة لليابان وتمت سيطرتها وكان المسرح السياسي مشجعاً لليابان في استيلائها على منشوريا بسبب الأزمة الاقتصادية العالمية ١٩٢٩ وآثارها ونمو الفاشية والنازية وانشغال الإتحاد السوفيتي بمشاكله الداخلية وعدم انضمامه للعصبة كما وجدت الولايات المتحدة وهي معارضة للتوسع الياباني أن تجارتها مع اليابان تعادل ٣ أضعاف تجارتها مع الصين فكان احتجاجها واهياً ولم تحرك بريطانيا ساكناً .. وكان ضعف عصبة الأمم لاسيما بعد انسحاب المانيا منها ١٩٣٢ وإيطاليا ١٩٣٦ عاملاً في تزايد اطماع اليابان وعملت على تنمية اسطولها البحري ليكون نظيراً للاسطولين الامريكي والانجليزي وأدى ذلك إلى تسابق رهيب بحري بين هذه الدول ... ومن ناحية أخرى فإن الولايات المتحدة قد طلبت من اليابان الإبقاء على سياسة الباب المفتوح في الصين لكي تستفيد كافة الدول الغربية من هذه السياسة على قدم المساواة «الأمر الذي جعل الخطوات التي أتخذت ضد اليابان إتسمت بالسلبية الأمر الذي شجع اليابان على إتخاذ خطوة جديدة أكثر خطورة وهي محاولة وضع الصين بكاملها تحت السيطرة الإقتصادية اليابانية طوعاً أو كرهاً .[1]

الحرب الصينية اليابانية ١٩٣٧

لا شك أن البيان الذي أصدره إيجي Eji أحد كبار المسئولين بوزارة الخارجية في ١٧ إبريل ١٩٣٤ والذي عرف فيمابعد بمبدأ مونرو لشرق آسيا نيابة عن الحكومة اليابانية يمثل السياسة اليابانية نحو التوسع فلليابان رسالته ومسئولياته خاصة في شرق آسيا وأنها تعرض أي نوع من المساعدات سواء كانت إقتصادية أو فنية تقدم للصين من الدول الأخرى وكان ذلك رسالة موجهة لعصبة الأمم والولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا فقد أرسلت العصبة لجنة فنية برئاسة الدكتور لودوج Ludwig Rajchman لدراسة أحوال الصين وتقدير النفقات المطلوبة للإصلاح والتعليم والصحة .. ومن ناحية أخرى وافقت الحكومة الأمريكية على فتح إعتماد للحكومة الصينية بمبلغ ٥٠ مليون جنية لشراء قطن

١ - فوزي : مرجع سابق، ص ١٣٠، ١٣٣.

. ..مح من الولايات المتحدة بل أن الصين تعاقدت مع بعض الشركات الأمريكية والإنجليزية والفرنسية لشراء طائرات وإستخدام خبراء امريكيين لتدريب الصين .. وبالتالى فالحرب ضد الصين لم تكن صدفة بل كانت تعبيراً عن سياسة توسعية فى شرق آسيا وعلى أية حال هناك مجموعة من الأسباب دعت اليابان لتكرار إعتدائها على الصين .

-رفض الصين التعاون الإقتصادى مع اليابان .

- حاجة اليابان إلى منافذ بحرية لتنشيط إقتصادها.

- حماية اليابانيين المقيمين فى الصين (٨٠,٠٠٠)، وقد قتل منهم البعض

- كان السبب الحقيقي والقوى هو نمو قوة اليابان عسكرياً وإقتصادياً وحاجتها إلى مجالات للتوسع .. وكانت الصين هى هذا المجال فأرادت اليابان أن تحارب الصين قبل أن تكتمل قوتها .

- وكان السبب المباشر هو حادث إعتداء على الجنود اليابانيين فى بكين فى ٧ يوليو ١٩٣٧م .

كيف بدأت الحرب ؟

على أثر هذا الإعتداء قام الجيش اليابانى بالإستيلاء على مدينة وانج بينج وطلبت من الصين سحب جيشها من شمال الصين ووضع المنطقة تحت الحماية اليابانية ، فرفضت الصين وقطعت العلاقات الدبلوماسية بين البلدين .. فواصل اليابانيون زحفهم على بكين وأستولوا عليها وطاردوا الجيش الصينى صوب الجنوب ، وإحتلوا جزيرة شانتونج ووصلوا إلى داوى يانج - تسى عام ١٩٣٨ واستولوا على هانكيو التى تعتبر من أكبر المراكز التجارية فى وسط الصين وواصل اليابانيون زحفهم حتى سيطروا على ١/ ٥ الأراضى الصينية عام ١٩٣٩ وبها ٤٢٪ من السكان كانت اليابان تهدف من الحرب إلى توطيد نفوذها فى الصين بإسقاط حكومة تشانج كاى شيك وتعيين بدلاً عنه من الصينيين

الموالين لليابان والمستعدين للتعاون الإقتصادى بين الصين واليابان ومساهمة الصين فى مناوأة الشيوعية إذ كانت اليابان منذ عام ١٩٣٨ سيدة جميع المراكز الصناعية والتجارية فى الصين وترغب فى إبعاد النفوذ الإقتصادى للدول الغربية فى الصين - حقيقة لقد إحترمت اليابان الإمتيازات التجارية للدول الأجنبية فى شنغهاى وتيان تش .. ولكن اليابان من ناحية أخرى حرمت السفن الأوربية التجارية المرور من نهر يانج- تسى الصالح للملاحة فى الصين الوسطى مما يهدد المصالح التجارية الإنجليزية والأمريكية للخطر ولكن حكومة تشانج كاى شيك لجأت إلى منطقة تشونج كينج - Touchunj king وارتكزت هذه الحكومة فى مقاومة الغزو اليابانى على عدة ركائز أهمها :

١ - أن اليابان تود الانتصار فى حرب خاطفة للقضاء على قوة الكفاح الصينى وإرغام الصين على قبول الشروط اليابانية - وإذ باليابان تجد نفسها متورطة فى حرب طويلة المدى وعلى مساحات مترامية .

٢- أن القوات اليابانية عمدت إلى السيطرة على المدن وعلى المواقع الاستراتيجية فقط ولكن الريف الصينى ظل بكامله تحت سيطرة الصينيين بما يهدد اليابان بحرب عصابات تستنفذ قواها

٣- أن اليابانيين كانوا يعتقدون أن حكومة تشانج كاى شيك سوف تسقط بعد الضربات الأولى ولكن القائد العسكرى ظل مسيطراً على المقاومة الشعبية رغم التفوق اليابانى الساحق فى المعدات العسكرية.

٤- إن سياسة اليابان الإقتصادية فى الصين بدأت تهدد إمتيازات الدول الأوربية فيها الأمر الذى يدعو إلى زيادة تحرك هذه الدول ومنها الولايات المتحدة ضد اليابان ولقد إستمرت هذه الحرب بين الصين واليابان إلى أن وقعت الحرب العالمية الثانية لتصبح هذه الحرب جزءاً منها وهاماً لاسيما بعد ضرب اليابان بالأسطول الأمريكى فى بيرل هاربر ١٩٤١ [١].

١- عبد العزيز نوار : مرجع سابق، ص ٣٦٧، ٣٦٨

٨- اليابان والحرب العالمية الثانية ١٩٣٩-١٩٤٥:

أولاً : التطورات السياسية التى أدت إلى دخول الحرب العالمية الثانية :

١- علاقة اليابان مع ألمانيا وروسيا :

عندما إحتلت اليابان منشوريا وجد الإتحاد السوفيتى نفسه مضطراً إلى أن يعرض على اليابان شراء الخط الحديدى الروسى الذى يمر فى شرق الصين وتبقى الأمور طبيعية عند هذا الحد ولكن ما أوجد الخصومة بين اليابان وروسيا عندما وقعت اليابان « ميثاق الكومنتيرن » مع ألمانيا وإيطاليا فى ٢٥ نوفمبر ١٩٣٦ (٢).

وكانت دوافع اليابان للإنضمام إلى هذا الميثاق هو شعورها بالعزلة حين تحللت من إلتزامها بمعاهدة واشنطن البحرية نهائياً ١٩٣٥ ثم إنسحابها من مؤتمر لندن البحرى ١٩٣٦ «كانت قرارات مؤتمر واشنطن لا تطبق إلا على السفن الحربية الكبرى ولكن مؤتمر لندن ١٩٣٠ طبق نفس الشروط على السفن الحربية الأصغر حجماً - ولقد تخلت اليابان عن كلتا الإتفاقيتين » فضلا عن إنسحابها من عصبة الأمم ولكسر هذه العزلة إنضمت إلى ميثاق مناهضة الكونتيرن .

ومن ناحية أخرى لقد وقعت مناوشات بين اليابان والروسيا تمكن فيها الجيش اليابانى من فتح الثغرات داخل الجيش السوفيتى «جيش الشرق الأقصى» وفى عام ١٩٣٨ تكرر الصدام إذ حاول الجيش اليابانى إحتلال منطقة بين منشوريا وسيبيريا كانت روسيا تدعى ملكيتها وبادرت اليابان بتسوية النزاع مع روسيا عندما ادركت أن لا سبيل لمواجهتها وفى ٢٣ أغسطس ١٩٣٩ عقدت ألمانيا مع الاتحاد السوفيتى ميثاق عدم اعتداء وخالفت بذلك

---

١ - عبد العزيز نوار : مرجع سابق، ص ٣٦٧، ٣٦٨

فوزى : مرجع سابق. ص ١٣٣

ألمانيا ميثاق مناهضة الكومنتيرن الذى كان يمنع إبرام أى إتفاق سياسى مع الإتحاد السوفيتى ومع ذلك إنضمت اليابان إلى الميثاق الثلاثى (مع ألمانيا وإيطاليا) والذى وقع فى برلين فى سبتمبر ١٩٤٠ أى بعد الحرب بعام .. إعترفت فيه اليابان بمقتضاه بحق ألمانيا وإيطاليا فى تقرير مصير أوربا وفى المقابل إعترفت الدولتان بحق اليابان فى فرض نظامها الجديد فى شرق آسيا كما عقدت اليابان ميثاق حياد مع روسيا لمدة خمس سنوات فى ١٤ ابريل ١٩٤١ بتحريض من ألمانيا (١)

[وبعد أقل من شهرين هاجمت ألمانيا الإتحاد السوفيتى] وضمنت بالتالى عدم حدوث إعتداء عليها من الشمال وكان الهجوم الألمانى على روسيا فى يونيو ١٩٤١ ناجحاً فى البداية لدرجة أن اليابان أصبحت مستعدة للمغامرة ودخول الحرب ضد الولايات المتحدة (٢) وهو ما يدعو لمعرفة العلاقة بين اليابان والولايات المتحدة .

٢ - علاقة اليابان مع الولايات المتحدة :

لقد وضعت الولايات المتحدة عقبة فى سبيل التوسع اليابانى فى الصين وفى أندونيسيا .

كانت اليابان تهدف إلى إنهاء حربها مع الصين بسرعة ولكن تعذر ذلك للمساعدات المادية والمعنوية التى كانت تقدمها حكومة الولايات المتحدة لحكومة تشانج كاى شيك وعندما أصدر وزير الخارجية اليابانى «اريتا» بياناً أكد فيه قوة العلاقات الاقتصادية بين اليابان وجزر الهند الشرقية كانت الولايات المتحدة تعمل فى نفس الوقت على تشجيع الهولنديين على مقاومة اليابانيين ورفض مطالبهم وإذا كانت الولايات المتحدة قد إتبعت

---

١ - عبد العزيز نوار : مرجع سابق، ص ٣٦٧، ٣٦٨

فوزى : مرجع سابق، ص ١٣٣

٢ - نفس المرجع، ص ١٣٤ .. والكومنتيرن Comintern يدعو إلى توحيد الحركات العمالية العالمية والاسراع فى تحقيق الثورة الشاملة.

إزاء التوسعات اليابانية سياسة عدم الإعتراف بأي تغيير يطرأ على منطقة شرق أسيا نتيجة الحرب وذلك منذ عام ١٩٣٠ فإنها غيرت هذه السياسة منذ يوليو ١٩٣٨ إلى فرض حظر على شحن المواد الحربية لليابان بل أنها فى عام ١٩٣٩ فسخت كافة المعاهدات التجارية التى كانت قائمة مع اليابان منذ عام ١٩١١ بل أنها أيضاً أنشأت نظاماً يتم بمقتضاه ضرورة الحصول على ترخيص بتصدير البترول والمعادن إلى اليابان .

وإزاء هذا الموقف رأى اليابانيون لكى يحققوا أهدافهم فى التوسع ضرورة الإتفاق مع الولايات المتحدة وتقريب وجهات النظر وبالتالى دارت المفاوضات بينهما فى ربيع ١٩٤١ وإمتدت حتى يوليو من نفس العام ولم تسفر عن نتيجة لإصرار الولايات المتحدة على إنسحاب اليابان من الصين والهند الصينية وهو ما رفضته اليابان بل وتم عقد مؤتمر إمبراطورى فى ٢ يوليو ١٩٤١ قررت فيه الحكومة اليابانية تنفيذ مخططها فى الهند الصينية ولو أدى ذلك إلى إندلاع الحرب مع إنجلترا والولايات المتحدة وعندما علمت الولايات المتحدة بهذا القرار قامت بتجميد أموال اليابانيين فى الولايات المتحدة وإتخذت نفس الإجراء كندا وإنجلترا.

فكانت محاولة اليابان فى تقديم مقترحات جديدة للولايات المتحدة تتضمن عدة بنود من قبل اليابان وتتمثل فى :

- ترك موضوع الهند الصينية عندما تفرغ اليابان من حربها مع الصين .

- ضمان سلامة الفلبين .

وفى مقابل ذلك على الولايات المتحدة :

- أن توقف الولايات المتحدة إستعداداتها العسكرية فى منطقة الشرق الأقصى .

- أن توقف الولايات المتحدة الحظر المفروض على التجارة .

- أن تعترف الولايات المتحدة بمركز اليابان فى الهند الصينية .

- أن تمارس الولايات المتحدة الضغط السياسى على تشانج كاى شيك لإنهاء الحرب الصينية اليابانية .

ورفضت الولايات المتحدة هذه المقترحات

فرأى قادة الجيش اليابانى ضرورة أن توجه الضربة قبل إنقضاء فصل الشتاء هذا العام فطلبت حكومة توجو «خلف كلنوى» من الولايات المتحدة قبول المطالب اليابانية فى موعد أقصاه ٢٥ نوفمبر ١٩٤١ وألا لا يكون فى مقدور اليابان منع تدهور الموقف ورفض وزير الخارجية الأمريكية هذه الشروط فى اليوم التالى فصدرت الأوامر للقوات البحرية اليابانية بضرب ميناء بيرل هاربر .. فلقد إعتقدت اليابان أن مفتاح توسعها نحو الجنوب هو فى يد الولايات المتحدة وعندما لم يفلح التفاهم والتفاوض وصلت الأمور إلى الصدام فى حرب فعلية [١]

٢- ضرب بيرل هاربر :

كانت مؤشرات الحرب تشير إلى تفوق الألمان وهو ما دعى اليابان أن توقع الميثاق الثلاثى مع إيطاليا وألمانيا فى سبتمبر ١٩٤٠ كما عقدت إتفاقية حياد مع الروسيا فى ابريل ١٩٤١ .. ولكن حدث أن قام هتلر بمهاجمة روسيا في يونيو ١٩٤١ دون إخطار اليابان وأصبحت اليابان بين أمرين إما أن تتبع دول الميثاق الثلاثى أو تحترم إتفاقية الحياد مع روسيا وفضل اليابانيون إحترام إتفاقهم مع الروسيا [٢] .

وفى نفس الوقت ظهر أثر العامل الإقتصادى إذ ترتب على طول الحرب اليابانية الصينية حاجة اليابان إلى البترول وهو ما كان محظوراً ضمن الحظر الذى أصدرته الولايات المتحدة على السلع الإستراتيجية لليابان بالإضافة إلى الصلب وكانت شروط

---

١ - فوزى : مرجع سابق، ص ١٣٥

٢ - J. kennedy, M.A, Ahistory of Malaya 1400- 1959, London, 1962,p. 256.

الولايات المتحدة للوصول إلى إتفاق مع اليابان هو إنسحاب اليابان من الهند الصينية والصين ومنشوريا وهو ما رفضته اليابان فكان قرار الضربة المفاجأة على بيرل هاربر بجزر هاواى والتى قضت على التفوق البحرى للولايات المتحدة الأمريكية فى المحيط الهادى وكان ذلك فى ٧ ديسمبر ١٩٤١ (١).

دمر اليابانيون فى هذا الهجوم سبع مدمرات أمريكية وعدداً من الزوارق ونصف طائرات الولايات المتحدة فى هاواى كما قاموا بضربات مركزة على الفلبين حيث ضربوا الطائرات الأمريكية وهى على الأرض ودمروها كما وجهوا الضربات إلى هونج كونج والملايو وفى سنغافورة أغرقوا مدمرة بريطانية وكذلك باخرة حربية وبعد القضاء على القوة الأمريكية صارت الساحة خالية لليابانيين فسقطت فى أيديهم هونج كونج ٢٥ ديسمبر ١٩٤١ ، ومانيلا فى ١٥ يناير ١٩٤٢ واستولوا على إندونيسيا وبورما فى مارس وأبريل ١٩٤٢ على التوالى وإستعدت اليابان للزحف على أستراليا (٢) لقد توسعت اليابان قدر إستطاعتها فى مسرح الباسيفيك وأخذت تدعم مركزها الاستراتيجى (٣) وكانت لهذه الانتصارات اليابانية أثر فى إنهيار أسطورة الرجل الأبيض وأخذ اليابانيون يعاملون الهولنديين والبريطانيين والأمريكيين الأسرى بإحتقار أمام سكان البلاد الأصليين فى أندونيسيا وتايلاند والملايو وهونج كونج والفلبين (٤) وكان هذا التوسع تحت شعار آسيا للآسيويين والرخاء الآسيوى المشترك Asiatic Co - Prosperity فكان الأندفاع اليابانى فى شرق آسيا (٥) وهنا يجب أن ندرك أن اليابان بإتباعها التقنية الغربية والتكتيك العسكرى أصبحت الآن قوة قادرة وفعالة فى يد القادة العسكريين اليابانيين لتحدى القوى الغربية (٦) .

١- فوزى : مرجع سابق، ص ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧ ٢- نفس المرجع ص ١٣٧، ١٣٨.

١- البطريق، مرجع سابق، ص ٣٩٤

j.kennedy, M.A., Ahistory of Malaya, 1400- 1959, London, 1962, P. 256.

٢- فوزى : مرجع سابق، ص ١٣٨، ١٣٩

ولكن ما لبث أن تغير الموقف وأخذت الأنتصارات اليابانية فى الإنحسار بل وتغيرت الكفة بعد موقعة المورجان ١٩٤٢ إذ كانت هذه المعركة هى نهاية تقهقر الحلفاء واستطاعوا أن يحرزوا عدة إنتصارات كبيرة على اليابان وإتبعت خطة الهجوم الشامل براً وبحراً وجواً وأخذت تسترد ما إحتلته اليابان من جزر وبلاد بين عامى ١٩٤٣/ ١٩٤٤م وفقدت اليابان كل ممتلكاتها الخارجية فمنذ عام ١٩٤٣ حدث تحول فى ميدان الباسفيك لصالح الحلفاء إذا أجبرت القوات الأمريكية اليابان على أن تجلوا عن منطقة قناة جودال Guadol Canal وأظهرت هذه المعركة بالتحول لصالح الحلفاء فى الحرب أنه لم تؤدى إلى نتائج حاسمة .. فالمعركة الحاسمة يجب أن تكون فى القارة الاسيوية وإن كان الموقف صعباً فلقد حاصرت اليابان الصين وتبذل جهدها للسيطرة عليها وكان الاتصال الوحيد بين الصين والحلفاء يتم عن طريق الجو من الهند عبر الهيملايا وكان من الصعب أن ترسل مساعدات حربية مؤثرة عبر الطرق الصعبة والخطرة وفى نفس الوقت كان شانج كاى شيك لا يرغب فى حرب اليابان بقدر ما كان يرغب فى قتال القوات الصينية الشيوعية وكان هناك خوف لدى الأمريكان والبريطانيين من أن تستسلم حكومة الكونستاج فى الصين لليابان (١).

ودون الدخول فى تفاصيل الحرب وما أعلنه مؤتمر القاهرة بين روزفلت وتشرشل وشانج كاى شيك فى الفترة من ٢٢ إلى ٢٦ نوفمبر ١٩٤٣ - من أن هدف بريطانيا والولايات المتحدة والصين هو تجريد اليابان من جميع جزر المحيط الهادى التى استولت عليها فى الحرب العالمية الأولى وكذلك كل الأملاك التى اغتصبتها اليابان من الصين منشوريا وفورموزا وبسكادورس واعادتها إلى الصين (٢) فإن المعركة الكبرى التى تعتبر نقطة تحول فى مسار الحرب هى معركة ليتى Leyte فى وسط الفلبين فى ٢٠ اكتوبر

٣- Trakhanovsky, British Foreign policy During world war II, Moscow, 1970, P. 365.

١ وخسرت فيها اليابان اغلب اسطولها لصد الغزو الامريكي (١/ ٤ مليون جندى)
* يناير ١٩٤٥ نزلت القوات الإمريكية مانيلا واستولوا عليها بعد معركة شرسة
..معت القوات الأمريكية فى جزيرة أوكيناوا جنوب اليابان وفشلت المحاولات اليابانية فى ضرب القوات الأمريكية بالجزيرة وما لبثت أن سقطت فى يد القوات الامريكية وخسر اليابانيون فى هذه الموقعة ١١٠,٠٠٠ جندى (١)

وهناك نقطة جديرة بالملاحظة أن اليابان منذ دخولها الحرب ضد الولايات المتحدة عام ١٩٤١ كانت تستخدم أقصى طاقتها الإقتصادية وكانت قد أجهدت فى حربها مع الصين منذ عام ١٩٣٧ والتى استخدمت فيها الصين اسلوب حرب العصابات لإنهاك اليابان وفى نفس الوقت كانت امكانيات اليابان الإقتصادية لا تعادل ذات امكانيات الولايات المتحدة فهى اقل منها بكثير(عشرة أضعاف) وسكان الولايات المتحدة ضعف سكان اليابان.

وإذا كانت الروح القومية اليابانية قوية فإنها تستطيع أن تفعل شيئاً فى حرب قصيرة أما على المدى الطويل ومع الانهاك الاقتصادى والعسكرى فإن الضعف يعترى هذه الروح المعنوية ومع ذلك فقد حارب اليابانيون بشراسة مذهلة ولم يترددوا أمام الموت (٢)

إستسلام اليابان :

وكانت نهاية الحرب فى أسيا والمحيط الهادى نفس عام ١٩٤٤ والشهور الأولى لعام ١٩٤٥ حدثت عدة نكسات عسكرية وبدأت اليابان تفقد سيطرتها على المناطق التى سبق أن استولت عليها (٣).

١- فوزى : مرجع سابق ، ص ١٣٩
٢- السروجى : مرجع سابق ، ص ٢٢٤.
٣- j. kennedy, M. A., op.cit., p. 257.

وفى هذه الظروف كانت ألمانيا قد استسلمت فى ٧ مايو ١٩٥ وأصبح واضحاً أن اليابان لن تكسب الحرب.

وكانت اليابان منذ عام ١٩٤٤ تفكر فى إيقاف القتال وطلبت وساطة الاتحاد السوفيتي ولكن الولايات المتحدة أصرت على التسليم دون شروط وهو ما اتبعته المانيا وفى ٢٦ يوليو ١٩٤٥ اذاعت الولايات المتحدة وبريطانيا والصين بيان بوتسدام دعت فيه اليابان الى الإستسلام دون قيد وإلا واجهت الدمار الشمال ولكن اليابان تباطأت فى الإستجابة لهذا النداء الأمر الذى أسفر عن القاء القنبلة الذرية على هوريشيما فى ٦ أعسطس ١٩٤٥ قضت على ٧٥ الفاً ودمرت معظم هيروشيما وشوهت عدداً لا يحصى من سكانها وفى ٩ أغسطس ١٩٤٥ كان إلقاء القنبلة الثانية على نجازاكى وقضت على ٤٥ الفاً من سكانها وفى الفترة بين القاء القنبلتين دخلت روسيا الحرب ضد اليابان وهاجمت منشوريا [١]

وكانت هناك معاهدة عدم اعتداء بين الاتحاد السوفيتي واليابان لمدة ٥ سنوات تنتهى فى ابريل ١٩٤٦ وبينت المعاهدة فى المادة الثالثة أن انهاء المعاهدة يقتضى أن يخبر أحد الطرفين الآخر بإنهاء المعاهدة قبل موعدها بعام على الأقل أي فى ١٣ أبريل ١٩٤٥ .. وهو ما تم اذ استدعى وزير الخارجية الروسى السفير اليابانى وأخبره بتغير الأمور تغييراً جذرياً من عام ١٩٤١ وهو عام توقيع المعاهدة ذلك أن المانيا قد هاجمت الاتحاد السوفيتى الذى وجب عليه التحالف مع انجلترا والولايات المتحدة وهاتان الدولتان تعتبران فى حالة حرب مع اليابان وبالتالى فالاتحاد السوفيتى يتمسك بحقه فى فسخ المعاهدة طبقاً للمادة الثالثة من المعاهدة [٢].

وانعقد مؤتمر امبراطورى فى ساعة متأخرة من ليل ٩ اغسطس للنظر فى أمر قبول بيان بوتسدام وانتهى الأمر بأن قبلته اليابان بشرط واحد هو أن هذا القبول لا يتضمن

---

١ - فوزى : مرجع سابق ، ص ١٤١ .

٢ - المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

المساس بسلطات صاحب الجلالة الامبراطور بإعتباره السيد الأعلى للبلاد وكان الرد الامريكى عنيفاً اذ تضمن أنه منذ اللحظة التى يتم فيها الاستسلام يصبح الامبراطور والحكومة الأمبراطورية خاضعين للقائد العام للحلفاء وبالتالى عقد مؤتمر امبراطورى آخر صباح يوم ١٤ اغسطس أصدر فيه الامبراطور أوامره بقبول العرض الامريكى رغم معارضة العسكريين اليابانيين وفى ظهر اليوم التالى أذيع بيان الاستسلام على الامة اليابانية ووصل الامريكيون الى اليابان فى ٣٠ أغسطس ١٩٤٥ وفى سبتمر ١٩٤٥ اقيم الاحتفال الرسمى لإستسلام اليابان على ظهر الباخرة الامريكية ميسورى فى خليج طوكيو [١].

لقد تجاهلت اليابان عدة حقائق واسست خطتها على عدة احتمالات .

أما الحقائق فتتلخص فى أن اليابان لا تستطيع أن تحتفظ بمستوى مجهودها الحربى لمدة طويلة لأن الاقتصاد اليابانى يعتمد بصفة أساسية على استيراد البترول والحديد والفحم والبوكسايت وغير ذلك من المواد الاستراتيجية .. وهو ما ادركته الولايات المتحدة ففرضت حظراً جوياً وبحرياً صارماً على الجزر اليابانية لمنع وصول هذه المواد إلى اليابان.

والحقيقة الثانية هى ما كان ينبغى على اليابان أن يغيب عنها قوة الاقتصاد الامريكى كعمق استراتيجى للقوات الامريكية الضاربة.

أما الاحتمالات فقد اعتقدت اليابان بإحتمال هزيمة الروس فى أوربا فى خريف ١٩٤١ الأمر الذى دعى اليابان لإتخاذ موقف متشدد تجاه الولايات المتحدة الأمريكية .

والإحتمال الآخر هو أنها كانت تعتقد بإمكانية انتصار المانيا وهو ما لم يحدث .. فعادت اليابان كما كانت ١٨٩٤ على الرغم من تزايد سكانها من ٤٢ مليون نسمة أن زاد إلى ٧٠ مليون عام ١٩٤٥ وهو عام الاستسلام [٢].

---

١ - فوزى : مرجع سابق ، ص ١٤٥ .

٢ - نفس المرجع ، ص ١٤٦ .

٥- اليابان فى ظل الاحتلال الامريكى

تركزت سياسة احتلال اليابان على وثيقتين أمريكيتين

الوثيقة الأولى : وثيقة السياسة الامريكية لليابان بعد التسليم فى ٢٩ أغسطس ١٩٤٥ م

الوثيقة الثانية: هى وثيقة التوجيه السياسى لفترة ما بعد التسليم فى ٨ نوفمبر ١٩٤٥.

ولقد تضمنت الوثيقة الثانية أن الهدف النهائى لاحتلال اليابان هو تهيئة المناخ الذى يوفر أكبر قدر من الضمانات لكى لا تصبح اليابان مرة أخرى خطراً يهدد سلام العالم وأمنه وان يسمح لها بأن تصبح عضواً مسالماً ومسؤولاً فى أسرة الامم وانه، من المرغوب فيه أن تعمل الحكومة اليابانية بشكل يتمشى الى أقصى حد ممكن مع مبادئ الحكم الذاتى الديمقراطى، (١)

كان احتلال اليابان يرمى فى المقام الأول على قصر السيادة اليابانية على الجزر الاربع الرئيسية وهى هوكايدو / هونشو/ شيكوكو / كيوشو.. الى جانب مجموعة صغيرة من الجزر يجرى تحديدها.

- ثم تجريد اليابان من كل جزر المحيط الهادى التى كانت خاضعة للإحتلال اليابانى وكذلك كوريا ، منشوريا، برمودا ، البسكادور.

- سيطرت الولايات المتحدة على جزر أوكيناوا (جنوب الجزر اليابانية)

- فى ابريل ١٩٤٧ تولت الولايات المتحدة أمر الوصاية الاستراتيجية على الجزر اليابانية الواقعة فى المحيط الهادى .

- استولت الروسيا على جزر كوريل (شمال الجزر اليابانية) وجنوب سخالين .

- تم إلغاء وزارتى الجيش والبحرية.

---

١ - فوزى : مرجع سابق ، ص ١٤٧ .

- تم تسريح افراد الجيش والبحرية

- تم تدمير جميع الطائرات.

- تم حظر انتاج أي نوع من الطائرات.

- حضر البحوث العلمية المتعلقة بالأغراض الحربية.

- الحد من انتاج عدة صناعات كصناعة الصلب والآلات .

- دفع تعويض عن خسائر الحرب.

- اصرار الحلفاء فى وثيقة الاستسلام أن يقدم المسئولون عن جرائم الحرب إلى المحاكمة[1].

- قامت حركة ضخمة تهدف إلى إعتقال كافة من يشتبه فى امرهم بأن يكونوا من مجرمى الحرب.

- قام القائد الأعلى للحلفاء فى شهر يناير ١٩٤٦ بتشكيل محكمة عسكرية دولية للشرق الأقصى قدم اليها ٢٨ زعيماً يابانياً وانتهت المحاكمة فى شهر ابريل ولم يصدر الحكم إلا فى نوفمبر من نفس العام وكان الحكم بالاعدام على توجو وستة آخرين بالإعدام شنقاً وعلى ١٦ بالسجن مدي الحياة واحد الزعماء بالسجن ٢٠ عاماً وعلي أخر بالسجن ٧ سنوات ومات اثنان من المتهمين وأصيب أخرون بالجنون .

- وإلى جانب هذه المحاكمات عمدت كل دولة من الدول المتحالفة الى محاكمة بعض اليابانيين بجرائم ضد قوانين الحرب وضد الانسانية ادين فيها ٤٢٠٠ يابانى أعدم منهم ٧٠٠ يابانى .

- وفى أوائل خريف ١٩٤٥ بدأت الحكومة اليابانية بإيعاز من القائد الأعلى لقوات

١- البطريق : مرجع سابق ، ص ٤٣٣ .

الحلفاء ، العمل على اعداد دستور جديد يجرى فيه النص على أن تكون السيادة للشعب وأن يكون الأمبراطور رمزاً للدولة ويستمد سلطته من الشعب ولكن أهم ما تضمنه الدستور ما نصت عليه المادة التاسعة والتي صاغها الجنرال ماك آرثر والتى تنص على منع الحرب وحظر إستخدام القوة كما حظرت الاحتفاظ بقوات برية وبحرية وجوية أخرى [١]

معاهدة سان فرانسسكو ١٩٥١

أوصى تقرير (بولى) بشأن التعويضات عام ١٩٤٦ بنقل جانب كبير من المنشئات الصناعية اليابانية إلى أقطار آسيوية أخرى ولكن الولايات المتحدة تريثت فى تنفيذ هذه الفكرة لعدة إعتبارات :

- أن الحرب الباردة كانت آخذه فى التزايد بين المعسكر الغربى والمعسكر الشيوعى.

- انحازت الصين إلى المعسكر الشيوعى وبالتالى ضاع أمل الولايات المتحدة فى أن تكون الصين ركيزة لها فى آسيا.

- ادى هذا الى محاولة استخدام اليابان لمواجهة المد الشيوعى ومن هنا تبدلت السياسة الأمريكية صوب اليابان.

- وظهر هذا التبدل عندما عرض وكيل وزارة الخارجية الأمريكية فى مايو ١٩٤٧ فكرة جعل اليابان مصنعاً لآسيا وترتب على ذلك ارسال بعثة لدراسة الموقف فى اليابان وأوصت هذه الدراسة بمنع نقل المصانع اليابانية الى بلدان آسيا الأخرى [٢].

- ومنذ ذلك التاريخ اخذت الولايات المتحدة تهتم بالاقتصاد اليابانى بل أن تنفيذ البرنامج الخاص بالتقشف اليابانى بهدف إعادة الاقتصاد اليابانى للوقوف على قدميه كان بإشراف الامريكى جوزيف دودج Dodge .

١- فوزى : مرجع سابق ، ص ١٤٧، ١٤٨ .

٢- فوزى : مرجع سابق ، ص ١٤٨/ ١٤٩.

- كانت الولايات المتحدة تهدف إلى تقوية الاقتصاد الياباني قبل الحرب الكورية فى ٢٥ يونيو ١٩٥٠ حتى لا تحدث باليابان اضطرابات اجتماعية قد تستغلها الشيوعية الدولية بحيث يصبح مصير اليابان كالصين الشيوعية.. وبعد الحرب الكورية كان الاهتمام بالإقتصاد الياباني ايضاً ولكن لتحقيق هدف آخر وهو لتكون اداة عسكرية ضد الشيوعية ومن ثم سمحت لها بتكوين جيش يابانى ولكنه لم يصبح جيشاً قوياً لعدم استمرار توفر الأسباب والدوافع الى ذلك. (١)

- بدأت الولايات المتحدة منذ عام ١٩٤٧ تفكر فى عقد معاهدة صلح مع اليابان سواء شارك فيها الاتحاد السوفيتي أو لم يشارك، كما كان من المستحيل اشراك الصين لتوقيع معاهدة الصلح فهناك الصين الوطنية والصين الشعبية وكانت الولايات المتحدة تتعامل مع الصين الوطنية لا الصين الشعبية.. ومن جهة أخرى كان من الواضح أن كلاً من موسكو وبكين لن ترضى بالصلح وفق المنظور الامريكى وبخاصة احتفاظ الامريكيين بقواعد عسكرية على أرض اليابان.

وبالتالى أصبح هناك ميل منذ عام ١٩٥٠ من جانب حكومتى اليابان والولايات المتحدة لعقد صلح منفرد بشرط أن توفر الولايات المتحدة الضمان لليابان ضد أى هجوم شيوعى سواء من الخارج أو الداخل (٢)

وفى ٢٠ يونيو ١٩٥١ وجهت الولايات المتحدة الدعوة إلى ٥٢ دولة لعقد مؤتمر فى سان فرانسسكو وتم توقيع معاهدة سان فرانسسكو فى سبتمبر ١٩٥١م ورفضت يوغسلافيا ، بورما ، الهند، المعاهدة وبررت الهند موقفها بأنها لا تحقق صلحاً كريماً لليابان فالقوات الاجنبية على ارضها كما أنها لا توفر سلاماً مستقراً فى الشرق الأقصى وكذلك لم تنص على عودة فورموزا إلى الصين يضاف إلى ذلك رفض الاتحاد السوفيتي ،

---

١ - نفس المرجع : ص ١٥٠

٢ - السروجى : مرجع سابق، ص ٢٢٨، ٢٢٩.

فوزى : مرجع سابق، ص ١٥٠.

وتشيكو سلوفاكيا و بولونيا التوقيع على المعاهدة الى جانب رفض الصين الشعبية لها لعدم دعوتها لحضور المؤتمر ووصفت المعاهدة بأنها جعلت اليابان مستعمرة امريكية [١] ولقد تضمنت المعاهدة انهاء الحرب بين اليابان والحلفاء واعترف الحلفاء بسيادة اليابان الكاملة على أراضيها التى اعيد تحديدها لتصبح قاصرة على الجزر الأربع الرئيسية وبعض الجزر الصغيرة ، ووافقت اليابان على قبول الاحكام التى تصدرها محاكم الحلفاء وعلى مجرمى الحرب وتعويض ضحايا الاعتداءات التى قامت بها ضد الشعوب الأخرى [٢]

وتضمنت بنود المعاهدة

١- تنازل اليابان عن ملكيتها لجزيرة سخالين وجزر كوريل كما تنازلت عن الاقاليم التى تدبتها عصبة الأمم لإدارتها.

٢- موافقة اليابان على اقتراح الولايات المتحدة الذى يقضى بوضع جزيرة ريوكيو، يونيون تحت وصاية الأمم المتحدة على أن يعهد بإدارتها للولايات المتحدة.

٣- تعترف اليابان بإستقلال كوريا استقلالاً تاماً .

٤- قبول اليابان دفع ما فرض عليها من غرامات مع مراعاة حالتها الإقتصادية بحيث لا تثقل كاهل ميزانيتها.

٥- حصلت اليابان على حق الدفاع عن نفسها وعلى حق عقد اتفاقيات مع الدول الأخرى لوضع قوات أجنبية (تكون فى أغلب الأحتمالات امريكية) فوق أرضها.

٦- نصت المعاهدة على إنسحاب القوات الأجنبية من أراضى اليابان بعد تسعين يوما من توقيع المعاهدة إلا إذا تم إبقاء تلك القوات بناء على معاهدة خاصة (وهذا ما حدث

١- السروجى : مرجع سابق، ص ٢٢٩.

٢- محمد نعمان جمعة : مرجع سابق، ص ٩٥.

بالفعل) إذ انتهزت الولايات المتحدة عدم وجود قوات يابانية تكفى لحماية البلاد وعقدت مع اليابان فى ٨ سبتمبر ١٩٥١ (معاهدة أمن) خولت لها إبقاء قواتها فى اليابان بصفة مؤقتة حتى تتمكن اليابان تدريجياً من تحمل عبء الدفاع عن نفسها.

ولما كانت هذه المعاهدة (معاهدة الصلح) وسياسة احتلال اليابان لا تستلزم أية عقوبات أو إجراءات انتقامية فإن رئيس الوزراء اليابانى يوشيد Yoshida قبل شروطها ووصفها بأنها عادلة وأكد انحياز اليابان مع العالم غير الشيوعى.

وفى نفس الوقت قامت الولايات المتحدة بإبرام معاهدة أمن فى ٨ سبتمبر ١٩٥١ (Securitytreaty) مع اليابان نصت على تمركز القوات الأمريكية داخل اليابان وحولها وذلك لتحقيق الأمن الداخلى والخارجى لليابان [١] كما نصت الاتفاقية على أنه ليس لليابان الحق فى منح اية قواعد أو صلاحيات من أى نوع أو السماح بمناورات بحرية أو جوية أو برية أو نحو ذلك لقوة ثالثة بدون موافقة الولايات المتحدة [٢].

ثم تم اتفاق لاستئناف العلاقات مع الروسيا ودخلت اليابان هيئة الأمم المتحدة .

أوضاع اليابان الاقتصادية عقب الحرب العالمية الثانية.

من الأمور التى تستحق الأعجاب ما حققه الاقتصاد اليابانى بعد الحرب العالمية الثانية بمجرد ان تغلبت اليابان على ما واجهها من صعاب وتكررت التجربة فكما حدث فى عهد الميجى قام النمو الاقتصادى على اكتاف الحكومة والقطاع الخاص كما اسهمت المساعدات الامريكية فى هذه النهضة الاقتصادية وكانت هذه المساعدات للحكومة والشركات الخاصة كما قدمت البنوك اليابانية قروضاً تجارية بشروط ميسرة كما قدمت الحكومة اليابانية تيسيرات ضريبية وهى أمور كلها أدت إلى إرتفاع معدل النمو الاقتصادى فى المتوسط بنسبة ١٥٪ فى الفترة من ١٩٥٠م حتى ١٩٦٥م أى لمدة ١٥ عاماً

١- السروجى : مرجع سابق ص ٢٣٠

٢- فوزى : مرجع سابق ، ص ١٥٢.

ونعمان جلال : مرجع سابق، ص ٩٠

بينما معدل النمو الاقتصادى فى الدول الكبرى بلغ فى المتوسط وفى نفس الفترة كما يلى :

المانيا ١,٦٪

فرنسا ٣,٥٪

بريطانيا ٤و٢٪

الولايات المتحدة ٣,٢٪

الناتج القومى فى اليابان كان فى عام ١٩٤٦ مبلغ ١,٣ مليار دولار صافى صار فى عام ١٩٥١ مبلغ ١٥,١ مليار دولار وفى عام ١٩٥٢ ١٥,٢ مليار دولار وهو ما يشير إلى إرتفاع نمو الناتج القومى بالنسبة للتجارة الخارجية اليابانية إلى مناطق ما وراء البحار فقد قام خبراء الحكومة مع بنك اليابان المركزى بدراسة الأوضاع بالنسبة لعدد من الصناعات كما درسوا السوق العالمية وحددوا اماكن وصول الصادرات اليابانية من تلك المصانع كما وضعوا ضوابط للسيطرة على نوعية الصادرات وهو ما جعل الصناعات اليابانية تغزو اسواق العالم وفى مجالات جديدة فى المعدات والآلات الالكترونية والقاطرات وصناعة العدسات وحتى فى الصناعات الثقيلة مثل صناعة الصلب وبناء الناقلات العملاقة.

لقد بلغت صادرات اليابان عام ١٩٥١م ١٣٥٤ مليون دولار وبلغت هذه الصادرات عام ١٩٦١ ٤٢٣٥ مليون دولار ولقد بلغت الواردات اليابانية ١٩٥١م ١٩٩٥ مليون دولار وبلغت هذه الواردات ١٩٦١م ٥٨١٠ مليون دولار ، ويلاحظ أن ٦٠٪ منها تشكل مواد خام [1]

١- فوزى : مرجع سابق ، ص ١٤٥، ١٥٥.

الفصل الثالث

إندونيسيا

أ.د / صلاح أحمد هريدى

إنـدونيـسـيا

تتألف من أكـبر مجمـوعة جزرية تقع فى دولة واحـدة بالعالم ، وهى تقع فى جنوب شرق آسيا بين المحيط الهادى فى الشرق والمحيط الهندى فى الغـرب حيث تضم حوالى ١٣٦٠٠ جزيرة تمتد بين الشرق والغرب لمسافـة ٣٢٠٠ ميل تقريباً ، لذلك يمتد نفوذ هذه الدولة الاسلامية فى مسـاحة ١٢ مليون كم٢ يشـغل اليابس - الجزر - منهـا نحو ١,٩ مليون كم٢ .

ويبلغ عدد سكان اندونيسيا ١٤١,٤ مليون نسمة يعيشون فوق ٦٠٤٤ جزيرة مأهولة السكن وبذلك تتصدر اندونيسيا الدول الاسـلامية من حيث حجم السكان ، فاذا أضيف إلى ذلك أهمية الموقع الجغرافى لجزر اندونيسيا التى تمثل معبراً يربط بين المحيطين الهادى والهندى لتبين لنا الأهميـة الكبرى لهـذه الدولة التى تتـميـز بتعـداد مواردها الطبيـعيـة والبشرية .

المظـاهـر الطبيعيـة

يمكن تقسيم جزر اندونيـسيا إلى أربع مجموعات رئيسية هى :

١ - مجـموعة الجـزر الغربيـة ، تضم جزر سومطرة [٥٤١١٧٤ كم٢] التى تمتد فى اتجاه عام من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى لمسافة ١١٠٠ ميل تقريباً ، كاليمانتان أو بورنيو [٥٥٠٨٤٨ كم٢] جاوة [١٣٤٧٠٣ كم٢] بالإضافة إلى مجموعة الجزر الصغيرة الواقعـة حول الجـزر الكبيـرة المشار إليـها ، وتعـرف هذه المجمـوعة باسم جزر السـوندا الكبرى The greater Suna is [(١)] .

٢ - مجـمـوعة الجـزر الشـرقيـة ، تشـمل جزر سـيليـبس [٢٢٧٦٥٤ كم٢] الملوك [هلماهـيرا ، بورد] ، سيـرام ، سولو ، تالود ، وجـزر سانجـيهى الواقعـة إلى الجنوب من جزر الفلبين .

---

(١) محمد خميس الزوكة ، أسيا ، ص ٤٤٥ ، ٤٤٦ .

٣ - جزيرة غينيا الجديدة ، ويتبع القسم الغربى منها دولة اندونيسيا وهو المعروف بايريان الغربية ، ومساحته حوالى ٤٢١٩٥١ كم٢ ، فى حين يتبع القسم الشرقى من الجزيرة دولة استراليا .

٤ - مجموعة الجزر الصغيرة الممتدة قرب خط الحدود السياسية مع استراليا فى الشرق إلى شرق جاوة فى الغرب ، وتضم هذه المجموعة جزر تيمور ، فاورس ، سمبادا ، لمبوك ، بالى ، ونعرف هذه المجموعة من الجزر باسم جزر السوندا الصغرى The Lesser Sunda is .

وجزر اندونيسيا حديثة التكوين لذا فهى غير ثابتة حتى بدليل أنها تضم نحو ٣٠٠ بركان بعضها نشط حتى الوقت الحاضر ، فقد تثور بعض البراكين فجأة دون سابق انذار وتقذف من جوفها بالمواد المنصهرة التى تتراكم حول الفوهات البركانية فى شكل جبال يصل ارتفاعها فى بعض الحالات إلى أكثر من ١١ ألف قدم فوق منسوب سطح البحر ، ومن أشهر البراكين فى اندونيسيا بركان كراكاتاو Karakataw الواقع فى المضيق الفاصل بين جزيرتى سومطرة وجاوة والذى ثار عام ١٨٨٣م ، وبلغ من شدة عنفه أن وصل الرماد المنبعث منه إلى استراليا التى تبعد عن موقعه بحوالى ٢٢٠٠٠ ميل(١) .

ويوجد عدد كبير من المظاهر الطبيعية المرتبطة بالبراكين كالمخاريط البركانية واسعة الانتشار والتربة البركانية ، إلى جانب الينابيع الحارة والبحيرات .

وتعد جزيرة كاليمانتان [بورينو] أكبر جزر اندونيسيا مساحة وإن كان جزؤها الشمالى تابعاً لاتحاد ماليزيا ففى هذه الجزيرة يمتد نطاق من المرتفعات فى اتجاه عام من الشمال الشرقى إلى الجنوب الغربى ليشغل الجزء الأوسط من الجزيرة التى تتألف باقى جهاتها من سهول منخفضة تنتشر المستنقعات فى بعض جهاتها وخاصة فى الجنوب الغربى .

---

(١) محمد خميس الزوكة ، أسيا ، ص ٤٤٦ ، ٤٤٧ .

ويمتد فى جزيرة سومطرة نطاق من المرتفعات فى اتجاه عام من الشمال الغربى إلى الجنوب الشرقى أى فى نفس اتجاه امتداد الجزيرة ، ويمثل هذا النطاق الجبلى الذى يشغل الجزء الغربى من الجزيرة امتداداً جنوبياً للمرتفعات الالتوائية فى بورما والمعروفة باسم "أراكان بورما" التى تمتد جنوبياً لتختفى تحت مياه خليج بنغال وتظهر فى جزر أنداما ن ، ثم جزر نيكوبار ، ثم تظهر بعد ذلك فى بعض جزر اندونيسيا ومنها سومطرة وجاوة فجزر السوندا الصغرى .

وتنحدر مرتفعات جزيرة سومطرة بشدة نحو السواحل الغربية الضيقة ، فى حين تنحدر بصورة تدريجية نحو الشرق حيث يمتد نطاق واسع من السهول يخترقه عدد كبير من الأنهار ، لذلك يتركز العمران هنا فى الجزء الشرقى من الجزيرة[1] .

وتضم مرتفعات سومطرة عدداً من المخاريط البركانية التى يبلغ متوسط ارتفاعها ٨ آلاف قدم فوق منسوب سطح البحر ، ومع ذلك يتجاوز ارتفاع بعض المخاريط هذا المتوسط كما هى الحال بالنسبة لقمم كرينتزى Kerintzi [١٢٤٧٠ قدم] ليوسو Leuser [١١٠٩٢ قدم] ، دمبو Dempo [١٠٣٦٤ قدم] ، أوفير Ophir [٩٥٤٦ قدم] .

وفى جزيرة جاوة تمتد السلسلة الجبلية المشار إليها فى اتجاه عام من الغرب إلى الشرق لتشكل قوساً جبلياً يظهر بعد ذلك فى جزر السوندا الصغرى ثم يستمر شمالاً إلى جزر الفلبين وجزيرة تايوان وجزر اليابان ، وتضم مرتفعات جاوة العرضية ١٢١ بركاناً نشطاً ، ونحو ١٤ بركانا يكون كل منها مخروطاً مرتفعاً يتجاوز منسوبه عشرة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر ، ويعد موهوميرو Mohomeru أعلى المخاريط البركانية منسوبا فى جاوه حيث يصل ارتفاعه إلى ١٢٠٦١ قدم[2] .

وتقع جزر اندونيسيا بين دائرتى عرض ٦ْ شمالاً ، ١١ْ جنوبياً ، أى أنها تقع فى النطاق

---

(١) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٤٤٧ ، ٤٤٨ .

(٢) نفســـــه ، ص ٤٤٨ ، ٤٤٩ .

الاستوائى إلا أن التأثير البحرى هنا عمل على تلطيف درجة الحرارة وخاصة فى المناطق السهلية ، لذلك يبلغ المتوسط السنوى لدرجة الحرارة هنا حوالى ٢٥° فقط وإن كانت ترتفع عن ذلك فى الاعتدالين عندما تتعامد أشعة الشمس على خط الأستواء الذى يخترق جزر اندونيسيا التي تقع فى نطاق الرياح الموسمية المحصورة بين قارتى آسيا وأستراليا ، فعلى جزيرة جاوة تهب الرياح الشمالية الغربية خلال شهر يناير ، وهى رياح كانت فى الأصل شمالية شرقية ثم غيرت اتجاهها فور عبورها خط الاستواء ، فى حين تتعرض جاوة - لهبوب الرياح الجنوبية الشرقية خلال شهر يوليو .

وتسقط الأمطار طوال العام ، وهى تغزر فوق النطاقات الجبلية المرتفعة عنها فى النطاقات السهلية المنخفضة ، فبينما تبلغ كميتها السنوية ٢٤٠ بوصة فوق المرتفعات تصل فى النطاقات السهلية إلى ١٠٠ بوصة ، ومع ذلك تعانى بعض النطاقات المحدودة للغاية فى بعض الجزر من قلة الأمطار .

ويتباين الغطاء النباتى الطبيعى من نطاق لآخر تبعاً لملامح البيئة الطبيعية وخاصة فيما يتعلق بكمية الأمطار ، لذا تمتد الغابات المدارية المطيرة فى السهول الشمالية ، والغابات الموسمية فى السهول الجنوبية ، وبعض الغابات المعتدلة الكثيفة فى النطاقات الجبلية العالية[1] .

(١) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٤٤٩ .

أندونيسيا والأوربيون

١ - الوجود البرتغالي في أندونيسيا

بعد أن وصل البوكرك إلى البحر العربي ، التفت إلى منطقة الملايو والمحيط الهادى . وكان شطر ضخم من تجارة الأفاوية يستجلب من الجزائر الاندونيسية . وكانت هذه التجارة إذا مرت من خلال مضيق ملقا وانطلقت في عرض البحر ، حملها تجار العرب إلى موانى البحر الأحمر . ولم يكن في الإمكان السيطرة التامة على تجارة المحيط الهندي ، مالم تتوطد الهيمنة على مضيق ملقا . وفي سنة ١٥٠٩م بلغ لوبودى اسكويرا ملقا بعمارة صغيرة عدتها ست سفن وتلقى من سلطانها إذناً بالنزول إلى البر والاتجار هناك كسائر الناس . ولكن التجار العرب بمدينة ملقا الذين قاسوا الأهوال مِّن نشاط البرتغاليين بالمياه الهندية والعربية حرصوا كل الحرص على أن يفسروا للسلطان الطبيعة الحقة لمطامع البرتغاليين وشدة عداوتهم للاسلام . وطبيعى أن يعزم السلطان على سحب ما منح من إذن وفرض سطوته وسلطانه ، وحذر اسكويرا مقدماً بتغير موقف السلطان منه ، فابتعد عن الشاطىء معاجلاً وقد خلف وراءه بضعة نفر من رجاله[1] .

وكانت ملقا في تلك الحقبة من التاريخ ميناء دولياً عظيماً وقد جعلها موقعها الطبيعى مفتاحا للمحيط الهادى . وكانت بوصفها المستودع الرئيسى لتجارة الأرخبيل - أى لتلك التوابل النادرة التى كانت تنمو بجزيرة جاوة وغيرها من الجزائر - ترتادها السفن بانتظام من بلاد الصين واليابان شرقاً ، ومن الهند وفارس وبلاد العرب ومصر غرباً . وكما يلاحظ البوكرك نفسه . ومن المعروف أن سلاطين الملايو قد قبلوا بعد حملة تشنج هو سيادة الإمبراطور الصينى عليهم وأخذوا يدفعون الجزية بانتظام لابن السماء النازل

(١) بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٤٧

فى بيكين . من أجل ذلك كانت لملقا فى ذلك الحين أهمية لا بوصفها إحدى المراكز التجارية ببلاد الشرق فحسب ، بل كهمزة الوصل أيضاً بين الصين والأقطار الموجودة جنوب آسيا وجنوبها الشرقى .

وعندما تسلم البوكيرك تقريرا سكويرا عزم على الشخوص إلى ملقا بنفسه . فجمع أسطولا من ثمانى عشرة سفينة أقلع به من كوتشين ووصل أمام ملقا فى سنة ١٥١١م وهناك أقدم - كحركة تمهيدية للمفاوضات ، لعل المقصود منها الضغط على السلطان والتأثير فيه - على احراق السفن التجارية التى يملكها كل من العرب وكامباى والراسية فى الميناء ، ولكنه أبقى على المراكب الصينية التى لا يملكها المسلمون وتقدم ربابنة السفن الصينية بالميناء - وكان السلطان قد أساء فيما يظهر معاملتهم قبل ذلك - يعرضون على البوكرك مساعدتهم فى هجومه ، فقبل أن يمدوه ببعض سفن النزول إلى البر . وتم الهجوم على ملقا يوم عيد القديس جيمس ، وهو القديس الذى يستظل برعايته كل من الجيش البرتغالى وهيئة دينية كان البوكرك زعيماً لها . ولاشك أن الغيرة الدينية الكامنة وراء محاولة البرتغالين فى هذه المرة واقتناعهم التام بأنهم إنما يقومون فى آسيا بالحملة الصليبية على المسلمين تتجلى أشد الجلاء لا فى هذه العملية وحدها بل فيما أعقبها أيضاً من أحداث .

وأخذ البوكرك يؤثر بهذا النغم فى خطبة ألقاها على رجاله . ذلك أنه أكد لهم بوجه خاص تلك .. الخدمة الجليلة التى سنقدمها لله بطردنا العرب من هذه البلاد وباطفائنا شعلة شيعة محمد بحيث لا يندلع لها هنا بعد ذلك لهيب .. وبعد ذكر خدمة الله عرج إلى خدمة الملك حيث قال : "وذلك لأنى على يقين أننا لو انتزعنا تجارة ملقا هذه من أيديهم "المسلمين" لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثراً بعد عين . ولامتنعت عن البندقية كل تجارة التوابل مالم يذهب تجارها إلى البرتغال لشرائها من هناك .. فما أشد مهارته فى مزج الدافعين أحدهما بالآخر .

بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٤٨ .

غير أن الـهجوم الأول باء بالفشل . فـإن السلطان نفسه تخرج يقود المدافعين على أن المدينة مافتئت بعد ذلك أن سقطت بعد قتال عنيف . ولكن ذلك لم يتم إلا بعد إنسحاب حاكم الملايو وجيشه وبيع المسلمـون الذين نجوا من السيف في المذابح التي تلت سقوط المدينة بيع الرقيق ، ولكن أبقى البـرتغاليون على نزلائها الصينيين والهـنود والبورميين . وانتهـبت المدينة انتهاباً تاماً . حـتى لقد بلغ النصيب المرسل إلى الملك وحـده مائتى ألف "كروساذو" من الذهب .

ويرجع انتصار البوكيرك إلى قائدين هما فرناندبيريز دافنزيد وأنطون أبريو وذلك لأن البركيرك أدرك أن المحـيط الهادى كان مفتوح الفـجاج أمامه ، فعيَّن دافنزيدأمـيرالاً لبحر الصين ، على حين أرسل ابريو بـثلاث سـفن لاستكشـاف جزر انـدونيسيا ، مستـودع التـوابل الخرافى الذى لا ينضب مـعينه . وبذا اتصل البرتغـاليـون بكل من إمبـراطورية الصين بصورة غير مبـاشرة كما اتصلوا مباشرة بجزائر المحـيط الهندى توطيدا راسخاً بل فتح السبيل إلى التوسع فى جنبات المحيط الهادى . أما المدينة نفسها فقد حولها البوكرك إلى قلعة حصينة وعين على رأس حكومتها قائداً بحريا هوراى دافيو قبل عودته إلى جوا .

وبالاستيلاء على ملقـا أتم البوكرك بناء صرح الإمبراطورية الأوربية البـحرية بآسيا . وكان خروجه لتشييد إمبراطورية تجـارية يقوم على أساس مركز ممتاز لا سبيل إلى تحديه بالمحيط الهندى . وكانت الموانى الكبـرى على شاطىء أفريقية قد وقـعت كلها آنفا تحت سيادة البـرتغاليين ، ولكن لم يكن لهم قبل زمـانه ببلاد الهند إلا موطىء قدم صـغير فى كوتشين ، دون وجـود أية نقاط منيعـة فى أى مكان يمكن فيها للبـرتغال ممارسة سلطتـها البـحـرية . فلمـا أن تم ضم سقطـرى - وأصبح لهم سـلطان سيـاسى فى هرفـر وبعـد ستـيلائهم على ملقا ، تأسس لهم نظام للهـيمنة والضغط ظل ثابـتاً لا يتزعزع مـا بقيت قوة البرتغال البـحرية بأوروبا قوة وعزم . وتهيئة الظروف المواتمـة للنجاح فى تنفيذ هذه

بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٤٨

السياسة - كان من ألزم الضروريات قيام قاعدة برية ببلاد الهند تقوم بدور المحور المركزى لقوة البرتغال . وكان الاستيلاء على جوا واستيطانها جزئيا والتطور بها لتصبح مدينة وقصبة كبرى تضم جهازا كاملاً للحكم هو الأساس الذى قامت عليه جميع خططه .

ثم أن أبريو ، الذى كان البوكيرك أرسله إلى جزائر التوابل بلغ جريسيك ، ولكن الرحلة كانت شاقة ولم تعد إلى ملقا إلا سفينة واحدة من الثلاث ، عادت فى السنة التالية . ومهما يكن من شىء فإن الطريق قد فُتح ومُهد . فإن القبطان سيراو أحد ضباط أبريو - وقد دمرت العواصف سفينته - بلغ مع ذلك أمبونيا ، وهناك أنشأ العلاقات بينه وبين السلاطين المحليين .

وكانت الأحوال باندونيسيا فى ذلك الوقت مواتية كل الواءمة لما يشتهى البرتغاليون ، فإن صراعاً مريراً كانت تدور رحاه فى جاوة بين الحكام المسلمين الذين اعتنقوا الإسلام حديثاً والممالك الهندوكية ولاسيما مملكة كيدرى . وكان أعظم حكام المسلمين آنذاك هو سلطان ديماك الذى التمس منه العون سلطان ملقا المخلوع . فجهز حاكم جاوة ذاك أسطولاً مكوناً من مائة سفينة وأرسله إلى مياه ملقا . ولكن نيران مدافع سفن الكارافل التى يقودها بيرير دانتريد شتت شمله . وبهذا النصر أسس البرتغاليون سيادتهم البحرية على بحار جاوة ، ومنذ تلك اللحظة صار فى مستطاعهم تأليب الحكام بعضهم على بعض فى الحروب الدينية التى كانت منتشرة آنذاك بجزيرة جاوة . ولكنهم لم يحرزوا أى تقدم يُعتد به حتى وصلت الميناء من الشرق سفينة أوربية فى ربيع سنة ١٥٢١م . وهى فيكتوريا سفينة ماجلان التى عبرت المحيط الهادى من أمريكا . وانزعج البرتغاليون لمقدمها فسارعوا إلى تثبيت مركزهم السياسى بعقد المعاهدات مع القواد المحليين .

وفى عام ١٥٨٠م استولت أسبانيا على البرتغال ، وكانت أسبانيا وقتئذ فى حرب مع

بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٤٩ - ٥٠ .

هولندا الأمر الذى أدى إلى نشوء مشقات كبيرة لتجارة أوروبا عامة وتجار هولندا وإنجلترا خاصة .

٢ - الوجود الهولندى فى أندونيسيا :

فى عام ١٥٩٢م عقد كبار تجار الهولنديين بأمستردام اجتماعاً قرروا فيه شركة للتجارة مع الهند . ورغبة فى إعداد العدة للرحلة وجمع المعلومات الضرورية لها أرسلت تلك الهيئة كورنيليوس دى هوتمان إلى لشبونة ثم حصلت الشركة على المعلومات حيث وضعها تحت تصرفها جان هيوجن لنشوتن الذى أتاح له منصبه ؛ إذ كان يعمل أميناً لاسرار كبير اساقفة جوا ، أن يحظى بفرص استثنائية نادرة لفهم نشاط القوة والضعف فى مركز البرتغاليين فى الشرق . ومن الملاحظ عن البرتغاليين حتى عهد الدوم مانويل اتخذوا أعظم الاحتياطات للاحتفاظ بسرية الطريق إلى الهند .

وقد خرج أول أسطول هولندى للتجارة مع آسيا فى عام ١٥٩٥م من مرفأ تكسل ، وكان يتكون من أربع سفن بقيادة هوتمان ، فبلغ الجزائر الأندونيسية ، ثم عاد إلى هولندا بعد غياب دام سنة ونصف . ولم يعد من ملاحى السفن الذين خرجوا معه والبالغ عددهم ٢٥٩ رجلاً سوى تسعة وثمانين ، بيد أن المكاسب كانت وافية .

وكانت تلك الرحلات استهلالاً لرحلات منتظمة عقبتها ، كما أنها أدت إلى تأسيس شركة الهند الشرقية المتحدة التى نُظمت بايحاء من السياسي أولدن بارنفلت فمبقضى مرسوم صدر فى ٢٠ مارس ١٦٠٢م منح مجلس طبقات الأمة تلك الشركة احتكار التجارة - ولم يكتف بذلك - بل حوّلها سلطات سيادة عليا واسعة لعقد المعاهدات والمحالفات ولفتح مانشاء من الأراضى ولبناء الحصون وإلى غير ذلك . وكانت أول معاهدة عقدتها الشركة مع ذلك العدو اللدود للبرتغاليين "الزاموريين امبراطور ملبار" وقد وقعها عن الشركة الأميرال س . فان ديرهاجن سنة ١٦٠٤م . وتقرر ديباجة تلك

بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٤٩ - ٥٠ .

المعاهدة أن الهدف من المفاوضات "هو طرد البرتغاليين من أرض عظمته وسائر أرجاء الهند" ، ولكن كيف السبيل إلى ذلك مادامت أسس الدفاع التى أقامها البوكرك لم يمسها سوء من أجل ذلك كانت أول محاولة بذلها الهولنديون للحلول محل البرتغاليين فى جزائر اندونيسيا التى كانت قبضة البرتغاليين عليها لاتزال ضعيفة .

وأعلنت الشركة المتحدة فى سنة ١٦١٠م أول تقرير لأرباحها وقدره ١٣٢ ١/٢ فى المائة وكانت قد استولت من قبل على أمبونيا من يد البرتغاليين ، وسرعان ما تحولت فى ذلك الأرخبيل إلى سياسة الهجوم والعدوان اقتصادياً وسياسياً . ومع ذلك ، يمكن القول بأن مركز الشركة لم يتوطد تماماً إلا بعد الاستيلاء على جاكرتا واحتلالها فى ٣٠ مايو سنة ١٦١٩م على يد جان بيترز كوين .

ولئن رجع إلى كوين الفضل فى إرساء أسس سلطان هولندا بجزائر الهند ، فإن انطونى فان ديمين - الذى عين حاكماً عاماً فى ١٦٣٣م - هو الذى شاد صرح الإمبراطورية وقضى نهائياً على البرتغاليين . فى سنة ١٦٤١م انتزع من البرتغال ملقا صولجان عظمتهم فى الشرق . وبذلك مزق نظام الدفاع الذى وضعه البوكرك فلما صارت تلك القاعدة فى يد الهولنديين أصبح فى مستطاعهم أن يوجهوا التفافهم إلى تجارة الهند نفسها التى لم تبرح بيد البرتغاليين .

ومن ثم كان سقوط الامبراطورية التجارية البرتغالية انهياراً سريعاً . ومالبثت كوتشيمن مؤسسنهم الأولى احتلت فى سنة ١٦٦٠م . ثم سقطت المحطات التجارية الصغيرة الأخرى فى يد الهولنديين الواحدة تلو الأخرى .

وقد وفق فان ديمين بجزيرة جاوة إلى احتكار التجارة ، وإلى المحافظة إلى حد على نفوذ الشركة السياسى ، واتبعت الشركة نظام دفع الأموال مقدماً على المحصولات إلى المزارعين ، فتهيأ لها بذلك أن تنتزع الأملاك فعلاً من أيدى ملاكها فى جزائر بندا وأمبونيا

بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٥٦ .

وملكا ، فامتلكت الأراضى وأخذت فى انتزاع كل شجر القرنفل خارج أراضيها ، فلما أن قاوم السكان ذلك أخمدت مقاومتهم بالقوة . وكانت هذه السياسة التى جربت بنجاح تام فى جزر ملكا قد فرضت فيما بعد على جاوه والجزر الأخرى يوم توطد سلطان الشركة السياسى .

وما انتصف القرن حتى صار مركز الشركة وطيداً فى تلك الجزر ، فإن السلطات الكبيرة الثلاث ، وهى سلطنة ماتارام فى جاوة والجة وترنات لم تكن تحافظ على استقلالها إلا بشق الأنفس ، ومع أن رقعة الممتلكات الهولندية كانت لا تزال صغيرة ، إلا أن سلطانهم السياسى أخذ يتزايد بانهيار نظم الولايات الأندونيسية . وأبدى ملك مكسر وسلطان الجة عزماً اكيداً فى محاربتهم لمدعيات الشركة ، وقضى الهولنديون عدة عشرات من السنين فى قتال مرير قبل أن تهيأ لهم أن يوطدوا سلطانهم نهائياً عند سنة ١٦٨٠م . وكانت الحملة الموجهة على مكسر ذات أهمية خاصة مشوقة ، ذلك أن ملك تلك البلاد قد كون لنفسه قوة بحرية بدت مهددة للهولنديين . فسيروا إلى مكسر اسطولا من إحدى وعشرين سفينة عليه قوة أوروبية ، لم يستطيعوا إلا بعد حملتين مريرتين أن يرغموا السلطان على توقيع معاهدة أصبحت الشركة بمقتضاها صاحبة السيادة على الأرض التى نزل عنها .

حتى إذا انتقلت تجارة الهند الشرقية فعلاً إلى يد الهولنديين ، انكمشت سلطنات ماتارام والجة وغيرهما وفقدت قوتها الفعالة . ولم يبد شىء من علامات النهوض والانتعاش إلا فى بانتام وحدها ، وكانت تحت حكم ملك جدير بالإعجاب هو السلطان عبد الفتاح ، ولكن الهولنديين استغلوا المنافسة بين الأب وابنه ، فاخضعوا تلك الدولة أيضاً لنفوذهم .

ومع أن الشركة حصلت لنفسها بذلك على النفوذ السياسى الأعلى فى شئون التجارة ، وصار الهولنديون السادة الذين لا ينازعهم منازع فى ثروة الجزر ، إلا أن إخضاع

بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٥٦ - ٥٧ .

...دونيسيا لم يتم فعلا بطريقة فعالة ولا بُسط حكم الشركة المباشر على المناطق الداخلية. وفى تلك المدة لم يكن الاستقلال هو غرض الهولنديين - اللهم إلا فى مناطق صغيرة منعزلة - بل كانت التجارة هدفهم . ذلك أن مديرى الشركة كانوا يعارضون فى تولى شئون الحكم والسيادة .

٣ -الحكم الهولندى لأندونيسيا :

ظل الحكم الهولندى بإندونيسيا حتى عهد فان إمهوف (١٧٤٣ - ١٧٥٠) قاصراً على إدارة مؤسسات وحصون متناثرة من نقطة مركزية هى جاكرتا (التى أطلق عليها كوين اسم باتافيا) . على أن دولة ما تارام الكبيرة ، وسلطنتى أتجه وترنات ، وإمارات عديدة أخرى أصغر منها ظلت مستقلة اسمياً ، وإن حل بها الضعف العظيم لما كابدته من اضطرابات داخلية ، ولما أحدثته فيها المؤثرات الاقتصادية من آثار . ولم يتوغل النفوذ الهولندى فى بالى ولمبوك . أما فى سومطرة فكانت سلطنتا باليمبانج وجامبى ولايتين تابعتين لباتافيا ، ولكن بقية البلاد كانت مستقلة استقلالا سياسياً ، وإن كان للشركة حق الاحتكار فيما يتعلق بتصدير التوابل . ولم تكد السلطات الهولندية تمد يدها إلى جزيرة بورنيو الهائلة ، كما لم تستطع الشركة إلا فى (١٧٥٦) أن تعقد معاهدة مرضية مع سلطان بانجير مازن فى الركن الجنوبى الشرقى من الجزيرة .

لقد قدر الهولنديون منذ زمن مبكر جداً النفقات الزهيدة التى يتكلفها نظام "الحكم غير المباشر" وقوة تأثيره من وجهة نظر الاستغلال الذى لا يعوقه شىء . فأتاحوا للسلاطين حرية القتال فيما بينهم ، وظلم رعاياهم وفعل كل ما يشاءون ، مادامت الشركة تحتكر التجارة ، وتمكن الهولنديون مستترين وراء سلطة السيادة التى للسلاطين من استغلال موارد الجزيرة . ولكن كما هى الحال التى لا مفر منها فى ظل مثل هذا النظام من الحكم غير المباشر ، سرعان ما دب دبيب الانحلال إلى الولايات التى يقوم

بانيكار ، آسيا والسيطرة الغربية ، ص ٥٨ .

فيها ، فصار من الضرورى للدولة التى تتولى الحماية أن تنعشها بالتدخل المباشر . فمنذ (١٧٠٥) التزمت الشركة بصورة قاطعة محددة سياسة دعم النظام الملكى فى ماتارام ؛ وكان شرط مساندة الهولنديين الالتزام بتسليم جميع الأرز الذى قد تطلبه الشركة بالسعر الذى تحدده هى .

على أن هذا النظام غير الطبيعى الذى جمع بين الاستقلال السياسى والتبعية الاقتصادية أدى إلى ما لا مفر منه من انهيار النظام الإدارى فى الدولة . فلم تكن ماتارام مشتبكة فقط على الدوام فى الحرب مع رؤساء جزيرة بالى ، بل كان عليها أيضاً أن تكافح الثورات التى يقودها أعضاء من الأسرة المالكة وأصحاب الإقطاعات الذين لم يكن بد من استنزاف أموالهم لسداد طلبات الهولنديين التى لا تفتأ تزداد . وأدت هذه الحال إلى مواصلة التدخل لتأييد الحكام إن كانوا أصدقاء للهولنديين ، ولهدمهم إن لم يكونوا خاضعين للسياسة الهولندية ؛ وهو أمر كان مصداقاً للملحوظة الشهيرة التى فاه بها الراهب راينال حيث قال : إن الهولنديين كانوا يسلحون الأب على ابنه والابن على أبيه . وكانت مدعيات الضعيف على القوى والقوى على الضعيف تلقى منهم التأييد حسبما تقتضيه الظروف . فكانوا ينضمون اليوم إلى الملك وينضمون غداً إلى تابعيه" .

وكان فان إمهوف أول من بدأ فى (١٧٤٣) سياسة الاستيلاء المباشر على الأراضى ، والتنقص من الاستقلال السياسى للسلطنات . ففى تلك السنة استولت الشركة على جميع النواحى الساحلية فى الجهة الشمالية من جاوه ، كما نقلت إلى يدها نهائياً الهيمنة المطلقة على جميع الموانى البحرية وعلى أراضى ممالك بلامبورجان . ثم اتجهوا بعد ذلك إلى ماتارام ذاتها ، فأخذوا يغذون الحرب الأهلية بتلك المملكة ، ترجح مصالح الشركة ، كما أنه لا ينبغى لهم مطلقاً أن يعرضوا تلك المصالح الأكثر أهمية لأدنى خطر" . ولذا فإن الحرية والإخاء والمساواة بأرض الوطن ... ثم الاستغلال فى بلاد المستعمرات –

كانت الشعار الذى تنادى به هولندا الثورية . على أن الثورات لم يكن من السهل ضبطها والهيمنة عليها ، ففى (١٧٩٨) ألغى مرسوم الشركة وأصبحت إندونيسيا مستعمرة للأراضى المنخفضة تابعة للدولة . ومع أن الحكومة بهولندا ظلت تعتنق المبادىء الثورية ، إلا أنهم ذيلوا ذلك بأن نصوا على أن : "مبادىء الحرية والمساواة لا يمكن أن تنقل إلى ممتلكات الدولة بالهند الشرقية ، ولا أن تطبق عليها ما دام أمن هذه الممتلكات يعتمد على الإبقاء على حالة الخضوع الراهنة الضرورية (التى عليها الإندونيسيون)" . ولا كانت الحكومة مستعدة أيضاً لإلغاء الرق ، قناعة منها بالنص فى تقوى وورع بأن ذلك الإصلاح ينبغى أن يرجأ "حتى يسمح بتحسين نصيبهم المقدر لهم ظهور مستوى أعلى من الحضارة العامة بتلك البلاد" .

وكانت سياسة النظام الهولندى بإندونيسيا "التدمير والمقاومة والانتقامات كانت هى القصة المتكررة الرتيبة بجزر ملكا" . وهناك أحد المؤرخين الإنجليز يعطف على الهولنديين وينصب نفسه للدفاع عن الحكم الاستعمارى وهو المستر ج . س . فرنيفال وهو يصف الحكم الهولندى بالعبارات التالية : "كانت أمبوينا تستطيع أن تنتج من القرنفل أكثر مما يستطيع العالم بأجمعه استهلاكه ، ولذا شجع الهولنديون ملك ترنات ... على مواصلة حربه مع تيدور حتى تتحول أنظار شعبه عن إنتاج القرنفل . وأحلوا فى باندة العمال الأرقاء محل الفلاحين الأحرار ، وبقطعهم عن جاوة مؤونتها من الأرز أضطروا الناس إلى التخلى عن غذاء الأرز وتناول غذاء أضعف تغذية لهم هو الساجو . فمات الكثيرون من تناول هذا الطعام واستلزم الأمر استخدام عدد أكبر من الأرقاء . وكان هؤلاء يستوردون من مكان سحيق هو أراكان . على أن الأرخبيل نفسه كان المصدر الرئيسى لهم ، فإن الجزر التى لا تنتج طعاما كانت تغير على غيرها لكى تقتنص الأرقاء بغية أن تبادل عليهم بالأرز" .

وقد وضع كوين مؤسس باتافيا الذى يقول عنه الكتاب الهولنديون فى عصره "إنه واصل تنفيذ سياسته بطريقة فيها من الإجرام وسفك الدماء والقتل ما يجعل دم الفقراء

الواقع على أم رأسه يصبح مطالباً بالثأر والانتقام" ، وضع المبدأ الذى أقيمت على أسسه السياسة الهولندية فيما بعد ، فلقد تساءل قائلاً : "أفلا يستطيع أى رجل فى أوربا أن يفعل ما يشاء بماشيته ؟ هكذا يفعل السيد هنا برجاله ، ذلك لأن هؤلاء بكل ما يملكون إنما هم فى كل مكان ملك للسيد بالمثل ، شأنهم فى ذلك شأن البهائم السائمة بالأراضى المنخفضة . والقانون بهذه البلاد هو إرادة الملك ، والملك هنا هو من يكون أقوى الناس" .

وقديماً ادعى ملوك أوربا أيضاً أن القانون هو مشيئتهم ، وبعد عهد كوين بزمن قصير ، ادعى لويس الرابع عشر أنه هو الدولة . ولم يحدث قط ، لا فى نظرية الحكم عند الهندوك ولا المسلمين ، أن ادعى أحد أن الحاكم يملك الشعب ، ولكن مذهب كوين الشرير أصبح أساساً لمعاملات الهولنديين وممارستهم والدعامة النظرية التى تقوم عليها علاقة الزارع المستعمر الهولندى بالكولى الإندونيسى ، تلك العلاقة التى سادت بإندونيسيا مدة مائة سنة

والآن وقد تسلح الهولنديون بنظرية مناسبة من هذا الطراز ، لم يعد لديهم أية فرصة يدعون بها أن عليهم أى التزام خلقى نحو سكان جاوة . بل الواقع أنه ينبغى أن يقال إنصافاً لهم : إن الغرض الصريح المعترف به من وجودهم بجزائر الهند الشرقية هو الحصول على أقصى ما يمكن الحصول عليه من الأرباح بكل وسيلة تتهيأ لهم خلقية كانت أو غير خلقية . وليس صيحتهم "بأن رسالتهم هناك تعوق" إلا ذريعة حديثة اتجهوا إليها ، كما أن الهولنديين أنفسهم لم يكونوا ينظرون البتة فى مطالب السكان حتى ترغمهم الأحداث الدولية فى مختلف العصور على فعل ذلك كارهين .

وكانت تجارة التوابل قد عادت عليهم حتى بداية القرن الثامن عشر بأعظم الأرباح ، وكانت أرباحهم طائلة جداً فى تجارة القرنفل إبان القرنين السادس عشر والسابع عشر . ولا أدل على ذلك من أن السفينة فكتوريا سفينة ماجلان ، أخذت شحنة من القرنفل من ملكا ، وباعتها بمكسب مقداره ٢٥٠٠ فى المئة . على أن هذه الأرباح أخذت تضمحل عند ابتداء القرن الثامن عشر ، وذلك لأن احتكار الهولنديين اضطر دولاً أخرى إلى

نشجيع زراعة القرنفل ببلاد الهند وبأماكن أخرى . ثم تبين للقوم أن للقهوة سوقاً ضخمة بأوربا ، وأنها ستكون سلعة تجارية موفورة الأرباح جداً . وفي قريب من ١٦٠٠م أصبح استخدام القهوة شائعاً بأوربا ، وسرعان ما أصبحت شراباً شعبياً . وظهر أن الطلب عليها لا ينتهي عند حد . وقد أدخلت شجرة البن إلى جاوة من ساحل ملبار بجنوب الهند عند ابتداء القرن ، ولم تنقض بضع سنين حتى أصبحت محصولاً من أكبر محصولات الجزيرة . ولما كان البن يتطلب أسعاراً عالية في أسواق العالم ، فلعله كان من المأمول أن يعيد هذا المحصول الرغد إلى فلاحي الجزر ، ولكن الشركة لم تكن ترغب في ذلك ، وكان الخوف الذي يكثرون من ترداد التعبير عنه في وثائق تلك المدة هو : "أن سكان جاوة قد يشتد ثراؤهم" ، وذلك على حين أن الحيلولة دون تمتع أهل جاوة بأي رغد ، وجمع الهولنديين أقصى ما يستطيعون سلبه من ثروة الجزيرة في خزائنهم هما أبسط أهداف الهولنديين التي يعبرون عنها على الملأ صراحاً جهاراً .

من أجل ذلك اتبعت الشركة سياسة ذات ثلاث شعب ، أولاها تخفيض جبري في أسعار البن بباتافيا ، وتحديد للزراعة ، ونظام صريح للغش كان المنتجون يضطرون بمقتضاه أن يسلموا ٢٤٠ رطلاً إلى ٢٧٠ مقابل ثمن ١٢٥ رطلا فقط يقبضونه ؛ وبعد ذلك كله ، وبعد إجراء تخفيضات لأسباب وذرائع مختلفة لا يصل إلى جيب المزارع الإندونيسي إلا ثمن ١٤ رطلاً . وبذلك كان الجاويون يخادعون في أرباحهم نهباً وغشاً ، ويُحرمون وينكر عليهم حتى الحصول على سعر معتدل لمحصولهم ، فلا عجب إذن أن يرغب الفلاحون عن زراعة البن . وفوق هذا لم يبد الأقيال الذين كانوا الوكلاء الإندونيسيين للشركة أية حماسة في هذا الصدد . ولذلك قرر الهولنديون أن يرغموا كلا من الأقيال والفلاحين على زراعة البن وتقديمه إليهم بسعر محدد . وكانت نظرية الشركة في ذلك بسيطة ؛ ذلك أنهم ورثوا حقوق السيادة التي كانت للسلاطين ، وكان لهم من أجل ذلك الحق في الملكية المطلقة للأرض ؛ وكان حق الاستثمار ملكهم بكليته . وكان الأقيال والفلاحون مجرد وكلاء لهم في العملية . بل الحق أن جاوة كانت في نظر

الشركة قد أصبحت مزرعة ضخمة للبن يملكها الهولنديون . ولم يكن المقصود من حق السيادة الذى كانوا يمارسونه إلا أن يعطوا صاحب الزراعة (وهو الشركة فى هذه الحال) الحق على أساس بعض الذرائع القانونية ، فى حرمان الإندونيسى حتى من الحصول على أجور معقولة لقاء عمله .

ومن قبل ذلك جعل البن من السلع المحتكرة ، وقرابة (١٧٦٠) جعل الأقيال مسئولين عن الزراعة ، ووضعوا تحت إشراف موظف هولندى - وعين عدد من ضباط الصف يعرفون باسم جاويشية البن ، للتأكد من أن الأقيال والفلاحين لا يهملون زراعة البن . والواقع أن خطة المسألة دبرت بنظام محكم كما لو كانت تتم فى مزرعة عادية ، كما أن البن الذى كان يزرع بتلك الطريقة كانت الشركة تتولى جمعه وبيعه .

كان ما أدخله نظام الضياع الكبيرة فى علاقة الهولنديين بالإندونيسيين ثورة صامتة ولكنها بعيدة المدى . وقبل ذلك لم يكن الهولنديون إلا تجاراً يشترون التوابل والأرز اللذين كانت البلاد تنتجهما ويبيعونهما بالأرباح . أجل إنهم استخدموا سلطانهم لإنشاء احتكار ، ولكن نشاط الشركة التجارى لم يكن يتجاوز هذا الحد إلى التدخل فى حياة الأهلين . على أن التحول إلى اقتصاد يقوم على نظام الضياع الكبرى كان ينطوى على الاستغلال الفعلى للعمال ، والتحكم الوثيق فى اقتصاد الأهلين والإشراف الفعال عليهم ، بل ينطوى فى الواقع على تطبيق "نظام إدارة الضياع الكبرى" على قطر بأكمله . فلقد أصبحت جزيرة جاوة مزرعة كبيرة للشركة ، كما أن العلاقة بين الحاكم صاحب الحق فى السيادة ، وهى الشخصية التى ادعتها الشركة آنذاك لنفسها ، وبين رعاياها لم تكن فى صميمها إلا علاقة صاحب ضيعة بعماله الكوليه ، لم يكن فيها الطرف الأول صاحب العمل الذى يستخدم العامل فحسب ، بل كان أيضاً السلطة التى تملك بيمينها حقوق الحياة والموت ، وصاحبة وسائل الظلم الشامل الذى لا يستطيع أن يستنبطه إلا نظام قانونى تعززه سلطة الحاكم . ولم يكن الطرف الثانى كولياً فقط ، بل كان كولياً ليست له

حتى حقوق اسمية على مستخدمه صاحب العمل ، الذى لم يكن يستطيع أن يلجأ حياله إلى جهة قضائية ولا جهة تنفيذية . وليس هناك نظير فى التاريخ لتلك الحالة التى حولت فيها ممارسة حق السيادة شعباً بأكمله إلى أمة من كولية الضياع الكبرى ، مع النزول بالطبقة الأرستقراطية الأصلية بينهم إلى مركز رؤساء عمال ومشرفين ، يفرض عن طريقهم العمل قهراً وينفذ الظلم جوراً . ولا ريب أن جماعة "الإنكا" فى بيرو كانت على هذا النحو من انعدام الرحمة فى استغلالهم المطرد المنظم للأهالى ، ولكنهم كانوا على الأقل يعيشون فى البلاد كما كانت جميع مكاسبهم تنفق بها . فأما هنا ، فكانت المكاسب ترسل إلى بلاد بعيدة ليتمكن بها السادة من الاستمتاع بأسباب ترف العيش بعيداً عن مناظر الكدح والشقاء .

وكان الأقيال هم آلات التعذيب التى تمكن الهولنديون بوساطتها من تنفيذ هذه السياسة القاسية المجردة من كل رحمة ويعينهم المدير العام ، وإن كان المنصب يعد وراثياً ، وكان الهولنديون يضعون فى اعتبارهم المدعيات الوراثية ويحترمونها على وجه الجملة . ومع أن الهولنديين كانوا يعينونهم فى وظائفهم ، فإنهم "كانوا يعدون الفلاح والأرض نفسهما ملكاً خاصاً لهم" ويفرضون على الناس جميعاً العمل بالسخرة فى مزارع البن . فأما أن الأقيال أنفسهم لم يكن مسموحاً لهم أن يثروا ، فأمر يتجلى فى أن قوميسير الشئون الوطنية ، وهو السيد الذى كان الأقيال يعملون بإرشاداته كان يضطر عادة إلى إعطائهم قروضاً بأسعار الربا الفاحش ، لكي يردوها إليه أيام تسليم محصول البن ، وكانت الديون تصبح من الفداحة بحيث إنه لم تكن تنقضى فترة قصيرة إلا ويصبح البن المسلم غير كاف لتغطية الفائدة . ولذلك لم يكن أى من الإندونيسيين الفقراء الذين كانوا يضطرون إلى العمل فى الحقول بنظام "السخرة" الجارى استخدامه ولا الأقيال الذين يشرفون على العمال - يحصلون على أية أرباح ، وكانت سياسة منع الإندونيسيين من جمع الثروات تنفذ بأقصى دقة .

ولم ينقذ سكان جاوة من وهدة الإذلال التى تردوا فيها إلا إلهام الإسلام وروحه

المتطبعة بطابع الرجولة ، ومن المعروف أنه عند وصول البرتغاليين ، لم يكن الإسلام قد استقر إلا فى المراكز التجارية الكبيرة وفى بعض بلاطات الحكام وقصورهم . ولم تلق محاولة البرتغاليين تنصير السكان الهندوكيين أى نجاح ، حتى إذا ترامى القرن السادس عشر لنهايته ، كان معظم جاوة وسومطرة قد رضى الإسلام ديناً . وكان الضغط عليهم متواصلا لا يفتر ، فلما أن سقطت مملكة بالامبانجان بشرق جاوة فى (١٦٣٩) أمام هجوم سلطان ماتارام ، لم يعد للدين الهندوكى المنظم وجود بجاوة . وما لبث الإسلام نفسه أن أخذ يدب إليه شيء من التغير . وقد دخل الإسلام فى الأصل إلى تلك الجزيرة من الهند على يد تجار من جوجرات ، ولذا لم يكن حتى منتصف القرن السابع عشر ليزيد عن طبقة إسلامية رقيقة تغطى على المعتقدات الهندوكية القديمة . على أن ديانة كالإسلام يحافظ على تماسكها وسلامة شعائرها وصلابة عودها منسك كمنسك الحج السنوى إلى المدن المقدسة مكة والمدينة ، ومواصلة نشر العلم بين أتباعه بما كان يقوم به الأئمة والوعاظ ، لم يكن ليدوم معها والحالة هذه مثل ذلك الموقف أية فترة من الزمن . وكان الحجاج الجاويون العائدون من مكة يجلبون معهم العلماء إلى بلادهم . وينبغى ألا يغرب عن بالنا أن الدولة العثمانية كانت إبان القرن السابع عشر هى التى تمثل مركز الإسلام فى العالم ، وكانت قوتها فى الشرق الأوسط وبمنطقة الساحل الشرقى للبحر المتوسط ، وعلى امتداد السيف الإفريقى منه خطراً مهدداً لم تزل أوربا ترتجف منه فرقاً . وكذلك لم تكن الإمبراطورية المغولية ببلاد الهند عاملاً يمكن تجاهله فى السياسة الشرقية فى ذلك الأوان . ولما كان الفخار بالمركز الدولى للإسلام عظيماً ، كانت ميزة الانتماء إلى مجتمع عالمى قوى المنة حافزاً يرفع من معنويات المسلمين فى كل مكان ، حتى حيث يبدو مركزهم السياسى ضعيفاً أو ذليلاً فى أية منطقة بعينها . وبفضل وصول الشيوخ والحجاج والأئمة من مكة والشرق الأوسط ، أخذ تحول هائل يلم بالأحوال الدينية والاجتماعية والسياسية بإندونيسيا .

وقد شهدت فترة اشتداد الدعوة الإسلامية التى بدأت فى (١٦٣٠) : شهدت فى

ناحيتها الدينية قوة المبادىء الإسلامية تشتد وتقوى ، كما شهدت بدء تكوين سلطة الزعماء الدينين ، واقتراب الأهالى بوجه عام من فلك النظرة الإسلامية إلى الحياة . وكان غرضها هو إبعاد الإندونيسيين عما تبقى لديهم من التقاليد الهندوكية ، فضلاً عن تنظيم وسائل المقاومة للعدوان الدينى المسيحى . أما من الناحية الاجتماعية فإن تأثير مكة كان موجهاً إلى دفع الناس إلى التمشى مع سنن الإسلام فى الزواج والمواريث إلى غير ذلك مما ينطوى فى معظم الأقطار الإسلامية تحت أحكام الشريعة . أما من الناحية السياسية ، فإن الحركة كانت تمثل روح مقاومة . ويقال " إن شيخاً عربياً حمل إلى حاكم ماتارام لقب سلطان باسم والى مكة من قبل الخليفة . ثم بدأت السلطنات الأخرى وبخاصة أتجة أقرب البلاد إلى القارة نفسها تدخل هى الأخرى فى علاقات مع الدول الإسلامية بالشرق الأوسط .

وفى بانتام أظهر السلطان عبد الفاتح عزماً شديداً ويذل جهداً أكيداً لتحويل دولته إلى مركز للنشاط الإسلامى ، فأرسل ابنه نفسه لأداء فريضة الحج فى مكة ، وزوده بالتعليمات بالتوجه إلى القسطنطينية . وثمة شخصية أخرى جديرة بالذكر والتنويه ، وتمثل هذا الانتعاش السياسى للإسلام هى ابن سكندر ، الذى جمع أسطولاً ليعمل ضد الهولنديين . وأعلن الجهاد على الكفرة . وكان زعيم الحركة هو الشيخ يوسف وهو إندونيسى تعلم فى مكة واشتهر بأنه ولى من أولياء الله الصالحين . ويلوح أيضاً أن أورانجزيب إمبراطور الهند المسلم المتوقد غيره على دينه ، كان له ضلع فى الأمر ، وأنه أرسل عدداً من محركى الفتن ليدعو الناس إلى مقاومة الهولنديين . كما أنه احتج أيضاً لدى الهولنديين على اعتقال أحد هؤلاء المثيرين ، فاضطرت السلطات الهولندية إلى الإفراج عنه .

وينبغى ألا يفهم من ذلك أن جاوة نفسها لم يحدث بها رد فعل محلى على نفوذ الشيوخ الذين تلقوا العلم بمكة ؛ إذ يقال : إن السلطان أمانج كرات الأول مثلا ، قد عرض على السيف عدداً كبيراً من المولوية وعائلاتهم ، لأنهم حاولوا أن يتخذوا

لأنفسهم سلطاناً على الأهالى ، كما أنه حرم جميع القضاة من الاختصاصات التى منحهم إياها أبوه السلطان الجنج .

وأدى اشتداد قوة الإسلام إلى ازدياد عظيم فى شدة مقاومة الأهالى للعدوان الهولندى بالجزر ، وتمخض استياء المسلمين من جهود المبشرين بأمبوينا عن نشوب الحرب بجزر ملكا . واقتنع كبار موظفى الشركة فى ذلك الزمان ، مثل ريكلوف فان جوينز ، بأن الدين كان من أكبر أسباب الحروب المتواصلة على الهولنديين بالأرخبيل ، تلك الحروب التى تكوّن ظاهرة ملحوظة فى التاريخ إبان النصف الثانى من القرن السابع عشر .

ولم يبد الهولنديون بطبيعة الحال أى اهتمام بتعليم الإندونيسيين ، وكان ذلك فرصة انتهزها الإسلام لتقوية مركزه . ومن ثم أصبح التعليم احتكاراً فعلياً لرجال الدين المسلمين ، وكانت المساجد هى المراكز الطبيعية التى يشع منها ضياء العلوم الإسلامية ويؤثر فى الجماهير . وقد ظل المعلمون المسلمون يعززون باستمرار من مكة والهند ، فتمكنوا بفضل ذلك من المحافظة على روح الأهالى مشبوبة نابضة بالحياة . وهكذا كان تقتير الهولنديين وقصر نظرهم سبباً دعا الإندونيسيين إلى إنقاذ أرواحهم .

وجاءت سياسة الهولنديين فى عهد دايندالز (١٨٠٨) وهو المدير العام اليعقوبى النزعة فدفعت الأمور إلى أزمة عاتية . فإنه نصب نفسه لإعادة تنظيم الإدارة وتقوية وسائل الدفاع عن البلاد ، ولكن معارضة الهولنديين المحليين بلغت من الشدة بحيث اضطرت الشركة إلى سحبه . وبعد ذلك بمدة قليلة ظهرت أمام باتافيا حملة بريطانية يحملها أسطول مكون من مائة حاملة جنود عليها اثنا عشر ألف جندى . ولم تنقض ستة أسابيع حتى أتمت التجريدة أعمالها ووقع الهولنديون شروط التسليم فى ١٨ سبتمبر ١٨١١ . وبذلك انتقلت سيادة الإمبراطورية الهولندية للبريطانيين مدة أربعة عشر عاماً .

ولا شك أن فترة مكث البريطانيين بجاوة هى الحدّ الفاصل حقاً بين حكم الشركة

واستعمار الدولة الهولندية التوسعية إبان القرن التاسع عشر . فألغى تقريباً نظام الحكم غير المباشر الذى عاد على الهولنديين بالأرباح الطائلة دون أن يحملهم متاعب الحكم أو همومه . فإن رافلز حرم الأمراء من حقوق الإدارة . وضمّ بانتسام إلى بريطانيا ، حيث تنازل سلطانها عن الحكم مقابل معاش سنوى قدره عشرة آلاف دولار إسبانى (١٨١٣) . وضمنت تشيريبون فى (١٨١٥) .

وفى سوراكارتا ودجوكجا كارتا قبل السلطانان أن ينظما إدارتهما لشئون ولايتهما طبقاً للمشورة التى يشار بها عليهما . وهكذا دمر رافلز فى مدة وجيزة النظام القديم ، وأحل محله تولى السلطة الاستعمارية التصرف المباشر فى الإدارة ، ولم يكن فى ذلك إلا مكملاً للسياسة التى بدأها دايندالز نفسه .

ومهما تكن مزايا إصلاحات رافلز وعيوبها ، فلاشك أنها كانت ذات نزعة إنسانية ، وكانت تنطوى على بعد النظر وتهدف إلى منح الحقوق للمزارعين الجاويين ، وهى من أجل ذلك تلقى النقد العدائى من المؤرخين الهولنديين ومن المدافعين عن الاستعمار مثل فرنيفال - ولا سبيل إلى نكران أنها وضعت حداً لنظام الضيعة الكبرى الجائر غير الإنسانى . فلما أن أعيدت المستعمرة إلى الهولنديين لم يجدوا مناصاً من قبول المبدأ القائل بأن إندونيسيا ينبغى أن تحكم من أجل أبنائها . وعندئذ أعلن أن غرض الملك ، وقد أعيد إلى عرشه آنئذاك بهولندا ، هو النهوض بمصالح جميع رعاياه دون أى استثناء .

وكانت سياسة هولندا بعد عودة الملكية سياسة استغلال شديد لجاوة وأجزاء من سومطرة (هى پادانج وپاليمبانج) وإلى الامتناع عن التصرف فى المناطق الخارجية . وكانت السلطات الهولندية صريحة كل الصراحة فى تبيان أسباب إهمالها للمنطقة الهائلة الواقعة خارج جاوة وسومطرة . فإن تطوير المناطق الخارجية كان يستلزم استخدام جميع الفائض عن إدارة جاوة الذى لم يكن بد من إساله إلى الدولة الأم . وتعرف تلك السياسة باسم "سياسة الميزان الموائم" وهى تقدر قيمة الإدارة وتحكم عليها حسب مقدار صافى المكاسب التى كانت إدارة جاوة تستطيع إرسالها إلى هولندا .

وفى الحق أن البرتغاليين كانوا في عـلاقاتهم بالعرب - وذلك على الأقل أثناء نصف القـرن الذى أعقب وصـولهم إلى الشـرق - قـسـاة ، تجردوا مـن كل إحسـاس بالمشاعـر الإنسـانية . وكـان في الإمكان على الأقل تفـسيـر ذلك بأنه اسـتمـرار للقتـال المرير بين الإسلام والمسيحية فى أوروبا . ثم دأبوا حيناً من الدهر على التزام خطة التعصب الدينى فى إجبار الناس على اعـتناق المذهب الكاثولـيكى ، كمـا أنهم أنزلوا اضطهـادهم بغيـر المسيحيين بجـوا وغيرها من ممتلكاتهم . أما البريطانيـون فقد أقاموا بالبنغال مـدة قصيرة أمدها خـمسـة عشر عـاماً "دولة لصوص" كـانوا فيـها ، دون إشارة إلى حـقوق الغـير ، ينهـبون ويسلبـون تحت ستـار حـقوقـهم أنفـسـهم ، ولكن التـجار الهنود لم يتـدخل فى شئونهم أحد حتى فى أثناء تلك الحقبة ، وكان للجمهور الحق حتى فى الاحتجاج العلنى مما شهدنا ذلك آنفاً . فالهـولنديون من بين جميع الأمم الأوربية فى الشرق هم وحدهم الذين اتبعـوا سياسـة أخذت تنزل شـعباً بأكـمله بصور منظمة إلى منزلة عمال الضـياع الكبـيرة ، دون أن تعـتـرف لهم قبلهـا بأى التـزام خلقى أو قانـونى . كانوا ببـلاد الصين يذللون ويخـرون على الأرض ساجدين ، ويتـواضعون ويظهـرون التوقيـر العظيم أمام موظفين اليابانيين ، ولكنهم كانوا يـظهرون استبداداً لا يتصوره عـقل نحو الشعب الذى يستمـدون منه أعظم الغنم . وإذ أعوزتهـم (أعنى الهولنديين) الحـماسـة الروحيـة التى تبعث أنفس البرتغـاليين أو - على وجـه الجملة - الاهتـمـام الإنسانى العـريض الذى للبريطانيين ، وذلك على الأقل بالمناطق التى لهم فـيهـا السلطة السـياسيـة المبـاشرة ، أو الشعور بالرسالة الثقافية التى ادعاها الفرنسيون لأنفسـهم ، فإنهم استمسكوا بشدة بنظرية الامتلاك والاسـتغلال ، دون أن يتقبلوا بأى حال ولو على أدنى درجـة ، أى التزام برعاية مصالح الشـعب الذى استولوا على مقـاليد الهيمنة بين ظهرانـيه . حتى إذا اضطروا إبان القرن التالى إلى تغيـير سياستهم ، لم يكن ذلك نتيجة لأى اقـتناع ، بل جرفتهم فى ذلك الحركات التى حدثت خارج هولندا وإندونيسيا .

٤ - جاوة وشركة الهند الشرقية الانجليزية (١٨١١ - ١٨١٤م)

جاءت شركة الهند الشرقية الإنجليزية فى سنة ١٨١١م تهاجم جاوة بقيادة اللورد منتو Lord Minto وكان بعض ملوك جاوة يساعدون الإنجليز فى محاربة الهولنديين حتى أبرمت ورقة استسلامهم فى ١٨ سبتمبر من نفس السنة ، فدخلت جزيرة جاوة وجزيرة تيمور ، ومكاسر فى سيليبس ، وفلمبانج فى جنوبى سومطرة ، تحت حكم هذه الشركة الانجليزية وأسند الحكم فيها إلى القائد توماس ستامفورد ريفلس Thomas Stampord Rafiles ، وبذلك أصبحت هذه الشركة تهدد ملوك اندونيسيا وتحدد سلطتهم . مثل ملك بالي وملك "بنجرماسين" فى بورنيو ، وملك جزيرة مادورا ، وملك جنوبى سومطرة ، وانتزعت من هذا الأخير مناجم القصدير فى جزيرتى "بنكاوبليتونج" واستطاع ملك "بوناي" فى جزيرة سيليبيس بقوته وسلطته أن يدافع عن مملكته ، وقد أرسل الحاكم ريفلس جيوشاً لإخضاعه بدون جدوى .

وكان بعض الزعماء الاندونيسيين فى ذلك الوقت ، قد نجحوا فى إقناع اللورد ميتو بأنه إذا تعذر أن تكون اندونيسيا مستقلة استقلالاً تاماً ، فعلى الأقل يجب أن تكون شبه مستقلة ، وذلك بتوحيد جميع سلاطينها وملوكها داخل عصبة الولايات المتحدة ، ويكون لهذا الاتحاد برلمان يمثل فيه كل واحد منهم أى على طراز مجلس الولايات اليونانية القديمة Amphicty onic Council of Greeks ويكون مقر هذا البرلمان فى جزيرة مادوا الواقعة فى شرقى جاوة أو فى مكان آخر من الأمكنة المشهورة القديمة ، وسيكون هذا الاتحاد تحت حماية الحاكم العام فى جزيرة جاوة . ولكن أعضاء مجلس إدارة الهند الشرقية الانجليزية فى لندن لم يوافقوا على هذا الاقتراح ، لأن غرضهم الأساسى هو تحطيم قوة هولندا فى هذه الجزائر أولا ، ثم تدعيم النفوذ الانجليزى فيها ثانياً .

قمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ٩١ - ٩٢ .

وكان الحاكم رفيلس قد قسم جزيرة جاوة إلى ثمانية عشر مديرية ، وانشأ فى كل مديرية محكمة أهلية ، وألغى اجبارية العمل على الأهالى ماعدا الأعمال اللازمة لبناء الطرق والجسور ، كما ألغى أيضاً ضرورية تسليم المحاصيل إلى الحكومة ، ولكنه فرض على الأهالى دفع الضرائب ، وكانت تبلغ أحيانا نصف قيمة المحاصيل ، وقد اتخذ وسائل كثيرة لزيادة دخل الحكومة مثل بيع أراضى الحكومة للمزارعين الأوروبين ، واحتكار الحكومة لصناعة الملح التى كانت قبل ذلك فى أيدى الصينيين ، وكانت الحكومة تفرض عليهم الضرائب ، فمنذ سنة ١٨١٣ ، أخذت الحكومة هذه الصناعة لنفسها واحتكرتها هى وحدها .

وكانت حالة الاندونيسيين الاقتصادية والسياسية بوجه عام فى عهد شركة الهند الشرقية الانجليزية أحسن حالاً منها فى عهد شركة الهند الشرقية الهولندية السابقة . إذ كان بعض ملوك اندونيسيا وسلاطينها فى هذا العهد الجديد يتمتعون بسيادتهم الكاملة داخل مملكتهم ، والرقابة الشديدة التى كانت تفرض على السفن الاندونيسية قد خففت ، والحالة السيئة التى كان يتحملها الأهالى وفى جزائر الملوك المتمخضة عن سوء معاملة الهولنديين اياهم قد تحسنت . وكان نظام الحكم فى عهد رفيلس الحاكم العام الانجليزى ، يختلف كل الاختلاف عنه فى عهد دانديسس الحاكم العام الهولندى السابق ، إذ كان الأول تبعاً للتقاليد الانجليزية يساير بقدر الإمكان تقاليد الأهالى وعاداتهم ، فأنشأ حكومات محلية ذاتية Local Self - Governments . أما الثانى فكان يبنى حكمه على أساس الحكم الدكتاتورى البيروقراطى ، ولكن مصير كل من هاتين الشركتين الإنجليزية والهولندية فى اندونيسيا - كما هو معروف - كان يتعلق كثيراً بالتطورات والحوادث فى أوروبا .

قمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ٩٢ - ٩٣ .

وفي سنة ١٨١٤م أى بعد انهزام نابليون فى أوروبا ، نالت هولندا استقلالها من جديد فرجعت إليها هذه الممتلكات الواسعة التى كانت تمتلكها هولندا فى سنة ١٨٠٣م ماعدا جزيرة سيلان فى الهند ، ومدينة الكب فى جنوبى أفريقيا ؛ وجزائر الهند الغربية فى أمريكا ، إذ احتفظت انجلترا بالحكم فيها وباستعمارها ، وذلك طبقاً لما نصت عليه المعاهدة التى عقدت بين هولندا وانجلترا فى سنة ١٨١٤م ، والتى اضطرت الحكام الإنجليز إلى تسليم جزائر اندونيسيا مع استيائهم الشديد إلى الحكام الهولنديين الذين أرسلهم الملك ويليم السادس ، ملك هولندا فى ذلك الوقت ، ففى ١٩ أغسطس سنة ١٨١٦م احتفل الهولنديون برفع رايتهم من جديد فوق مدينة بتافيا عاصمة اندونيسيا ، إعلاناً لرجوع استعمار هولندا وسيادتها على هذه الجزائر فى ذلك الوقت .

وكان الحاكم رفيلس الانجليزى معارضاً فى هذا الاتفاق ، فاحتفظ بالحكم على مديرية "بنكولن" الواقعة على الشاطىء الغربى من جزيرة سومطرة ، وكان يحاول دائماً بكافة الطرق الدبلوماسية والعسكرية أن يلغى ويمزق وثيقة تلك المعاهدة ، فحينا يحض الشعب الاندونيسى ضد هولندا ، ويندد بالحكم الهولندى ، ويشرح لهم مزايا الحكم الانجليزى ، وأحياناً يرسل حملات عسكرية إلى مضيق "سوندا" فى جنوبى سومطرة ، وإلى شرقيها وشمالها لترفرف هناك الراية الإنجليزية . وكانت الحكومة الهولندية فى بتافيا تحتج على تصرفات هذا القائد الإنجليزى إلى مركز الحكومة الانجليزية فى كلكتا بالهند . وكانت الحكومة الانجليزية تناصر هولندا ، فيضطر رفيلس فى كل مرة إلى انزال تلك الراية ، وأخيراً جاء إلى كلكتا بنفسه ، فشرح وجهة نظره لرجال الحكم الانجليزى هناك ، وأكد لهم الخطر الجسيم الذى يهددهم بسبب ذلك النظام التجارى الاحتكارى الذى أصرت الحكومة الهولندية على تطبيقه من جديد فى تلك الجزائر الغنية ، وعلى إقفال بحار الشرق كلها فى وجه الأمم الأخرى ، فاقتنعوا برأيه ورأوا ضرورة الاستيلاء على مضيق "ملقا" للمحافظة على الطرق التجارية الانجليزية بين الهند والصين .

قمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ٩٤ .

ورجع رفيلس وخرج بحملة عسكرية قوية إلى ذلك المضيق التجارى ، باحثاً عن مكان مناسب هناك لانشاء مركز تجارى ، وعن ميناء صالح لتموين السفن التجارية التى تأتى وتذهب بين الهند والصين . فاشترى من سلطان مملكة "جوهور" جزيرة سنقافوره ونصب فيها الراية الانجليزية لأول مرة فى ٢٩ يناير سنة ١٨١٩م ، وأعلن أنها ستكون ميناء حراً ، ومركزاً هاماً للسفن الأوروبية والأندونيسية ، وقد تحقق ذلك بعد مدة وجيزة ، بل وقد أصبحت هذه الجزيرة الصغيرة فى هذا القرن العشرين أهم وأقوى القواعد الحربية والجوية فى الشرق الأقصى .

أما الحكومة الهولندية ، فقد أصبحت أيضاً فى ذلك الوقت على هذا التصرف ، مدعية أنه اعتداء عليها ، لأن هذه الجزيرة ، وكذلك شبه جزيرة الملايو ، داخلة ضمن الممتلكات الهولندية ، التى ذُكرت فى تلك المعاهدة . ولكن الانجليز فى هذه المرة لم يبالوا باحتجاج هولندا ، ومع ذلك كانت حكومة لندن تريد الوصول إلى حل هذه المشكلة عن طريق الاتفاق الودى مع هولندا ، فأسفرت المفاوضة بين الحكومتين فى لندن سنة ١٨٢٤م عن احتفاظ الإنجليز بشبه جزيرة الملايو وجزيرة سنغافورة مقابل إعطاء مديرية بنكولين فى غربى سومطرة إلى هولندا ، وطالب الانجليز أيضاً بأجزاء أخرى من أراضى اندونيسيا مثل شمال بورنيو وغيره ، ثم عاهد الانجليز الهولنديين على عدم تدخلهم فى شئون سومطرة وغيرها من جزائر اندونيسيا التابعة لهولندا ، كما عاهدتهم هولندا على احترامها لاستقلال مملكة آتشية فى شمال سومطرة .

هذا خلاصة الصراع التجارى والعسكرى والسياسى بين الإنجليز والهولنديين فى سبيل الحصول على ثروة اندونيسيا ولأجل استعمار جزائرها واستغلال أراضيها .

قمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ٩١ - ٩٢ .

٥ - جاوة والحكومة الهولندية الثانية فيها :

كان الهولنديون بعد استرجاعهم جزيرة جاوة وبعض جزائر أخرى يطبقون نفس النظم التي أوجدها فيها الحاكم رفيلس الانجليزي من الناحية السياسية ، ويساعدهم في إدارة دفة الحكومة مجلس إندى Raad van Indic وكان الحاكم العام هو الذي يعين أعضاءه من الهولنديين كما أن كل محكمة من المحاكم الأهلية التي أنشأها الحاكم رفيلس كان يرأسها هولندى . والحكومة هي التي تعين أعضاءها من القضاة الأهالي ، واستمر هذا النظام معمولاً به حتى قبيل الحرب العالمية الثانية .

انتقلت حالة اندونيسيا الاقتصادية منذ ذلك الوقت من سيء إلى أسوأ . إذ قلت محاصيلها وانخفضت أسعارها . ولما رأت الحكومة أن الاحتكار يضر بمصلحتها ، لأنه يفسد سلوك موظفيها ، ألغته فأدى ذلك إلى تدفق التجار الأجانب إلى اندونيسيا للاتجار فيها ، وعادت المنافسة من جديد إلى ميدان التجارة ، وهنا خشيت الحكومة منافسة التجار الأجانب لها وللتجار الهولنديين ، لذلك ألف الهولنديون في سنة ١٨٢٣م شركة جديدة اسمها "شركة المساهمة التجارية الهولندية -Neder Landsche Handel Maats chappi ، وكان رأسمالها ٣٧ مليون روبية .

وكانت الأغراض والأهداف التي ترمى إليها الحكومة من تأسيس هذه الشركة الجديدة هي التغلب على أولئك التجار . ولكن الشركة ما كانت لتستطيع تحقيق هذه الأغراض ، وذلك بسبب شدة منافسة التجار الآخرين لها من ناحية ، ولقلة رأسمالها من ناحية أخرى . لأن التجار الهولنديين في أوروبا كانوا يترددون في المساهمة في هذه الشركة ، لأنهم لا يعرفون جيدا أحوال التجارة في اندونيسيا في ذلك الوقت نظراً لانفصالها عن هولندا طوال مدة الحكم الانجليزي فيها ، بل قد خشي بعض كبار التجار

قمر الدين الاندونيسي ، هذه اندونيسيا ، ص ٩٤ - ٩٥ .

فى هولندا أن تجر هذه الشركة الخسارة عليهم ، كما كانت شركة الهند الشرقية الهولندية فى أيامها الأخيرة .

وبذلك فشلت هذه الشركة الجديدة ، وتحملت كثيراً من الخسارة ، فتركتها الحكومة وشأنها . ووجهت اهتمامها إلى توطيد سلطتها وسيادتها فى البلاد ، حتى حدثت بينها وبين الوطنيين معارك وحروب ، منها تلك الحروب التى دارت رحاها بين الهولنديين وبين الأمير المسلم ديبونيجورو كما سنرى خلاصتها بعد قليل .

وقامت الحكومة الهولندية أيضاً بأعمال إنشائية ، منها حديقة الملك Kebum Raja التى أنشأها فى عام ١٨١٧م ، الحاكم العام فن ديرجافيلن V. Gavellen فى مدينة "بوجور" وقد عهد بالإشراف عليها وبإدارتها إلى العلماء النباتيين المشهورين ، ومنهم مستر تيشمان Tesjman والدكتور هاسكارل Dr. Haskarl وغرسوا فيها ثمانية آلاف صنفاً من أصناف النباتات والأشجار فى الفترة التى انتهت فى سنة ١٨٣١م وبلغت الأصناف التى زرعت فيها إلى عام ١٨٦٣م حوالى عشرة آلاف صنف .

وفى سنة ١٨٨٠م أنشىء بجانب هذه الحديقة معمل كبير ليكون محلاً للبحث والتجربة . فقد أصبحت هذه الحديقة مكاناً جميلاً للنزهة والاستراحة ، ومرجعاً هاماً فى الشرق الأقصى للبحث فى علم النبات ، يتوافد إليها أشهر علماء النبات من كل البلدان .

٦ - حرب الأمير ديبونيجورو :

كان الأمير ديبونيجورو Dipo Negoro مسلماً صالحاً تقياً عالماً من علماء المسلمين فى جاوة ، متمسكاً بالعادات والتقاليد الشرقية . وكان يحارب والده الملك "هامنكو بوانا الثالث" لأنه ورجال السراى كانوا لا يهتمون بالدين ولا يبالون بالتقاليد والعادات الشرقية ، فكانوا يفرتون فى الملذات والمنكرات ، وفى نفس الوقت كان ديبونيجورو يكره

قمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ٩٥ .

الهولنديين كراهية رجل حر لمستعبد ظالم ، وذلك لما رآه من المظالم والإهانات والاضطهادات التي ارتكبها الهولنديون ضد الأهالي ، الذى كانوا يدعونهم "الأقزام" إهانة وسخرية .

وقد حدث أن أصدر الحاكم الهولندى مستر فن دير جافيلين قانونًا يقضى بمنع الأهالي من تأجير أراضيهم إلى الشركات الزراعية ، وبإلغاء الاتفاقات السابقة الوطء على الأهالى التى ما أبرمت إلا لمصلحة تلك الشركات فقط .

وطبيعى أن هذا القانون كان يسر الأمير ديبونيجورو وأنصاره لولا صدور قانون آخر يقضى بالزام الأهالى دفع ما قبضوه من إيجارات أراضيهم التى استأجرتها الشركات . وقد فرضت على الأهالى أيضاً ضرائب باهظة ، كانت تجبى منهم بلا شفقة ولا رحمة ، حتى أصبح الأهالى فقراء ، وقد انحطت معيشتهم انحطاطا فظيعاً ، وكان سلوك موظفى الحكومة يجرح شعور الأمير كثيراً وكانوا يهينونه عاماً ، فكان كل هذا يزيد غليان دم الأمير الغيور على دينه وعلى مصالح أمته ، وكانت نار الحماسة تتأجج فى قلوب أتباعه وأنصاره ، حتى خشيت الحكومة منهم وحاولت مراراً - بلا جدوى - القبض عليه .

وفى ٢٠ يوليو سنة ١٨٢٤م أرسل الحاكم الهولندى فى منارام جيشاً قوياً إلى مقر الأمير لإرغامه على الحضور إلى منارام ، ولكنه رفض وامتنع عن الحضور ، فهاجمه ذلك الجيش الهولندى ، وبذلك نشبت الحرب التى سماها الهولنديون بحرب ديبونيجرو Dipo Negoro Oorigo وكان الملك والأعيان مع الهولنديين ضد الأمير ، لذلك أعلن الأمير على لسان أحد كبار علمائه ، بأن هذه الحرب مقدسة ضد الكفار وضد المفاسد والمنكرات .

واستمرت هذه الحرب مدة خمس سنوات ، وكلفت الحكومة الهولندية المصاريف الطائلة والضحايا الكثيرة حيث قتل فيها مالا يقل عن خمسة عشر ألفاً من الجيش

قمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ٩٦ .

الهولندي ومنهم ثمانية آلاف من الهولنديين ، وبلغت مصاريفها عشرين مليون روبية ، فاضطر الهولنديون في اندونيسيا إلى الاستغاثة بحكومتهم في هولندا ، وإلى مطالبة الممالئين من الملوك في اندونيسيا بمساعدتهم . وقد انجدتهم الحكومة في هولندا بارسال فرقة كاملة قوية إلى جاوة . ولقد لجأ الهولنديون في سبيل التغلب على الأمير - إلى أسوأ الطرق ، كإصدار الاعلان بالمكافأة الكبيرة لمن يأتي بالأمير حياً أو ميتاً ، ومع ذلك لم يستطع الهولنديون القبض عليه ، فلجأوا إلى الخداع والغدر به ، إذ طالبوا بعقد مفاوضة الصلح بينهم وبينه وفي ١٦ فبراير سنة ١٨٣٠م ، وأجل الأمير هذه المفاوضة إلى ما بعد حلول عيد الفطر من تلك السنة . وفي أثناء المفاوضة قبضوا عليه وأسروه بدلاً من أن يفاوضوه ويتفاهموا معه ، فوقع الأمير في قبضتهم بهذا الخداع المخزي ، ومع ذلك تقدم الأمير بشجاعته وهدوئه بطلب بسيط معقول . وهو أن يتركوه حراً ليشتغل بالشئون الدينية فقط ، ولكن الهولنديين رفضوا هذا الطلب واعتقلوه ثم قادوه إلى مدينة سيمارانج ثم إلى جاكرتا "بتافيا" ومن هنا نفوه في ٣ مارس سنة ١٨٣٠م إلى جزيرة "تندانو" ومن هنا إلى مكاسر في جزيرة سيليبس ، وعاش الأمير في منفاه إلى أن لقي ربه في ٨ فبراير سنة ١٨٥٥م .

ولئن مات الأمير ديبونيجورو المجاهد الكبير في منفاه البعيد بعد أن سجل له تاريخ اندونيسيا صفحة مشرقة .

٧ - جاوة الوسطى بعد حرب الأمير ديبونيجورو :

ولئن انتهت حرب الأمير ديبونيجورو في سنة ١٨٣٠م ، ولكن الأمن في جاوة لم يستقر إلا سنة ١٨٥٠م ، وذلك بعد أن قامت الحكومة الهولندية بتطهير مملكة جاوة الوسطى من رجال الثورة ، ومن أتباع الأمير المجاهد الكبير ، ثم أخذت الحكومة جزءاً كبيراً من أراضي تلك المملكة تعويضاً لها عما تحملته من تكاليف تلك الحرب الطويلة .

قمر الدين الاندونيسي ، هذه اندونيسيا ، ص ٩٦ - ٩٧ .

وبينما وضعت تلك الحرب أوزارها فى سنة ١٨٣٠م إذا بالحرب فى هولندا قد نشبت بسبب ثورة البلجيكيين ضد الحكومة الهولندية فكانت كل من هاتين الحربين اللتين خاضتهما هولندا قد اثقلت ميزانيتها حتى أفقدتها ، وفى حين كانت المصادر القديمة للدخل مثل الملاحة والتجارة قد اختفت أيضاً ، ومصانع الغزل والنسيج فى هولندا التى كانت تعتمد على آلاتها القديمة لم تعد تستطيع منافسة الصناعة الانجليزية الحديثة . وهاجر كثير من العمال العاطلين فى هولندا إلى أمريكا . لهذا كله اضطرت الحكومة الهولندية إلى البحث عن مصدر جديد لدخلها ولتمويل ميزانيتها ، فلم تجده إلا فى اندونيسيا .

فوكلت تنظيم الحياة الاقتصادية فى جاوة إلى حاكمها فن رن بوشخ Van Den Bosch تنظيماً بحق الفرص . وأخذ هذا الحاكم يطبق مبدأ ضرورة تدخل الحكومة فى جميع مرافق الحياة الاقتصادية وأصدر قانوناً جديداً إسمه Culture Stelsel أى قانون الزراعة ، وهو يقضى أولاً باجبار الأهالى على زراعة جزء كبير من أراضيهم بالمحاصيل التى تحتاجها أسواق أوروبا ، مثل قصب السكر والبن والنيلة والتوابل وغيرها ، ويقضى ثانيا باجبار الأهالى على تسليم المحاصيل الزراعية إلى الحكومة بدون مقابل ، بحجة أن الحكومة تقوم بتعمير البلاد وباصلاحها وبالمحافظة على الأمن العام ، وفى الحقيقة أن الحكومة الهولندية كانت فى حاجة شديدة إلى الأموال الكثيرة لتسديد ما عليها من الديون الناشئة من حروبها المتتالية ضد نابليون وضد بلجيكا وحربها ضد الأمير ديبونيجورو .

وفى ذلك كان الهولنديون ينقسمون إلى قسمين : قسم الأحرار وقسم المحافظين الأول يرى ضرورة إلغاء جميع القيود التى كانت تقيد التجارة وتغل حرية الأهالى فى اندونيسيا ، وكذلك إلغاء أعمال السخرة التى كانت تفرض على الأهالى ، وإلغاء

قمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ٩٧ .

الضرائب على الأراضى . واقترحوا توسيع مزارع الحكومة كوسيلة لزيادة دخل الحكومة . أما القسم الآخر قسم المحافظين ، يتمسكون بضرورة إجبار الأهالى على زراعة أراضيهم بالمحصولات الرائجة فى أوروبا ، وكذلك فرض الضرائب على الأهالى وعلى الأراضى الزراعية .

وكان هذا القسم الأخير هو الذى ينتصر ، وآراؤه هى التى تنفذ ، فقامت الحكومة بتنفيذ هذه الآراء وأصبح دخلها من الضرائب المفروضة على الأهالى وعلى الأراضى فى أواخر القرن التاسع عشر أكثر من دخلها الناتج من احتكارها لتصريف محاصيل البلاد . وكان نظام حماية هذه الضرائب بعيداً كل البعد عن العدالة ، إذ أنه لا يتفق والتطورات التى حدثت فى اندونيسيا فى ذلك الوقت ، مثل زيادة عدد الأجانب فى البلاد وزيادة أملاكهم وزيادة عدد أصحاب الأراضى منهم .

وكانت ثلاثة أرباح الضرائب فى أواخر القرن التاسع عشر تجبى من الأهالى فقط . وعلى من لا يملك الأراضى من الأهالى أن يشتغل بأعمال الحكومة إجبارياً مدة ستة وستين يوماً كل سنة .

ومن نتائج هذه السياسة الهولندية فى اندونيسيا وسياسة التوجيهات الاقتصادية الحكومية ، وبسبب نجاح الحكومة فى تطبيقها فى هذه الجزائر الفنية - وبالأخص فى جاوة ، أصبحت اندونيسيا محط أنظار الهولنديين قاطبة ، ومحور أحاديث مجتمعاتهم وكانت هذه الجزائر معروفة عند عامة الشعب الهولندى بإسم الشرق فقط ، وقد خامرتهم الآمال فى أن يذهبوا إلى الشرق ، ويعيشوا فيها إلى أن يموتوا ، وبالأخص عند الطبقة الوسطى المتعلمة منهم . كل هذا يزيد موقف هولندا فى اندونيسيا قوة ونفوذا .

وكان الدستور الهولندى الصادر فى سنة ١٨١٥م ، يخوّل للملك السلطة التامة فى إدارة المستعمرات بدون أى تدخل من قبل البرلمان . ولكن السلطة الفعلية قد انتقلت من

قمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ٩٨ .

. . ابدى الرجال الأكفاء من الطبقة الوسطى في سنة ١٨٤٨م بموجب الدستور
في تلك السنة ، الذى ينص على أن الملك بواسطة وزير المستعمرات يقدم سنوياً
تقارير عن الحالة فى اندونيسيا إلى البرلمان ، ومع ذلك فهذه الرقابة البرلمانية على سياسة
الحكومة لم تنفذ إلا في سنة ١٨٦٤م ، وذلك بعد صدور قانون الحسابات The
Accountant Act فى تلك السنة الذى ينص على أن ميزانية الحكومة الهولندية فى
اندونيسيا يجب أن يقرها البرلمان في هولندا . وكان كل من الحزبين الأحرار والمحافظين
فى هولندا يؤيد الرأى القائل بأنه يجب على اندونيسيا المساهمة المادية فى تعميم الرخاء
والرفاهية فى هولندا . ولذلك كان الجزء الكبير من ميزانية الحكومة فى اندونيسيا يحوَّل
سنوياً إلى هولندا ، وذلك زيادة على ما سأل إلى هولندا فى صورة متعددة من الدخل
مثل الأرباح التى ينالها التجار الهولنديون ، والرواتب الكبيرة التى تقاضاها الموظفون
الهولنديون فى اندونيسيا .

ومن ناحية الاندونيسيين كانت نتيجة هذه السياسة "سياسة إرغام الأهالى على
التوجيهات الاقتصادية" قلة المواد الغذائية ، وانتشار المجاعة حتى توفى جوعاً حوالى مائة
ألف شخص فى منطقة سيمارانج فى المدة التى انقضت ما بين شهر أكتوبر سنة ١٨٤٩م
وشهر مارس سنة ١٨٥٠م .

وكانت الحكومة تكسب كثيراً من هذه السياسة "سياسة تقييد الأهالى بتلك الأغلال
الاقتصادية ، حتى بلغت أرباح أو دخل الحكومة الصافى منها من سنة ١٨٣١ إلى سنة
١٨٧٧م حوالى ثمانمائة وثلاثة وعشرين مليوناً من الروبيات . وقد ظلت هذه السياسة
مستمرة إلى أوائل الحرب العالمية الأولى حيث لم تلغ زراعة البن الاجبارية إلا فى سنة
١٩١٥م ، وكانت الحكومة الهولندية خلال تلك المدة الطويلة تؤجر الأسواق الأسبوعية
إلى الصينيين ، وهم أحرار فى جباية الضرائب - كما يشاؤون - من الأهالى الذين
جاءوا إلى تلك الأسواق لبيع محاصيلهم الزراعية ومنتجاتهم اليدوية . وبعبارة أخرى

- الدبر الاندونيسي ، هذه اندونيسيا ، ص ٩٨ .

كانت الحكومة تتخذ نظام الالتزامات ، إذ كان الصينيون يتعاقدون مع الحكومة بالتزامات ، يدفعون بموجبها إلى الحكومة مبلغاً معيناً من المال ، ثم يقومون بدورهم بجباية الضرائب من الأهالى حسب رأيهم وتقديرهم فقط ، وبالطبع كان رأيهم فى ذلك يتجه إلى كثرة أرباحهم ، واستمر هذا النظام إلى أن نشبت الحرب العالمية الأولى .

وفى سنة ١٨٧٠م أصدرت الحكومة قانوناً آخر مفاده أن للحكومة الحق فى تأجير الأراضى البور إلى الهولنديين والأوروبيين لمدة خمس وسبعين سنة ، ونشأت بذلك فى اندونيسيا مزارع واسعة كثيرة Onderneming يمتلكها الهولنديون الأغنياء أو الشركات الأجنبية الزراعية . وهذه المزارع الكثيرة الواسعة ظلت باقية إلى نشوب الحرب العالمية الثانية يمتلكها نفس الملاك حيث لا تنتهى مدة اتفاق تأجيرها إلا بعد مرور خمس وسبعين سنة ، وقد بلغت مدة الاتفاق فى بعض الأحيان تسعاً وتسعين سنة من تاريخ عقد الاتفاق .

٨ - أحوال جزائر اندونيسيا الأخرى بعد استقرار الحكومة الهولندية فى جاوة :

بعد أن حلت سلطة هولندا محل سلطة انجلترا فى اندونيسيا اتسعت ممتلكاتها تدريجياً ، فكانت تستولى على ممالك اندونيسيا واحدة بعد الأخرى عن طريق القوة والعنف حيناً وعن طريق الحيلة والدسائس أحياناً . ويمكن تلخيص هذه الأحوال فى ثلاث مراحل تاريخية :

أ - المرحلة الأولى :

بدأت هذه المرحلة من سنة ١٨١٦م وامتدت إلى سنة ١٨٥٠م ، ويمكن تسمية هذه المرحلة "مرحلة الاثراء والتأسيس" بالنسبة لهولندا فى اندونيسيا . ومن المعروف أن

قمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ٩٩

هولندا قد تحملت خسارة كبيرة وديوناً كثيرة نتيجة دخولها فى حروب متتالية ضد انجلترا وبلجيكا وضد الأمير ديبونيجورو . فطبيعى أن تتجه جهود الهولنديين إلى جمع الأموال بأى طريق كان ، لكن تستطيع تسديد الديون المتراكمة ، وزيادة على ذلك كان الهولنديون يسعون بكل جهودهم فى تقوية مركزهم الاقتصادى والسياسى فى اندونيسيا . ولكنهم لم يتمكنوا فى هذه المرحلة من تعميم اهتمامهم فى جميع الممتلكات المترامية الأطراف ، وذلك لقلة عددهم من ناحية ، ولعدم وجود الرأسمال الكافى فى أيديهم من ناحية أخرى ، فضلاً عن مقاومة الأهالى فى كثير من مناطق اندونيسيا . فكان اهتمام الهولنديين ينحصر فى جزيرة جاوة فقط . ومع ذلك كانوا ينتهزون كل فرصة لتوسيع ممتلكاتهم ولبسط نفوذهم .

وكثيراً ما كانت هذه الفرص تأتى من قبل بعض ملوك اندونيسيا أنفسهم ، الذين يختلف بعضهم مع بعض . فيطلب الضعفاء منهم المساعدة من الهولنديين ، وكان الهولنديون لا يترددون فى اسداء هذه المساعدة "كطعم" بسيط للغنائم التى سيحصلون عليها مقابل هذه المساعدة .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فقد كان الهولنديون يعطون هذه المساعدة خوفاً من أن يسبقهم فى ذلك الانجليز أو غيرهم من الأوروبيين ، خصوصاً وأن الانجليز كانوا لا يزالون فى ذلك الوقت يسيطرون على سومطرة الجنوبية وعلى جزيرة "نياس" الواقعة غرب سومطرة . وكان الحاكم رفيلس الانجليزى يطمع دائماً فى أن يبسط سلطته فى بعض تلك الجزائر الغنية .

ب - المرحلة الثانية :

بدأت هذه المرحلة من سنة ١٨٥٠ إلى سنة ١٩٠٤م ، ففى هذه الفترة من الزمن عنيت الحكومة الهولندية فى اندونيسيا بتوسيع ممتلكاتها ، فلقيت مقاومة عنيفة من الأهالى ،

قمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ٩٩ - ١٠٠ .

ومن بعض ملوك اندونيسيا مثل مملكة آتشية في شمال سومطرة التي أعلنت حرباً مقدسة ضد هولندا في سنة ١٨٧٣م . ولم تنته هذه الحرب إلا في سنة ١٩٠٤م . وقام أهالي جزيرة "لومبؤ" الواقعة في شرق جزيرة بالي المشهورة بحرب عنيفة ضد هولندا .

جـ - المرحلة الثالثة :

من سنة ١٩٠٤ إلى قبيل الحرب العالمية الأولى . فقد تغلبت هولندا في أوائل هذا القرن على جميع ملوك اندونيسيا تقريباً . وكان الهولنديون قلما يتغلبون على هؤلاء الملوك بطريق القوة العسكرية ، وإنما عن طريق الحيلة والغدر حيناً ، وبوسائل الفتن والدسائس أحياناً ، وكانوا ينتهزون دائماً فرصة نشوب الاحتكاك بين هؤلاء الملوك لبسط نفوذهم وسلطتهم . وكان من ضمن سياسة الهولنديين أن يعقدوا معاهدات ودية مع ضعاف الملوك والسلاطين لقهر أقويائهم ، وينصرون الضعيف على القوى حتى يقهروه ، ثم يتغلبون على الضعيف فيدحرونه ، حتى استتب لهم - بسياسة التفريق - حكم هذه البلاد" واتخذت الحكومة الهولندية في الوصول إلى غايتها من حكم هذه البلاد طريقة خصبة ، فهي تحكمها باسم ملوكها وذلك لأن للملوك أو "الراجات" نفوذ من قديم الزمان في رعيتهم . فهولندة تولى السلطان وتجتهد في انتخابه من بين المتنافسين على المُلك ليكون له أعداد يخشاهم ليلجأ لهولندة لتحميه منهم . فيبقى من جهة محتاجاً لحمايتها . ومن جهة أخرى مدينا بالمسك لها . ثم هي تنفيذه مرتباً سنوياً قد يبلغ عشرات الآلاف من الأمير المحترم المطاع ، وما هو في الحقيقة إلا خادم هولندة المطيع .

هكذا كانت هولندا ترغم هؤلاء الملوك واحداً بعد الآخر على إبرام المعاهدة التي كانوا يسمونها "المعاهدة القصيرة Karte VerkLaring وهي تقضي بوجوب اعتراف الملك بسلطة الحكومة الهولندية على مملكته مع استبقاء سيادته الاسمية فيها . وظل هذا النظام إلى قبيل الحرب العالمية الثانية نافذاً على حوالي ثلثمائة وثلاثين ملكاً .

تمر الدين الاندونيسي ، هذه اندونيسيا ، ص ١٠٠ .

وقد كانت الممالك التي خضعت للنفوذ الهولندى فى أندونيسيا على النحو التالى :

١ - أخضعت هولندH "جزيرة لومبؤ" الواقعة فى شرق جزيرة بالى وذلك فى سنة ١٨٩٤م بعد أن جردتها هولندا من أسطولها أثناء القتال الطويل بينهما ، ثم أسرت ملك تلك المملكة ، ونفته إلى مدينة جاكرتا "بناقيا" حتى توفى بها .

٢ - ثم أخضعت بعد ذلك جزيرة بالى نفسها سنة ١٩٠٦م .

٣ - استطاعت هولندا فى سنة ١٩٠٨م التغلب على مقاومة الأهالى الأخيرة فى جزيرة "سومباوا" الواقعة فى شرق جزيرة لومبؤ .

٤ - وأخضعت آخر الممالك فى جزيرة سيليبس فى سنة ١٩٠٥ ، وذلك بارغام ملك "واتمبوني" على توقيع معاهدة الخضوع لسلطتها فى ١٨ نوفمبر سنة ١٩٠٥ بعد انهزام جيش هذا الملك فى المعركة ، واتبع ذلك استسلام ملك "جوا" فى نفس الجزيرة إليها فى عام ١٩٠٨م .

٥ - خضعت مملكة بورينو لسلطة هولندا فى سنة ١٩٠٥ وذلك بعد أن توفى ملكها السلطان محمد سليمان فى يناير من تلك السنة أثناء المعركة بينه وبين الهولنديين فى مدينة "براس كونينج" Beras Kuning .

٦ - كانت مملكة "رنغات Regat في شرق سومطرة قد دخلت تحت سلطة هولندا سنة ١٨٩٠ ، وذلك بعد وفاة ملكها "راجا عبد الله" وتولي ابنه راجا ابراهيم العرش .

٧ - دخلت مملكة "جمبى" في سومطرة الشرقية تحت سلطة هولندا في سنة ١٩٠٤م وذلك بعد وفاة ملكها السلطان محمد طه .

قمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ١٠١ - ١٠٢ .

٨ - أما مملكة "دياو" في الجزيرة الجميلة المسماه بهذا الاسم الواقعة في شرق سومطرة غرب سنغافورة فقد أخضعتها هولندا لسلطتها في عام ١٩١١م .

٩ - دخلت مملكة آتشية العظيمة تحت سلطة الحكومة الهولندية في سنة ١٩٠٤م . وكان لهؤلاء المسلمين هناك (اندونيسيا) سلاطين وأمراء مستقلون ، فمازالت هولندا تتغلب علي واحد بعد آخر ، حتى أخضعتهم لسلطتها تماما ، وكان استصفاء استقلالهم في اخضاع "توانج كو محمد دافوت" سلطان آتشية الذى دخل تحت حماية هولندا فى سنة ١٩٠٤م .

ويقول البعض إن اخضاع هولندا مملكة آتشية لسلطتها فى سنة ١٩٠٤م هو القضاء علي آخر استقلال اندونيسيا ، مع أن الحروب في بعض أجزائها الأخرى لا تزال مشتعلة إلي سنة ١٩١١م ، بل وقد امتدت إلي قبيل نشوب الحرب العالمية الأولى . ولعل هذا يرجع إلي أن حرب آتشية كانت أروع الحروب في اندونيسيا نظراً لشدة مقاومة هذه المملكة ضد الغزو الهولندى ، وتتجلى فيها بسالة الأندونيسيين الآتشويين وشجاعتهم فى الدفاع عن حريتهم واستقلال بلادهم .

تمر الدين الاندونيسى ، هذه اندونيسيا ، ص ١٠٢ - ١٠٣ .

أندونيسيا ما بين الحربين العالميتين

وكانت أندونيسيا خلال الحرب العالمية الأولى أهم مصدر لتموين تلك الحرب بأطرافها المختلفة نظراً لأن هولندا كانت تقف على الحياد ، فاستفادت الشركات الهولندية والأجنبية وجنت أرباحاً ضخمة على حساب الشعب الأندونيسي ، الذي صبر وتحمل المجاعة والفقر والحاجة من أجل حصوله على الاستقلال تنفيذاً لوعود هولندا الخادعة .

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى فى عام ١٩١٨م ، تطلع الأندونيسيون إلى هولندا لتنفيذ ماوعدت به ، ولكنها لم تعر مطالب الأندونيسيين أذنا صاغية ، شأنها فى ذلك شأن الدول المجتمعة فى مؤتمر الصلح فى باريس .

كان على أندونيسيا بعد أن وجدت أبواب مؤتمر الصلح موصدة أمامها أن تسلك طريق الجهاد ، لتحصل على الحرية والاستقلال ، فظهرت الأحزاب السياسية والجمعيات التى تبنت قضية الاستقلال ، ولعب العلماء المسلمون دورا كبيرا فيها . ومن هذه الأحزاب : حزب (بودى أوتومو) ، وحزب (شركت إسلام) ، والجمعية المحمدية التى تعد من أكبر الجمعيات الإسلامية فى العالم . وكذلك الجمعية العائشية الخاصة بالسيدات ، وجمعية باسواندان ، وحزب جاوة الفتاة ، وحزب الأمراء ، وجمعية نهضة العلماء ، والجمعية الوصلية ، وجمعية اتحاد علماء المسلمين ، وغيرها من الجمعيات والأحزاب التى بلغ عددها ٥٧ جمعية .

وإذا ألقينا نظرة فاحصة على تلك الأحزاب والجمعيات نجد أن الأحزاب الإسلامية تمثل نسبة لها خطرها وقوتها . ومن ثم فطابع الجهاد الإسلامى كان يصبغ كفاح الأندونيسيين من أجل التخلص من الحكم الهولندى ونيل الاستقلال .

إسماعيل ياغى ، محمود شاكر ، العالم الإسلامى الحديث والمعاصر

وقد تبلورت تلك الأحزاب ، وخصوصاً الأحزاب السياسية ، في حزبين رئيسين هما : حزب القمصان الخضراء ، وحزب القمصان الحمراء . وقد اختلفت وسائل الحزبين في تحقيق الاستقلال .

فالحزب الأول ، وهو حزب القمصان الخضراء ، كانت سياسته تهدف إلى التعاون مع السلطات الهولندية الحاكمة للوصول إلى الاستقلال التدريجي . وبناء عليه فقد طالب هذا الحزب الحكومة الهولندية بضرورة الوفاء بتعهداتها بشأن تكوين مجلس نيابي من الأندونيسيين للاشتراك معها في إدارة البلاد .

ولما كان من صالح الهولنديين تقوية هذا الحزب المعتدل ضد الحزب الآخر المتطرف من وجهة نظرهم ، فقد وجدوا ضرورة الاستجابة إلى مطالبه بشكل صوري يرضي الأندونيسيين من ناحية الشكل ، والهولنديين من ناحية الجوهر والموضوع . ولذلك قامت هولندا بإنشاء "مجلس الرعية" الذي يتكون من ستين نائباً ، نصفهم من الأندونيسيين ، والنصف الآخر يشترك فيه الهولنديون بخمسة وعشرين عضواً ، والأعضاء الخمسة الباقون يمثلون مصالح الأجانب المقيمين بأندونيسيا ، وللحكومة الهولندية الحق في تعيين رئيس المجلس ، أما باقي الأعضاء فينتخبهم الشعب بطريق غير مباشر . وهذا يعني أن أغلبية المجلس موالية لهولندا ، هذا فضلاً عن أن المجلس ليس له صفة الشرعية إذ لم تكن الحكومة الأندونيسية مسؤولة أمامه ، ولذا فإن الشعب الأندونيسي قد أنكر فكرة التعاون مع الهولنديين إنكاراً تاماً .

أما الحزب الآخر وهو حزب القمصان الحمراء فكان لا يؤمن بسياسة التعاون مع الحكومة ، ويرى أن هذا الطريق لا يوصل إلى استقلال البلاد ، فالاستقلال الحقيقي لن يتحقق بالتعاون الذي تريده هولندا ولا بالمفاوضات .

وبقيام الثورة الروسية في عام ١٩١٧م أخذت مبادئها تتسرب إلى أندونيسيا ، وتجد صداها لدى أعضاء هذا الحزب (حزب القمصان الحمراء) ، وترتب على ذلك أن كوّن

هذا الحزب حزباً جديداً أطلق عليه اسم (شركت رعيت) أى حزب الجماهير الذى سمى فيما بعد باسم "الحزب الشيوعى الأندونيسى" والذى أصبح من أقوى الأحزاب السياسية فى أندونيسيا .

كان حزب (شركت إسلام) يشترك مع حزب القمصان الخضراء فى سياسة التعاون مع الحكومة الهولندية ، ظناً منه أن تلك السياسة ستحقق ما تصبو إليه البلاد من استقلال دون إراقة دماء . ولكنه عندما وجد أن تلك التجربة فاشلة ، وأن مجلس الرعية لم يكن سوى أداة تتحكم بواسطتها هولندا فى البلاد ، سحب أعضاءه من المجلس المذكور وقرر الانضواء تحت قيادة حزب الجماهير لتوحيد جهودهما فى مقاومة الاستعمار الهولندى ، وكى لا ينفرد ذلك الحزب فى قيادة الشعب .

وباندماج الحزبين قويت حركة المقاومة للنفوذ الهولندى واشتعلت نار الثورة فى غربى جزيرة جاوة وفى سومطرة الغربية فى عامى ١٩٢٦ - ١٩٢٧م . وكادت تلك الثورة تعصف بما لهولندا من نفوذ فى أندونيسيا لولا تكاتف الشركات الأجنبية ، ومعاونتها للحكومة فى إخماد الثورة خشية ضياع مصالحها فى أندونيسيا . وبذلك تمكنت هولندا من القضاء على الثورة ، ونفت زعماء الحركة البالغ عددهم أربعة آلاف ثائر من صفوة المثقفين الأندونيسيين إلى غينيا الجديدة (الأرض الحمراء) والتى تكثر بها المستنقعات والأوبئة الفتاكة . وحكمت هولندا بعد ذلك البلاد حكماً مطلقاً وقيدت الحريات واضطهدت المسلمين ، واستمر ذلك الوضع حتى قيام الحرب العالمية الثانية .

وقد نتساءل عن الأسباب التى دفعت حزباً إسلامياً مثل حزب (شركت إسلام) إلى الانضمام إلى الحزب الشيوعى الأندونيسى ، يمكن القول بأن الحكومة الروسية الجديدة قد أعلنت عطفها على الدول الخاضعة للاستعمار الأجنبى وبأنها ضد الاستعمار . وفى الوقت نفسه الذى لم تكن قد انكشفت بعد المبادىء والنوايا الحقيقية للشيوعيين والذين حاولوا إخفاء آرائهم . هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فخطر الاحتلال الهولندى قائم

بالفعل . أما خطر الشيوعيين فى ذلك الوقت فخطر محتمل حسب الرأى القائم يومذاك - لاسيما أن الدولة الشيوعية الجديدة فى ذلك الوقت لم تكن قوة لها خطرها . أما تماثل الحزبين إذن كان اتفاقاً حول هدف واحد محدد ، ألا وهو الاستقلال ، بغض النظر عن نقاط الاختلاف الأخرى بين الحزبين .

ومنذ انتهاء الحرب العالمية الأولى بدأت حالة هولندا الاقتصادية تسوء نظراً لانشغالها فى إخضاع ثورة الأندونيسيين ، وفى تعقب نشاط الشيوعيين ، فأهملت التجارة ، وتركتها فى يد الشركات الأجنبية والهولندية ، وتفرغت للحكم والسيطرة وترسيخ قواعد الاحتلال الهولندى فى أندونيسيا .

وخلال فترة ما بين الحربين تعرضت أندونيسيا لأزمة اقتصادية رهيبة نتيجة منافسة الشركات الأجنبية (الأوربية واليابانية والأمريكية) والأزمة العالمية فتعرض الاقتصاد الأندونيسى لضربات شديدة ، وقل الاقبال على شراء المنتجات الزراعية الأندونيسية وتوقفت حركة التبادل التجارى ، وانحط مستوى المعيشة فى أندونيسيا تبعاً لهذا الكساد التجارى ، فزادت البطالة ، وتحكمت الشركات الأجنبية فى تقدير الأجور .

وإزاء تدهور الحالة الإقتصادية فى أندونيسيا ، وانحطاط مستوى المعيشة بين السواد الأعظم من الشعب الأندونيسى أخذ أعضاء مجلس الرعية يضغطون على الحكومة الهولندية للتدخل السريع ، لمعالجة الأزمة قبل أن يستفحل ضررها ويصبح من الصعب إصلاحها . واستجابت الحكومة الهولندية خشية على زعزعة النفوذ الهولندى وانهياره ، فأخذت بسياسة التوجيه الاقتصادى وإفساح المجال أمام النشاط الأهلى ليأخذ نصيبه فى تطوير الاقتصاد الأندونيسى . وكذلك حاولت التدخل لتوزيع دخل البلاد توزيعاً عادلاً إلى حد ما . كما عملت على إدخال بعض الصناعات وحمايتها فى إندونيسيا .

وعلى العموم ، فقد واجهت الصناعات الوطنية عقبات متعددة من أصحاب رؤوس الأموال الأجنبية . فتوقفت بعض الصناعات الناشئة وصمد بعضها الآخر فى وجه

المنافسة والمؤامرات بفضل يقظة الشعب الأندونيسى وتصميمه على كسر الاحتكار الأجنبى فى شؤونهم الاقتصادية ، وتخليص البلاد من السيطرة الأجنبية على اقتصادياتها ، فالشعب الأندونيسى وكذلك الأحزاب الأندونيسية قد وجد فى تشجيع الصناعات الوطنية ومقاطعة البضائع الأجنبية نوعاً من مقاومة التدخل الأجنبى . وهذا يؤكد أن الحركة الوطنية تعمل فى جميع المجالات سياسية واقتصادية واجتماعية .

ولهذا السبب نشأت الأحزاب السياسية ذات البرامج الاقتصادية ، مثل الحزب الأندونيسى الذى أنشأه الدكتور محمد حتا وكيل رئيس الجمهورية الأسبق أحمد سوكارنو . والحزب الوطنى الذى أنشأه أحمد سوكارنو رئيس الجمهورية الأسبق وحزب اتحاد الشعب الأندونيسى الذى أنشأه الدكتور سوتومو . وقد عرف هذا الحزب فيما بعد باسم "حزب أندونيسيا العظمى" وكان له أيضاً برنامج اقتصادى شامل ، فنادى بتكوين بنك وطنى أندونيسى لتحويل المشروعات الاقتصادية الوطنية ، وإيجاد اتحادات ونقابات لمختلف الطوائف للنهوض بمستوى الصناعة والصناع .

ولكن الحكومة الهولندية والشركات الأجنبية وقفت أمام هذه الحركة الوطنية الاقتصادية وأمام التيار الوطنى المتدفق بصفة عامة وقفة صلبة عنيدة ، فعملت على انهيار المشروعات الاقتصادية الوطنية ، وقيدت حرية الصحافة والنشر ، وفرضت رقابة شديدة على الأحزاب السياسية والجمعيات الدينية وحرمت على الأهالى الاشتغال بالسياسة وعدّت ذلك جريمة كافية للزج بمرتكبها فى أعماق السجون أو النفى خارج البلاد ، وطبقت ذلك فعلاً مع أحمد سوكارنو ومحمد حتا وزملائهما من السياسين ، فنفتهم إلى جزر المولوك وغينيا الجديدة ، وظلوا فى المنفى إلى قيام الحرب العالمية الثانية ، كما استخدمت الحكومة الأندونيسية الموالية لهولندا كل الطرق التعسفية للقضاء على الحركة الوطنية .

ويرجع اهتمام هولندا والشركات الأوربية بأندونيسيا لأهميتها في الاقتصاد الهولندي والأوربي ، إذ أن الأموال المستثمرة في أندونيسيا بلغت عام ١٩٣٧م مبلغ ٣٧٠ مليون جنيه منها ٢٥٠ مليونا لهولندا و٥٠ مليونا لبريطانيا و٢٤ مليونا لأمريكا ، وقد زادت رؤوس الأموال هذه زيادة كبيرة وحققت أرباحاً كبيرة على حساب الشعب الأندونيسي الذي لم يحصل على شيء من هذه الأرباح . وأن نظرة فاحصة للدخل الأندونيسي تكفي لمعرفة الغبن الواقع على الأندونيسيين . فالأندونيسيون البالغة نسبتهم ٩٧,٥٪ من عدد السكان لا يتجاوز ما يحصلون عليه من دخل البلاد ١٢,٥٪ . بينما نجد أن الهولنديين الذين لا تتجاوز نسبتهم ٠,٥٪ من عدد السكان يتجاوز دخلهم ٦٥٪ من هذا الدخل . ويحصل الأجانب ونسبتهم ٣٪ على دخل نسبته ٢٢,٥٪ .

وعندما بدأت نذر الحرب العالمية الثانية تظهر في الأفق ، أخذ الهولنديون يخففون من غلوائهم ، وينادون بمبدأ التعاون بينهم وبين الأندونيسيين ، لما فيه مصلحة الطرفين . وقد اشتدت المطالبة بهذا التعاون بعد أن وقعت هولندا في قبضة الاحتلال الألماني في عام ١٩٤٠م . واستغل الأندونيسيون حاجة هولندا إلى معاونتهم في المطالبة بمنحهم دستوراً حقيقياً يحقق رغبة الشعب في اشتراكه الفعلي بالحكم ، ولكن هولندا رفضت هذه المطالب . وبينما كانت المفاوضات الأندونيسية الهولندية تتعثر إزاء تمسك الطرفين كل بوجهة نظره ، داهم أندونيسيا الخطر الياباني - وكانت اليابان إحدى دول المحور الذي يتكون منها ومن ألمانيا وإيطاليا - واستولت على أندونيسيا عام ١٩٤٦م ، فوقعت بذلك تحت الاحتلال الياباني .

اندونيسيا من الحرب العالمية الثانية حتى الوقت الحاضر

أ - اندونيسيا فى ظل الاحتلال الياباني :

كان الإنتصار اليابانى فى الهند الشرقية الهولندية واضحاً . وبعد عشرة أيام من نزول القوات اليابانية الأولى فى جاوة ، سلمت الحكومة العامة بدون قيد ولا شرط ، يوم ٩ مارس ١٩٤٢ . ومن الناحية الإقتصادية ، سيجد الأرخبيل نفسه وقد انقطعت صلاته بشكل حاد مع الوطن الأم ، وخضع لضرورات المجهود الحربى (إلغاء زراعة المنتجات الإستعمارية ، ومصادرة الأرز ، وزيادة زراعة الصويا ، والزراعة الإجبارية للقطن) . وعلى المستوى الذهنى كان فى وسع الصدمة أن تكون أكثر عنفاً ، خاصة وأن هيبة السلطات الهولندية ، التى كانت قد رفضت تسليح الإندونسيين وإشراكهم فى عملية الدفاع ، قد إنهارت فجأة ، ومنع إستخدام اللغة الهولندية ، وتم تجميع سادة الأمس فى معسكرات إعتقال . وفى نفس الوقت ، وفى طريق موازى ، حاول اليابانيون أن يكسبوا ود الأهالى ، وبخاصة الأوساط الإسلامية ؛ فقاموا منذ الأيام الأولى بتحرير الزعيم الوطنى سوكارنو (الذى كان منفياً فى سومطرة) ونظموا فى جاكارتا (التى لن تسمى بتافيا بعد ذلك) مركزاً للسلطة الشعبية .

ورغم أنهم كانوا قد أحسنوا إستقبال اليابانيين ، إلا أن هؤلاء "الإخوة الكبار" اليابانيون لن يتأخروا كثيراً عن أن يفقدوا جزءاً من الشعب . فلكى يساعدوا على وضع إقتصاد حرب ، أدخلوا نظام العمل الإجبارى ونقلوا عدداً من سكان جاوة صوب جزر أخرى ، وحتى إلى بورما ، وحيث كانت ظروف المعيشة أقل من البؤس (حتى أن القليل من بينهم تمكن من العودة إلى بلاده) ، وكانوا مصممين من ناحية أخرى على الإحتفاظ بالهيمنة وراقبوا عن قرب كل نشاط يمكن أن يكون له مظهر سياسى (أعمال الشرطة السرية) . فبدأت مقاومة سرية فى تنظيم نفسها شيئاً فشيئاً (تحت قيادة سلطان

سيأهرير) . ومع تزايد إنتصارات الحلفاء أظهر اليابانيون إستعداداً أكبر لإعطاء تنازلات . وعمل هام ، أنهم قاموا في شهر سبتمبر ١٩٤٣ بالبدء في إنشاء الفرق الأولى من المتطوعين الإندونسيين ؛ وهؤلاء الجنود الذين سموا "قوة المدافعين عن البلاد" حصلوا على تدريب عسكري على مستوى عالٍ ، وسيشكلون نواة الجيش الإندونيسي في المستقبل ، والذي سيلعب بعد ذلك دوراً في غاية الأهمية (قامت بعض عناصر من قوة الدفاع هذه بثورة ضد اليابانيين في جاوة الشرقية في شهر فبراير ١٩٤٥) .

وحين أصبحت هزيمة قوات المحور واضحة ، وعدت القيادة اليابانية بإعطاء الإستقلال في وقت قريب . وجاء بعد ذلك بأيام تسليم اليابان ، فأعلن سوكارنو الإستقلال في ١٧ أغسطس ١٩٤٥ ، ومنذ اليوم التالي قاموا بوضع أول دستور ، عرف فيما بعد "بدستور ٤٥" . وأختاروا سوكارنو رئيساً ، ومحمد حطا كنائب للرئيس .

ب - الحرب ضد هولندا (١٩٤٥ - ١٩٤٩) :

لمدة شهر ونصف شهر حاول الإندونيسيون ، الذين تحرروا من الحكم الياباني مع الهدنة ، أن ينظموا أنفسهم ، وفي نفس الوقت الذي فكرت فيه هولندا ، والتي تحررت كذلك من حكم النازي ، وبطريقة جادة في أن تعود لحكم مستعمرتها السابقة . وفي يوم ٢٩ سبتمبر ، نزلت الفرق الأولى من قوات الحلفاء (الأنجلو هندية) في جاوة وسيطرت على المدن الرئيسية ، رغم وقوع مقاومة عنيفة ، وبخاصة في سورابايا وسرعان ما جاء الهولنديون لكي يحلوا محلهم وحاولوا أن يفرضوا وجودهم مرة بواسطة المفاوضات ، ومرة أخرى بواسطة القوة ومع ذلك فإن كل من الولايات المتحدة ، واستراليا لم تكن تأمل في إعادة تكوين إمبراطورية بنافيا في هذه المنطقة من العالم ، وعلى المستوى الدولي ، ولذلك فإنه سيكون في وسع الجمهوريين الإندونيسيين أن يعتمدوا على تأييدهما .

ونجح الهولنديون في أول الأمر في مالينو (قرب مكسر ، في جزيرة سيليبيس)

حيث اجتمع ممثلون عن الجزر الشرقية من الأرخبيل ، وجعلهم الهولنديون يوافقون على إنشاء "دولة إندونيسيا الشرقية" ، الخاضعة تماماً لنفوذ الهولنديين ، فى شهر يوليو ١٩٤٦ . واعتقد الهولنديون بأنهم عزلوا بهذه الطريقة الجمهوريين فى جاوة ، وفرضوا عليهم ، فى مؤتمر لينجادياتى مشروع "إتحاد هولندى إندونيسي" يحتفظ لهم بمصالحهم الإقتصادية ، وذلك فى شهر نوفمبر ١٩٤٦ ؛ ولكن هذه الإتفاقية لن تنفذ ، وبدأت العمليات الحربية منذ بداية عام ١٩٤٧ . وفى شهر يوليو ، تمكنت القوات الهولندية من ضمان السيطرة على ساحل جاوة ، وبلاد ميدان الداخلية ، وهى العملية التى أسموها "عملية الشرطة الأولي" . وعندئذ تدخلت هيئة الأمم المتحدة لكى تفرض وقف إطلاق النار ، وبدأت المفاوضات ، وهذه المرة على سفينة حربية أمريكية راسية فى ميناء جاكارتا ، ووصلوا فيها إلى حل وسط جديد ، وإن كان هو الآخر لن ينفذ .

وفى أثناء ذلك الوقت إزداد الموقف الإقتصادى تدهوراً ، وبخاصة فى جاوة ، وحيث تمكن الهولنديون بسهولة من محاصرة أراضى الجمهوريين (وحيث كانت الحكومة فى ديوجاكارتا ، فى جاوة الوسطي) ، وحيث أصبح اللاجئون العديدون مهددين بالمجاعة ، وبعمليات السلب . وفى ذلك الوقت نشبت ، وفى ظروف لا زالت غير واضحة ، ثورة مديون الشيوعية ، وكانت بقيادة موسو ، الذى عاد من موسكو ، وكذلك شاريف الدين الذى إتهم حكومة سوكارنو بإنتهاج سياسة الحلول الوسط فى شهر سبتمبر ١٩٤٨ ؛ وفى خلال بضعة أيام ، تحولت حرب الإستقلال إلى حرب إجتماعية ، وتمكن الشيوعيون من تسجيل بعض الإنتصارات فى الوسط وفى شرق جاوة . ولكن وزارة هطا عملت بسرعة وتم صعق الحركة بإحدى الفرق الخاصة ، وإعتقد الهولنديون أن الوقت مناسب ، فقاموا "بعملية الشرطة الثانية" ، والتى تمكنوا فيها من إحتلال ديو جاكارتا وأسر سوكارنو ، وهطا والكثيرين من الوزراء .

وأعتقد الهولنديون أنهم قد تمكنوا من السيطرة على الموقف ، فقاموا بتنظيم نظام فيديرالى ، وحيث تظهر السلطة ، ظاهرياً ، إنها فى أيدى بعض الأعيان الاندونسيين .

ومع ذلك ، فإن المقاومة السلبية للأهالى ، والمقاومة المسلحة للعصابات ، وبخاصة التأييد المعنوى للولايات المتحدة ، ولهيئة الأمم المتحدة ، ساعدت على إنقلاب الموقف تماما فى خلال بضعة أشهر . وفى شهر أغسطس ١٩٤٩ ، تم عقد مؤتمر المائدة المستديرة فى لاهاى ؛ وتم فى شهر ديسمبر نقل السيادة (إلا فيما يتعلق بإيريان بارات ، والتى تركوا وضعيتها معلقة) . وتم فى ١٥ أغسطس ١٩٥٠ وضع دستور جديد ، وهو يمثل مولد جمهورية متحدة (لا فيديرالية) .

جـ - التجـربة البرلمانيـة (١٩٥٠ - ١٩٥٧) :

كانت الثورة المادية قد إنتهت ؛ ولكن الثورة استمرت . وكانت البلاد قد سادها الفوضى نتيجة لثلاثة أعوام من الوجود اليابانى ؛ وخمسة أعوام من الحرب ؛ فكانت فى حاجة إلى بنايات جديدة . وكان إتساعها نفسه يفرض بعض المشكلات ؛ فكانت ، وقبل غيرها بكثير ، هى الدولة الأكثر إتساعاً ، والأكثر سكاناً فى جنوب شرقى آسيا ، مع ما يقرب من مائة مليون نسمة عند نهاية الحرب ، وكانت هناك إتجاهات "إقليمية" عديدة ، وحتى إتجاهات إنفصالية . وكان من الضرورى أن ينظر كل الاندونسيين إلى المستقبل بطريقة مشابهة ، كما أن الإستقلال سيظهر بعض الإختلافات التى كان الكفاح الوطنى قد جعلهم ينسونها حتى ذلك الوقت .

أما النظام البرلمانى ، وعلى النمط الغربى ، والذى طبق فى عام ١٩٥٠ فإنه سيساعد على نشأة أحزاب عديدة ، وعلى بلورة أمنيات القوى الإجتماعية الرئيسية الموجودة . فظهرت ثلاث مجموعات كبرى بشكل واضح . فمن ناحية ، وفى اليمين ، كان هناك الحزبان المسلمان المحافظان الكبيران : مسيومى ؛ ونهضة العلماء ، واللذان كانا يجمعان جزءاً كبيراً من الأعيان وملاك الأراضى فى الأرياف ، وكذلك جزءاً من "بورجوازية" المدن ، وكانوا يرغبون فى الدخول فى صراع إقتصادى مع الصينيين ؛ وفى الوسط ، كانت هناك الأحزاب المسيحية (الكاثوليكية والبروتستانتية) والتى كانت تجمع جزءاً

كبيراً من المثقفين ومن سكان المدن ، بما فيهم الكثيرين من الصينيين الذين تحولوا إلى المسيحية ، وبنوع خاص الجماهير الهامة للحزب الوطنى الاندونيسى ، الذى كان يجمع أعضاءه بنوع خاص من بين الموظفين ، والفلاحين فى جاوة وفى بالى ، والذى كان يفيد من كل ما كان فى الأصل فى حزب سوكارنو ؛ وأخيراً ، فى اليسار ، الحزب الإشتراكى ، وحزب موريا (وكلاهما ماركسى ، وإن كان قليل العدد) ، وبنوع خاص الحزب الشيوعى الاندونيسى ، الذى تمكن ، بإشراف سكرتيره الجديد آيديت من أن يسترجع قوته بعد ضربة مدبون ، وأخذ فى جمع أعضاءه من بين عمال النقل ، والشحن والتفريغ فى الموانى ، ومستخدمى حقول البترول ، وإنتهى به الأمر إلى السيطرة على إتحاية النقابات الأكثر أهمية . وعلى هامش هذه الأحزاب السياسية ، علينا أن نشير كذلك إلى وجود قوة إجتماعية ، تتزايد أهميتها بإستمرار ، وهى الجيش . ومنذ عام ١٩٥٣ ("حادث ١٧ أكتوبر") حاولت بعض عناصره ، بقيادة الجنرال ناسوثيان أن تدفع رئيس الجمهورية إلى القيام بعملية عنف ضد البرلمان .

وإلى جانب هذه المجموعات المختلفة ، التى توافق من حيث المبدأ على الطريقة البرلمانية ، كانت هناك مجموعات أخرى تفضل إستخدام التمرد ؛ وكانوا يؤيدون بشكل عام الرؤساء الثوريين السابقين ، مثل كارتو سويريو فى جاوة الغربية ، وقهار مذكر فى سيليبيس الجنوبية ، وداوود بسيرا فى أنيه ؛ وكانوا يرفضون السياسة التى تسير عليها جاكارتا ، ويأملون فى السير صوب إتجاه فيديرالى ، ويرغبون فى تطبيق أسس الشريعة الإسلامية دون غيرها . ولقد إصطدموا فى كل مكان بقوات جاكارتا ، التى إنتصرت عليهم . وجاءت الإنتخابات الأولى فى عام ١٩٥٥ لكى تدعم بشكل واضح من موقف أنصار الوحدة الوطنية ، وإن كانت قد أظهرت للمحافظين فى نفس الوقت "خطراً" شيوعياً . فمن ٣٧ مليون صوت ، حصل الحزب الوطنى الاندونيسى على ٨,٥ مليون صوت ؛ وحصل الحزب الشيوعى الاندونيسى على ستة ملايين صوت .

أما فى الخارج فإن إندونيسيا إنتهجت سياسة الحياد الإيجابى . واستضافت فى شهر أبريل ١٩٥٥ ، فى باندونج ، ممثلى تسع وعشرين دولة أفريقية آسيوية ، مثبتة بالذات نيتها على تمثيل يقظة "العالم الثالث" ومن ناحية أخرى تسببت مسألة إيريان بارات ، أو إيريان الغربية ، والتى كانت لا تزال تحت سيطرة الهولنديين فى الوقت الذى كانت إندونيسيا تطالب فيه بحدود الوثى "الهند الهولندية الشرقية السابقة" فى تدهور العلاقات مع هولندا ، وأدخلت سوكارنو فى سياسة "معاداة الإمبريالية" .

د - الديمقراطية الموجهة (١٩٥٧ - ١٩٦٥) :

فى بداية عام ١٩٥٧ قامت مجموعة من الضباط الذين يرغبون فى عرقلة السياسة الموالية للغرب بثورة فى الجزء الشمالى من أقليم سيليبس ، ورفض الوزراء المحافظون ، وكذلك هطا ، نائب الرئيس من جانبهم التعاون مع سوكارنو وقدموا إستقالاتهم ، ودل ذلك على وجود أزمة خطيرة ستمثل منعطفاً واضحاً فى تاريخ الجمهورية الشابة . أما سوكارنو ، الذى كان دائماً متردداً فيما يتعلق بالنظام البرلمانى ، فأنه إنتهز الفرصة لكى يعدل الوزارة ، ولكى يختار بنفسه أعضاء ما يشبه المجلس الإستشارى ، وهو ما سمى "بالديوان الوطنى" . لقد كان ذلك بداية لنظام سلطوى ، أسماه هو نفسه "بالديمقراطية الموجهة" . وصحب هذا التغيير السياسى تغيير إقتصادى أكثر منه أهمية . وكانت إتفاقيات عام ١٩٤٩ قد حافظت تماماً على مصالح الغربيين وبنوع خاص على مصالح الهولنديين فى الأرخبيل ، فجاءت رؤوس الأموال الأجنبية من جديد لكى تستثمر فى عمليات المزارع (٩٦٪ فى عام ١٩٥٤) وأشرفت وسيطرت على مجموع إستثمارات البترول (كالتكس ، ستانفاك ، شل) ، وكان جزء كبير من حركة النقل بين الجزر لايزال فى أيدى إحدى الشركات الهولندية . وفى شهر نوفمبر ١٩٥٧ ، كان سوكارنو قد تضايق من قرار هيئة الأمم المتحدة الذى كان قد رفض الحل الخاص بإيريان ، والذى كانت أندونيسيا تأمل فيه ، وكان سوكارنو فى نفس الوقت يخضع لضغوط من

الوطنيين ومن الشيوعيين ، فقرر الحجز على ممتلكات الهولنديين ، وطرد ٤٠,٠٠٠ شخص . وقام العمال بإعلان حركة إضراب عامة ، وإحتلوا كل المشروعات الأجنبية . وفى يوم ٣٠ نوفمبر ، نجا سوكارنو من محاولة لإغتياله (بالترجيح من إعداد العناصر اليمينية) ، الأمر الذى زاد من إبتعاده عن المحافظين وعن عناصر الجيش .

وخرج سوكارنو بإتجاه جديد يتمثل فى إشتراك القوى الثلاث الكبرى فى البلاد ، وهى الوطنيين ، والدينيين ، والشيوعيين فى عملية بناء الدولة . وكان على هذه القوى الثلاث الإجتماعية الكبرى أن ينسوا خلافاتهم ، ويتعاونوا فيما بينهم . ولكن العناصر المحافظة الإسلامية ، وكذلك جزء من الضباط ، أخذوا موقف الصمت والإنتظار ، وبشكل أجبروا به سوكارنو على أن يعتمد ، وبدرجة متزايدة ، على عناصر الحزب الوطنى الأندونيسى ، والعناصر الشيوعية . ونشبت ثورة عسكرية جديدة فى سومطرة ، واستمرت لفترة طويلة (١٩٥٨ - ١٩٦١) ودون أن تؤدى إلى نتيجة ، وذلك فى الوقت الذى قامت فيه الحكومة فى جاكارتا بتأميم شركات البترول ، والذى قامت فيه ، فى بعض المناطق بتطبيق قانون الإصلاح الزراعى . وجاء تسليم إبريان لأندونيسيا ، والذى تم فى آخر الأمر فى عام ١٩٦٢ ، لكى يخفف من حدة عداء سوكارنو للغرب ؛ وجاء إنشاء إتحاد ماليزيا فى نفس العام لكى ينظروا إليه فى جاكارتا على أنه مناورة من الإتجاه الاستعمارى الجديد لبريطانيا ، الأمر الذى نتج عنه حركة رد فعل عنيفة على المستوى الدبلوماسى ، وكذلك على المستوى العسكرى ، ووصل الحال إلى "مواجهة" عنيفة ، واشتباك بين القوات فى كاليمنتان ، وحتى فى سنغافورة . وأخذ سوكارنو فى مهاجمة الإتجاه الاستعمارى الإمبريالى الجديد ، وقرر إنسحاب إندونسيا من هيئة الأمم المتحدة فى شهر يناير ١٩٦٥ . وتكررت روح باندونج مع الاحتفال فى جاكارتا فى عام ١٩٦٢ بالدورة الرابعة الرياضية للدول الآسيوية ، ثم بألعاب الدول الجديدة الناهضة فى عام ١٩٦٣ ، وأخذوا يعدون من أجل عقد "مؤتمر الدول الناهضة الجديدة" فى عام ١٩٦٥ ، ولكنه لن ينعقد .

والواقع أنه منذ إنسحاب رؤوس الأموال الغربية من جزر الأرخبيل ، بعد عام ١٩٥٧ ، إستمر تدهور الحالة المالية ، وعجزت قريحة الرئيس عن التحكم فى منع تدهور سعر الروبية ، وفى منع الإرتفاع المتزايد فى أسعار الأرز . وزادت الفجوة إتساعاً بين اليمين ، الذى إزداد قلقه وأخذ ينظر إلى الغرب ، والشيوعيين الذين أخذوا ينظرون كل يوم أكثر صوب بكين . وفى ليلة ٣٠ سبتمبر مع أول أكتوبر ١٩٦٥ ، قام الكولونيل أونتونج بمحاولة لإنقلاب عسكرى فى جاكارتا ، وتم قتل ستة جنرالات . ومن اليوم التالى ، سيطر الجنرال سوهارتو على الموقف ، وإن كانت هذه الأحداث تدل على بداية حرب إجتماعية ستقلب الأوضاع فى الأرخبيل لمدة عدة أشهر .

هـ - "النظام الجديد" (منذ ١٩٦٥) :

مهما كان الدور الرئيسى الذى لعبه الشيوعيون فى عملية "الإنقلاب" ، وهو لا يزال مسألة خاضعة للنقاش ، فسرعان ما ظهر أنهم هم الذين دفعوا ثمنه . فلقد منع حزبهم وألغى ، كما أنهم قاموا بذبحهم وإغتيالهم ، وبخاصة فى جاوة وفى بالى ، وذلك بواسطة خصومهم السياسيين . ويمكننا أن نتحدث هنا عن بضع مئات من الآلاف من الضحايا . وفى الأرياف ، ورغم أن هذا الحل قضى على بعض التوتر ، وحرر بعض قطع من الأرض ، إلا أنه ترك حزازات عميقة فى النفوس . أما فى المدن فقد كان هذا يمثل إنتصاراً للجيش ، ولمجموعة من النخبة عند المسلمين ، وعلى حساب غالبية الموظفين فى الحزب الوطنى والتجار الصينيين .

وأبعد سوكارنو شيئاً فشيئاً ، ثم توفى فى عام ١٩٧٠ . وأخذ مكانه الجنرال سوهارتو ، وعين نفسه رئيساً للجمهورية . وهذا "النظام الجديد" أنهى عملية "المواجهة" مع ماليزيا . وطلب عودة إندونيسيا إلى هيئة الأمم المتحدة ، وقطع علاقاته مع بكين وحصل سريعاً على رعاية الغربيين . وأشرف هؤلاء الآخرون على الديون الضخمة للحكومة السابقة ، وفكروا فى الاستثمار من جديد ، وحتى فى إستعادة بعض

المشروعات المصادرة فى عام ١٩٥٧ . وأعطيت إمتيازات ضخمة فى قطاعات البترول ، والغابات ، والمناجم ، فى سومطرة ، وفى جاوة ، وفى سيليبيس ، وفى الشرق ، بواسطة حكومة جاكارتا إلى شركات غالبيتها أمريكية ويابانية . وساعدت هذه العودة المكثفة للمعونة الغربية علاوة على ذلك على تدعيم مركز الروبية وعلى تحسين شبكة المواصلات ، سواء فى الطرق أو الخطوط الجوية . وحين قدرت الحكومة فى عام ١٩٦٩ أن عملية الإستقلال مستمرة ، قامت بوضع خطة خمسية ، وأعلنت عن عمل إنتخابات عامة فى سنة ١٩٧١ . ونجح فى هذه الانتخابات المرشحون الرسميون ، والذين تقدموا على أنهم يمثلون "مجموعات مهنية" وإلى حد كبير على مرشحى الأحزاب السابقة ، وأكد هذا النجاح سيطرة الحكومة على البلاد .

وأدت عملية الحقن برؤوس الأموال الأجنبية من جديد إلى إنعاش بعض قطاعات الإقتصاد ، وساعدت على تكوين طبقة متوسطة ، وغيرت وبشكل أساسى الشكل العام للمدن ، سواء فى العاصمة أو فى غيرها من المدن الكبرى . ومع ذلك ففى الريف ، لم يؤدى تطبيق بعض المشروعات الكبرى ، وبخاصة مشروع تحسين زراعة الأرز ، إلى الإرتفاع بالمستوى كثيراً عما كان عليه الإنتاج التقليدى . أما ظروف الحياة فإنها لاتزال فى غالب الأحيان ضعيفة ، ولاتزال المجاعة تهدد الأهالى من وقت لآخر . ولايزال من الصعب تقييم قوة المقاومة الشيوعية "السرية" والتى لايزال الكثيرون من الشخصيات الرسمية تتحدث عن أخطارها .

الفصل الرابع

منطقة جنوب شرق أسيا

أ. د / صلاح أحمد هريدى

منطقة جنوب شرق آسيا :

إن تعبير جنوب شرق آسيا هو تعبير حديث ظهر على وجه التحديد منذ فترة الحرب العالمية الثانية ومنذ ذلك الوقت أصبح يدل بشكل عام على منطقة جغرافية كانت تسمى فيما مضى حسب الأجزاء الداخلة فيها "الهند الصينية"[1] و "جزر التوابل" ، ولا شك فى أن هذا الاشتقاق اللغوى الجديد له دلالته ويدل على نشوء وحدة معينة وأصبح كل شيء يشير وكأن الغرب قد اكتشف حينئذ فقط مجموعة هذه المنطقة والتى كان الصينيون على الأقل ينظرون إليها منذ القرن الخامس عشر وعلى أنها مجموع ، ويعطونها الاسم الدال على ذلك .

ويطلق هذا الاسم بشكل عام على البلاد الواقعة فى المنطقة المحصورة بين الصين والهند ... وهى تضم لاوس وكمبوديا والفيتنام وتايلاند والملايو وإندونيسيا والفلبين .

والعنصر الأساسى الذى يوحد بلدان هذه المنطقة هو أولا وقبل كل شيء المناخ ...

فهذه المنطقة التى تمتد على جانب خط الاستواء تهب عليها الرياح الموسمية ... رياح موسمية محملة بالأمطار ... قادمة من البحر صيفاً ورياح موسمية قادمة من القارة شتاء .

---

(١) استخدمت كلمة الهند الصينية للإشارة إلي هذه البلاد الثلاثة [فيتنام - لاوس - كمبوديا] وقد استخدمت أسماء "تونكين" و "أنام" و "شوشين الصينية" للدلالة علي وسط شمال الفيتنام وجنوب الفيتنام . ويسمي الفيتناميين هذه المقاطعات باسم "باك بو "Bac Bo" وترنج بو "Trung Bo" و نام بو "Nam Bo" أما اسم تونكين Tonkin أى العاصمة الشرقية فقد أطلق علي هانوي في القرن السابع عشر ... ليكمل بصورة مصطنعة سلسلة الأسماء "بكين" العاصمة الشمالية ونانكين [العاصمة الجنوبية] أما اسم شوشين الصينية الذي لا يعرف له أصلاً فقد أطلقه الغربيون في أول الأمر علي وسط الفيتنام أما أسم "أنام" وهو مشتق من الكلمة الصينية "الجنوب المسالم" فقد استخدمها الفرنسيون للدلالة علي المنطقة الوسطي ... وفي كثير من الأحيان على الفيتنام كلها .

وقد استخدمت هذه الأسماء التي أطلقها المستعمرون لا لشيء إلا أنها مألوفة لقراء الإنجليزية .. أكثر من تلك الأسماء الفيتنامية الحقيقية .

وفى دلتا الأنهار حيث نشأت الدول معتمدة على الزراعة القائمة على الرى يتحكم نظام الفصول فى كمية المحصول وأساليب العمل .

واقتصاديات جنوب شرقى آسيا تقوم على زراعة الأرز ... لكن القليلين جداً هم الذين يعلمون - نظراً لتوسطها بين الهند والصين - ونظراً لإنتاجها كميات كبيرة من الذهب والتوابل ... كانت فى العصور القديمة بل وحتى فى العصور الحديثة مركزاً لنشاط اجتماعى وثقافى كبيرين[1] .

وقد تمكنت هذه المنطقة بفضل الثروات التى تجمعت لديها من عمليات التجارة وبفضل ارتفاع مستوى الثقافة فيها من أن تستوعب السيطرة الأجنبية دون أن تفقد روحها القومية ... ومن أن تمنحها آثاراً رائعة تعبر عن العبقرية الخلاقة لإنسان هذه المنطقة .

وأعظم هذه الآثار جميعاً وبلا منازع هى "انجكوروات" فى كمبوديا و "بور وبودور" فى إندونيسيا ... وثمة آثار أخرى عظيمة مثل "برج لاوس" أو مثل "المبنى العظيم" الذى أقامه الفيتناميون فى دالتا النهر الأحمر . وتعتبر منطقة جنوب شرقى آسيا من أقدم المناطق التى استقر فيها الإنسان ، وخير تأكيد لهذه الحقيقة هو اكتشاف جمجمة للإنسان البدائى فى جاوة .

إن المنطقة التى تقوم عليها الآن الأمم الحديثة لكل من فيتنام ولاوس وكمبوديا كانت مهدا لحضارة تمتد جذورها حتى العصر الحجرى . أما الملوك الأسطوريين لفيتنام - الذين كانوا يولدون كما تقول الأسطورة من كيس أسطورى يحتوى على مئات من البيض - فقد أقاموا حكمهم خلال العصر البرونزى .

---

(١) مالكو لم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ١٧ .

وعندما انقشعت الغيوم عن حقائق الماضي بعد اكتشاف وصف للمنطقة كتبة المؤرخون الصينيون منذ ألفى عام ... تبين أنه عند كتابة هذا التاريخ أى منذ ألفى عام كانت منطقة جنوبى شرقى آسيا قد استقرت مكونة حضارة مستقلة تفصل ما بين الهند والصين[1] .

ولقد قامت كل من الهند والصين بغزو شبه جزيرة الهند الصينية فى غزوتين رئيسيتين ... أما الغزوة الصينية فقد كانت حوالى عام ٣٠٠ قبل الميلاد ... حيث قامت أول مملكة فيتنامية فى المنطقة التى توجد فيها الآن فيتنام الجنوبية ... أما الغزوة الأخرى فقد تعرضت لها دولة فونان حيث توجد الآن كمبوديا . وبين هذين العاملين اللذين يحمل كلاهما طابع مدينة آسيوية عريقة نشأت مملكة شابة التى يحتمل أنها بنيت من أصل إندونيسى لكنها كانت متأثرة إلى حد كبيراً بالحضارة الهندية[2] .

والحقيقة أن كل ممالك جنوب شرقى آسيا قد ظلت بشكل أو بأخر تدفع الجزية "للمملكة الوسطي" الصينية التى كانت تعتبر القوة الأساسية فى آسيا كلها .

ولقد استمرت هذه الجزية تدفع سواء كانت الحضارة الصينية هى التى تلعب الدور الرئيسى فى المنطقة أو كانت الحضارة الهندية هى التى تلعب هذا الدور . بل إن مملكة فونان بالرغم من النفوذ الفائق للحضارة الهندية عليها . قد ظلت هى الأخرى تدفع الجزية للصين[3] .

---

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ١٨ .

(٢) نفسه ، ص ١٩ .

(٣) نفسه ، ص ٢٠ .

فيتنـام ، لاوس ، كمبوديـا :

تقع كل من فـيتنام ولاوس وكـمبـوديا فيـما بين خطى العرض و ٨,٣٠ ، ٢٠ , ٢٢ وخطـى الطـول ١٠٢ و ١٠٩ .

والطبيعة الجغرافية لشبه جزيرة الهند الصينية هى التي تحـدد الجغرافية البشرية لهذه البلدان الثلاثة . فالمرتفعات ذات الأشجار الكثيفة كانت ملجأ طبيعياً للجماعات البشرية المتناثرة التى انحدرت من سلالة السكان الأصليين والتى طوردت رويداً رويداً نحو المناطق الجبلية بواسطة جماعة قوية من الغزاة ... وهكذا ينقسم سكان الإقليم ... إلى سكان الجبال وهم يشكلون أقليات قومية في تلك البلدان ... أما دلتا الأنهار ووديانها فقد استقرت فيها الأجناس الأكثر عدداً والتى وصلت إلى هذه المنطقة فى مرحلة تاريخية لاحقة .

وهكذا فإن كل بلد من هذه البلدان الثلاثة ينقسم إلى عالمين ... عالم "أغلبية السكان" ... وعالم ... أو إذا شئنا الدقة - عدة عوالم من الاقليات ومحاولة سد الهوة العميقة التى تفصل بين هذين العالمين تمثل مشكلة ملحة وأساسية فى كل من البلدان الثلاثة ... وترتبط بهذه المشكلة ارتباطا وثيقاً مشكلة إنهاء ذلك الانعدام فى التوازن فى توزيع السكان فهم يزدحمون فى دلتا الأنهار على حين تقل كثافتهم بشكل كبير فى المناطق الجبلية[1] .

أما أنهار شبه الجزيرة فإنها لا تمثل على الإطلاق معبراً نحو داخل البلاد ... ولعل هذه الظاهرة تمثل واحدة من أهم القسمات التى تميز الوضع فى شبه جزيرة الهند الصينية سواء عن الهند أو الصين ... فبالرغم من طول هذه الأنهار ... فنهر الميكونج مثلا أطول بكثير من نهر الجانج وكذلك النهر الأحمر فهو أطول بكثير من نهر يانجس إلا أن هذين

---

(١) مالكو لم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٢١ .

النهرين العظيمين لا يمثلان على الإطلاق سواء فى المجرى الأوسط أو الأعلى لكل منها أى عامل توحيدى بالنسبة لشبه الجزيرة ... على حين كانت دلتا النهر وحدها هى مهد الأمة .

ففى دلتا النهر الأحمر استقرت الأمة الفيتنامية وفى دلتا الميكونج استقرت الأمة الكمبودية .

والحقيقة أن نظريات كثيرة قد ترددت حتى الآن حول الأصل الذى نبع منه الشعب الفيتنامى ... لكن أحدث الاكتشافات التى توصل إليها المؤرخون الفيتناميون أنفسهم تؤكد أن الفيتناميين من اصل إندونيسى وإن اكتشف جماجم عديد من الأجناس مثل "البابوانز" و "الميلانسانز" و "النجريتوس" و "الإندونيسيون" مدفونة فى أماكن متفرقة من شمال الفيتنام ... يؤكد النظرية القائلة بأن شمال الفيتنام - كان منذ أمد طويل جداً - ملتقى لتجمع عديد من الأجناس ... وكانت الغلبة الواضحة فيها للعنصر الإندونيسي[1] .

وفيما بعد وكنتيجة طبيعية للاختلاط بشعب الهان القادم من الشمال فإن الفيتناميين القدامى قد تأثروا أبلغ التأثر بالعناصر الوراثية والحضارية لشعب الهان لكنهم على أية حال لم يذوبوا داخل شعب الهان بل ظلوا شعباً متميزاً له حضارته المتميزة ولغته الخاصة به .

وآياً كان الأمر فإنه من المؤكد أن الشعب الفيتنامى يشكل الآن أكثر من ٨٠٪ من مجموع سكان البلدان الثلاثة . [حوالى ٣٠ مليوناً من مجموع السكان البالغ عددهم ٣٨ مليوناً على حسب إحصاء عام ١٩٦٠م . حيث بلغ عدد سكان هذا القسم من البلاد ١٥,٩ مليون نسمة . أما بالنسبة لتعداد سكان لاوس وكمبوديا فإن هناك تقديرات

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٢١ ، ٢٢ .

متفاوتة تفاوتاً كبيراً لكن الأرقام المقبولة لدى الغالبية تقول أن عدد سكان كمبوديا حواى ٥ ملايين ولاوس حوالى ٣ ملايين] .

وتمثل هذه الحقيقة ركناً أساسيا وضروريا لأية محاولة لفهم الأحداث فى الهند الصينية(١) .

أما اللاوسيون فهم من سلالة جنس التاهى ... الذى هاجر من جنوب الصين منذ قرون عديدة منتشراً فى اتجاهات رئيسية ثلاثة .

"المجموعة الأولى" مملكة سيام ، على حين اتجهت "المجموعة الثانية" شرقاً حيث استقر جزء منها فى فيتنام مكوناً حتى الآن واحدة من أكثر الأقليات القومية أهمية ثم اتجه الجزء الآخر إلى لاوس مكوناً جنساً يمثل فيها الآن أغلبية السكان هو جنس لاولم .

أما أصل سكان كمبوديا ، نجد هناك عدة نظريات منقسمة على نفسها بخصوص ذلك ... فهناك نظرية تقول أن الأسلاف القدامى للكمبوديين قد قدموا من الهند ... وثمة نظرية أخرى تقول : أن الكمبوديين من أصل إندونيسى متأثر بالحضارة الهندية .

ويذكر التاريخ أن أسلاف الكمبوديين الحاليين [الكامير] قد قاموا بانتفاضة فى القرن السابع أدت إلى تحلل مملكة فونان القديمة وإلى تأسيس دولة كامباشا التى أصبحت من أقوى ممالك الهند الصينية فى العصور الوسطى .

والمخطوطات اللاوسية والكمبودية القديمة تنحدر مثلها مثل مخطوطات بورما وسيام من السنسكريتية القديمة . أما بالنسبة للفيتناميين فثمة مخطوط قديم يعود تاريخه إلى أيام شو - لوم عثرت عليه بعض الإرساليات البرتغالية والفرنسية فى القرن السابع عشر وهو يوضح تأثر المخارج الصوتية للغة الفيتنامية بالأسلوب الصينى .

---

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٢٣ .

وبرغم من أن الخريطة الدينية للبلدان الثلاثة معقدة غاية التعقيد إلا أن البوذية تمثل العقيدة السائدة فيها جميعاً ..وفى لاوس وكمبوديا حيث تلعب البوذية فى الحياة القومية للبلدين دوراً أكبر بكثير مما تلعبه فى فيتنام حيث تسود عقيدة "هينايانا" وهى الاتجاه الأقل انتشاراً فى العقيدة البوذية على حين تسود فى فيتنام الماهايانا وهى الاتجاه السائد وسط البوذيين[1] .

١ - فيتنام :

هبات الفلاحين وحروب الفلاحين :

يؤكد المؤرخون أن الفيتناميين قد عاشوا - فيما بعد العصر الأسطورى - أربعة آلاف سنة من الحضارة والمدنية .

لكن التاريخ يذكر أن أول دولة قامت على أرض الفيتنام هى دولة أولارك [٢٨٥ ق.م] لكن هذه الدولة لم تستمر طويلاً إذ سرعان ما ابتلعتها ولاية اسمها "نام فيت" كانت تسيطر على مقاطعتى كوانجس وكوانج الصينيتين ثم ما لبث الفيتنام أن خضعت لحكم أسرة الهان الصينية فى ١١١ ق.م. واستمر احتلال الصين للفيتنام ألف سنة .

ومن خلال هذه العلاقة التى استمرت طوال ألف عام نبعت قسمتان أساسيتان تركتا أثارهما على تاريخ كل من البلدين .

فمن ناحية ... تعلمّ الفيتناميون من الصينين التكتيك الزراعى المتقدم والفكر الكونفشيوسي وأشكال الحكم والنظم الاجتماعية عندهم

ومن ناحية أخرى ... نجد أن الفيتناميين قد حاربوا دون هوادة ضد سيطرة الإقطاعيين الصينيين . حتى الإقطاعيين الفيتناميين التى استندت إلى العون الصينى فى قهرها لشعب

---

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٢٤ .

الفيتنام كانت تحارب هي الأخرى ، وفي نفس الوقت في سبيل الاستقلال عندما حاول الصينيون في فترة ازدهار "المملكة الوسطي" فرض حكمهم المباشر على فيتنام .

وأول هذه الحروب وأكثرها شهرة هي تلك الحروب التي قادتها "الأخوات ترنج" وهن زوجات بعض حكام دلتا النهر الأحمر في سنة ٣٩ وقد انتحرت عقب قمع ثورتهن ... وفي عام ١٩٥٦م عندما زار شواين لاي - رئيس وزراء الصين الشعبية - فيتنام قام بزيارة المعبد المقام في شارع دونج ناهان بهانوي تخليداً لذكرى "الأخوات ترنج" وذلك تعبيراً عن الرابطة بين شعبي البلدين(١) .

وثمة هبات أخرى قوية قامت في القرون الثالث والسادس والثامن ... وهناك أيضاً تلك الهبة التي قادها "نجوكواين" في سنة ١٩٣٩م أثناء المجاعة القاسية التي عمت البلاد في أعقاب سقوط أسرة تانج الصينية ... وقد مكنت هذه الهبة من تكوين دولة فيتنامية مستقلة .

والحقيقة أن هناك سمتين أساسيتين تميزان كل تاريخ هذه الدولة الفيتنامية المستقلة ... هما انتفاضات الفلاحين ومقاومة الاحتلال الأجنبي .

إن الفيتنام الإقطاعية قد استعارت الكثير من الصين ... واستعارت ضمن ما استعارت بذور التناقضات والتحلل الحتمي التي كانت تسود النظام الاجتماعي للصين الإقطاعية .

وكثيراً ما يثور السؤال التالي ... لماذا كانت جماهير الفلاحين في الفيتنام على استعداد دائما لحمل السلاح والثورة ؟ والإجابة على هذا السؤال أن الفيتنام مثلها مثل كل البلاد الأخرى كانت توجد بها طبقة من المحافظين ... وطبقة من الرجال المعدمين ... والرجال المستعدين لعمل أي شيء ... إن تنظيم القرية الفيتنامية يؤدي إلى وجود جموع

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٢٤ ، ٢٥ .

يطحنها الاستغلال ... يطحنها نظام المشاركة الذى لا يقدم لها أية فائدة سوى مجرد أن تحيا ... لكى توفى بالتزاماتها تجاه السيد المالك ومثل هذه الجموع المعدمة تمثل احتياطيا هائلا للبروليتاريا وهى متحمسة تماماً للنضال من أجل ظروف أفضل ... وهى مستعدة تماما للمخاطرة بأى شيء ... فليس لديها أى شيء تخشى أن تفقده ...

لقد كانت جموع الفلاحين هى المحرك الحقيقى للتاريخ الفيتنامى ... فهى كانت تساق إلى الموت جموعا كلما ساءت حالة المحصول ... ولم يكن أمامها سوى أن تندفع قدما فى الطريق الوحيد المفتوح أمامها وهو طريق الهبة المسلحة .

ومن صفوف الفلاحين خرج هؤلاء الجنود الذين خاضوا من أجل استقلال الفيتنام وضد العدوان الأجنبى عديدا من المعارك البطولية .

ولعل أكثر الحروب التى قامت فى عصر الإقطاع شهرة ... هى تلك الحروب التى اشتعلت فى الربع الأخير من القرن الحادى عشر تحت قيادة "لاى تونج كيت" ضد أسرة سانج الصينية والحرب المظفرة التى قادها القائد الفيتنامى العظيم "تران هانج دا" فى نهايات القرن الثالث عشر ضد الزحف المغولى المروع بقيادة "قبلاى خان" والحرب التى شنها الفيتناميون فى بداية القرن الخامس عشر تحت قيادة "لى ليو" ضد أسرة مينج وكذلك النصر المظفر الذى حققه الإمبراطور الفيتنامى "كوانج ترنج" فى القرن الثامن عشر ضد أسرة شينج الصينية [المانشو] .

وكان "ترونج شينية" على صواب تماما عندما كتب فى عام ١٩٤٧م ... وبعد عام واحد من حرب المقاومة يقول :

"أن هذه المقاومة قد زادت من هيبتنا فى أعين العالم ... وهى استمرار متطور للتقاليد النضالية لآبائنا الذين أظهروا براعة فائقة فى التكتيك والاستراتيجية وفى سرعة الحركة وقوة توجيه الضربات" .

وتحت قيادة البطل الوطنى الرئيس "هوشى منه" نواصل استلهام دروس تاريخنا وتاريخ غيرنا من البلدان ... لسوف نحول الهزيمة إلى نصر"[١] .

وهكذا فإن لجوء الفلاحين إلى حرب العصابات قد ظل طوال ألفين عام من العلامات المميزة لتاريخ فيتنام .

ويبدو أن الجنرال "ليكرك" رئيس البعثة الفرنسية والذى قاد القواد الفرنسية العائدة إلى شمال فيتنام فى أعقاب اتفاقية ٦ مارس ١٩٤٦م يبدو أن هذا الجنرال كان يتمتع بحاسة تاريخية لم يكن يتمتع بها هؤلاء المسئولون عن رسم السياسة الفرنسية فى حرب الهند الصينية ... ولا هؤلاء الذين يخططون سياسة البنتاجون أو حلف جنوب شرقى آسيا .

فقد كتب الدبلوماسى الفرنسى "جين سانتني" عن ليكرك يقول :

"لقد أدرك على الفور حقيقة الخطر الذى تشكله هذه الحكومة الفيتنامية التى أخلت هانوى كى تشن من جديد حرب المقاومة ضد الاحتلال الفرنسى من قاعدة بعيدة أقاموها فى مكان ما وسط المناطق الجبلية" .

"أن قوات هوشى منه تستند إلى تراث ألفى سنة من النضال ... أليس هذا كافياً للانتصار" .

ولقد شهدت القرون التى تلت تأسيس الدولة المستقلة لفيتنام المستقلة بواسطة "نيجو كواين" تطوراً هائلاً فى شتى المجالات[٢] .

فبالرغم من الحروب وتعرض البلاد للغزو ... وهبات الفلاحين المتلاحقة فقد أمكن

---

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٢٦ ، ٢٧.

(٢) نفسه ، ص ٢٧.

للحضارة العظيمة التى نشأت فى دلتا النهر الأحمر أن تشق القنوات ومجارى المياه وأن تمهد وتصلح كثيرا من الأراضى ... وفوق كل ذلك أمكنها أن تندفع بهذه الحضارة نحو جنوب الفيتنام ... ولم ينته ذلك ... الزحف نحو الجنوب الذى يعتبر فى حد ذاته إحدى السمات المميزة لتاريخ الفيتنام الموحدة .

وقد بلغ مجتمع فيتنام الإقطاعية قمة تطوره خلال فترة حكم الإمبراطور "لى ثام تونج" فى القرن الثامن عشر . وقد كتب المؤرخ الفرنسى "ج . شيزنو" فى الوقت الذى كانت فيه إنجلترا تعانى من حروب الوردتين الوحشية وكانت فيتنام فى ظل إمبراطورية "لي" الأول تعيش بعيداً عن البربرية .

وبفضل جهود "شو - توم" ، شهد القرن الثالث عشر ظهور اللغة الفيتنامية التى أحرزت تطورا كبيراً خلال حكم "لى ثان تونج" فقد كان هذا الإمبراطور مغرما بالأدب وإحاطة نفسه "بأكاديمية من ٢٨ شاعراً" يمثلون ألمع شعراء بلاطه ... ويبدأ الأدب لأول مرة يعكس تفاصيل الحياة اليومية للناس وخاصة فى القصص التى كتبها "شو - توم"[(١)] . ولكن هذا الازدهار الذى عاش فيه البلاط الإمبراطورى قد أدى أيضاً إلى تدعيم العلاقات الاجتماعية الإقطاعية فى البلاد ، تلك العلاقات التى كانت قد اهتزت تحت ضربات حرب التحرير التى شنت ضد أسرة مينج ، فبعد الحرب توصلت الطبقة الحاكمة إلى تجريد الفلاحين من أراضيهم بل إنها دعمت علاقاتها مع أعداء الأمس ... فالإمبراطور لى ليو أول أباطرة أسرة لى ... والذى قهر جيوش أسرة مينج ، ما لبث أن أرسل ضمن أول جزية سنوية أرسلتها فيتنام المستقلة إلى الصين تمثالين ضخمين من الذهب الخالص للقائدين الصينيين اللذين قتلا خلال الحرب .

---

(١) مالكو لم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٢٨ .

ولم يكن فلاحوا الفيتنام وحدهم هم الذين أحسوا بأهمية استرداد الإقطاعية لأنفاسهم . ففيتنام كانت قد برزت في ذلك الحين كدولة قوية في جنوب شرقي آسيا وقد تميزت فترة حكم "لي ثان تونج" [١٤٦٠ - ١٤٩٧م] بتعطش شديد للتوسع جنوباً . فانتقم الفيتناميون للهجمات المستمرة التي طالما شنها الشامبا ضدهم ... ووسعت فيتنام من رقعتها حتى امتدت فشملت المنطقة التي تكون الآن جنوب فيتنام الوسطى وتوسعوا غربا موجهين حملاتهم ضد لاوس ... حتى أعلن حكامها خضوعهم لفيتنام[1] .

لكن نهوض فيتنام تحت حكم أباطرة أسرة "لي" في تبعة انقسام مروع في القرن ١٦ والقرنين التاليين له أدى إلى استنزاف قوى جماهير الفلاحين وأدى أيضاً إلى تدهور حقيقي في تطور الأمة . فالمنافسة بين إمارة ماك وأسرة ترينة قد أدت إلى مصادمات دموية متتالية بين أسرة ترينة في الشمال وبين نيجوين في الجنوب استمرت طوال القرنين السابع عشر والثامن عشر .

ولقد كان هذا الصدام بين أسرتي ترينة ونيجوين هو أول صدام في تاريخ العلاقات بين شمال وجنوب فيتنام .

لقد انحدرت أسرة نيجوين من سلالة حكام مقاطعة "بيجوين هوانج" المكروهين وكونوا لأنفسهم ولاية مستقلة جنوبي وسط فيتنام ومن هذا الموقع شنوا حربهم ضد أسرة ترينة الحاكمة في هانوي والتي كانت تتمسك بأنها الوريث الشرعي لعرش أسرة لي ... كما أن أسرة نيجوين قد واصلت لعدة قرون الزحف نحو الجنوب[2] .

لكن الوحدة عادت من جديد ووضع حد للخلاف بين أسرتي نيجوين وترينة في نهايات القرن ١٨ كنتيجة لانتفاضة تاي سون الشهيرة .

---

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٢٩ ، ٣٠ .

(٢) نفسه ، ص ٢٩ .

ولقد كانت حركة تاي سون (وقد سميت كذلك تبعاً لاسم المنطقة التى بدأت فيها الحركة فكلمة تاى سون تعنى الجبال القريبة) بالفعل أعظم انتفاضات الفلاحين فى كل تاريخ العصر الإقطاعى فى فيتنام وقد قاد هذه الحركة ثلاثة من الأخوة وقد تميزت بسمة جديدة تماماً على حركات الفلاحين فى فيتنام فقد أيدتها جماعات التجار التى كانت تنمو فى ذلك الحين فى أعماق المجتمع الفيتنامى والتى وجدت أن مصالحها تضرب بشدة نتيجة للقيود القاسية التى فرضتها السلطات الإقطاعية على النشاط التجارى .

ولقد كان للعامل الجديد أهمية تاريخية قصوى وخاصة فى تفسير الحجج الاستعمارية التى تدعى أن المجتمعات الإقطاعية فى آسيا كانت قد تجمدت مكانها ومن ثم فقد كان ضرورياً إحداث دفعة بواسطة الرأسمال الغربى حتى يمكن لهذه المجتمعات ، أن تتطور من جديد ... أن مثل هذه الادعاءات لا تصمد مطلقاً أمام حقائق التاريخ الفيتنامى .

والذى لاشك فيه أن هذه الحقبة التى شهدت انبثاق قوى اجتماعية جديدة قد أنجبت أعظم مدارس الشعر الفيتنامى .

أما نجوين دى [١٧٦٥ - ١٨٢٠م] قد ألف كتاباً كلاسيكياً لا يزال كثير من الفيتناميين المعاصرين يحفظون صفحات عديدة منه عن ظهر قلب . والحقيقة أن كتاب "كيم فان كيو" يعتبر مرآة صادقة للمجتمع الإقطاعي الفيتنامى وللأحوال اللاإنسانية التى كانت تسوده أما أعمال الشاعرة "هوكسوان هونج" فهى تفصح بشكل واضح تماماً عن روح متحررة وإنسانية ومعادية للإقطاع(١) .

لقد انتصرت هبة تاى سون مكتسحة أمامها كلا من أسرتى نجوين وترينة ومن ثم

(١) مالكو لم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٣٨ .

تمكنت من تأسيس دولة فيتنامية جديدة ثم ما لبث هذا النصر أن توج بانتصار جديد فى ١٧٨٩م ضد القوات المعتدية القادمة من الصين الإقطاعية بناء على استدعاء أسرة ترينة بأمل مساعدتها فى سحق هبة تاى سون ... ويمثل هذا النصر قمة عظمة الإمبراطور "كوانج ترنج" ... أصغر وأمهر الأخوة الذين قادوا الثورة .

لكن أسرة تاى سون لم تعمر طويلاً فى الحكم فما لبث "نجوين آمه" الحاكم الإقطاعى للجنوب أن أشعل الحرب ضدها بإيعاز ومساندة القس الفرنسى "بيجنودى بامنى" واستمر القتال سجالا حتى عام ١٨٠٢م عندما انتهت باستيلاء الجنوب على هانوى ايذاناً بسيطرة أسرة نجوين على حكم البلاد كلها .

تلك الأسرة التى كانت تحظى منذ البداية بمساندة الأوربيين وهكذا انحدر آخر ملوك الفيتنام إلى التفريط تدريجياً فى استقلال البلاد .

أما آخرهم فقد سار إلى نهاية الشوط المحزن والمخزى إنه الإمبراطور باوداي[1] .

إن تاريخ الفيتنام هو تاريخ شعب ذى شخصية متميزة تماماً ... شعب تمكن على الرغم من أن النفوذ القوى الذى فرضته جارته القوية الضخمة ... تمكن من أن يستفيد من هذا الاتصال لينمى ثقافته الخاصة وطريقته الخاصة فى الحياة ... وأن نجاح الفيتناميين منذ أكثر من ٨٠٠ سنة فى خلق لغة مكتوبة لهم مستوحاة من الحروف الصينية ليؤكد هذه الحقيقة .

إن تاريخ الفيتنام يؤكد أن النضال من أجل الاستقلال وضد العدوان الأجنبى ظل طوال قرون عديدة المنبع الرئيسى للفخر والمجد فى أعين الفيتناميين .

بل إن عديداً من أبطال النضال من أجل الاستقلال قد أصبحوا فى أعين الفيتناميين

---

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٣١ .

فى مستوى القديسين ، والتقديس الذى تحاط به ذكرى بطل مثل "ترانج هونج واو" هو خير مثال على ذلك إنهم يقدسون ذكرى أبطالهم ... كما يقدس الإنجليز ذكرى "هارولد" والأمريكيون ذكرى واشنطون والأستراليون ذكرى "بيترلالور" .

ومنذ ستمائة عام أعلن الإمبراطور "لى لوا" لقد أسس شعبنا منذ أمد طويل وطناً مستقلاً له حضارته الخاصة - إن لنا جبالنا الخاصة بنا وأنهارنا الخاصة بنا ... وعاداتنا وتقاليدنا الخاصة بنا ... وكل هذه تختلف عن تلك التى لدى هؤلاء الأجانب الموجودين فى الشمال ... لقد عانينا من الضعف فى بعض الأحيان لكننا لم نعان مطلقاً من أى نقص فى البطولة[1] .

وبدون الدخول فى تفاصيل الصورة فإن الإنسان يستطيع أن يتفق على الأقل مع الكاتب الأمريكى "باتنچر" عندما يقول :

"هذا التاريخ الفيتنامى لا يمت بصلة إلى تلك الصورة التى يقدمها الغرب للمستعمرات عندما يصفها بأنها مجرد بلاد بدائية لم تكن قادرة على التقدم بغير حماية وإرشاد الأمم الأكثر تقدماً فى الغرب" .

وإذا كان الفرنسيون قد اخطأوا الحساب فى فيتنام ... فإن الأمريكيين بتصرفاتهم فى فيتنام الجنوبية يثبتون أنهم قد اخطأوا هم أيضاً الحساب .

---

(١) مالكو لم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٣٢ .

٢- كمبوديا :

لقد كان لكمبوديا فى القرن الثانى عشر إمبراطورية عظيمة تشمل بالإضافة إلى أراضيها الحالية جنوب فيتنام والجزء الأكبر من وسط فيتنام.... ولاوس وسيام وبعض جزر الملايو وبورما .

ولقد كانت فترة حكم ملوك "انجور " هى فترة العظمة الحقيقية لهذه الإمبراطورية . واسم "انجكور " مشتق من اسم العاصمة التى قامت فى شمال البلاد على الضفة الغربية للبحيرة العظيمة.

وإذا كان سكان هذه المنطقة قد عاشوا فى الفترة السابقة ضمن مجموعة الشعوب القديمة التى تسلطت عليها مملكة فونان القديمة فإنه من المعتقد أن الكمبوديين قد كانوا لفترة من الزمن تابعين لجاوة .ولكن فترة التبعية هذه لم تستمر طويلا فما لبثت أن قامت مملكة انجور وكان أول ملوكها "جايا فارمان " الذى حكم البلاد من ٨٠٨ إلى ٨٦٩ .

وكان " جايا فارمان " هو الذى قرر أن يقدس الملك الكمبودى كما يقدس الإله .

والحقيقة أن تاريخ ملوك انجكور هو تاريخ سلسلة متتابعة من الحروب ضد مملكة الشامبا التى كانت قائمة فى ذلك الحين فى جنوب وسط فيتنام .

وبالرغم من أن هجماتهم قد تركزت أساسا ضد الشامبا إلا أنهم قد حاربوا جيرانهم الآخرين .

ولقد علمتهم هذه الحروب الطويلة كيف يصبحون بناة قلاع عظام ... ومن بناء التحصينات العسكرية فى وقت الحروب تعلموا كيف يبنون فى زمن السلم معابد ضخمة تمجيدا لآلهتهم الهندوكية ... وتخليدا لذكرى أنفسهم كملوك ... وكآلهة فى نفس الوقت .

والحقيقة أن العالم يدين بالعظمة والعبقرية فى الفن المعمارى والتى تجلت فى معبد "انجكوروات " إلى رغبة هؤلاء الملوك فى تمجيد أنفسهم .

ولقد بدأ بناء هذا المعبد العظيم خلال حكم الملك " سيريا فارمان " الثانى [١١١٢- ١١٢٦ م] وهناك المعابد المقدسة التى أقاموها على شكل أبراج والتى وصفها الخبير الفرنسى " هنرى مارشال " قائلا " ما من مكان آخر فى العالم يمكن أن يجد فيه المرء مثل هذه الدقة المتناهية والتناسق الجميل بين استقامة الواجهات وارتفاع القاعدة " .

لكن الكمبوديين لم يبرعوا فحسب فى فن البناء ، فقد تركوا لنا أيضا صوراً ونقوشاً على الحجر تعطينا تفاصيلاً وافية عن الحياة الخاصة والعامة لكمبوديا القديمة[١] .

وعلى سبيل المثال هناك فى " انجكوروات " ممر ذو قيمة تاريخية عظيمة .. وعلى هذا الممر نقوش ورسوم يظهر فيها الملوك وهم [يلقون] خطبهم ... والحياة المنزلية للملكات مع وصيفاتهن وعبيدهن وكتائب الجيش الملكى المظفرة .

... وفى المعبد الأثرى " بايون" الموجود فى بيانا شام نقوش تقدم المزيد من المشاهد العسكرية ... والمعارك البرية والبحرية وفوق هذا كله يشاهد الزائر أمام عينيه صوراً للحياة اليومية للكمبوديين فى السوق ... وفى الشارع وأثناء صيد الحيوانات وصيد الأسماك ... وأثناء العمل فى الحقل .

وكان "جايان فارمان السابع " [١١٦٢ -١٢٠١ م] وهو ابن " سيريا فارمان " الثانى هو الذى وصل بالاهتمام بحركة بناء المعابد إلى قمتها ... فقد كان يبنى معابداً للملوك ... وللناس ... محاولا أن يجعل من كمبوديا " بلداً تكسوها المعابد من أقصاها إلى أدناها " تماما كما حاول الفرنسيون أن يفعلوا بفرنسا منذ بضع مئات من السنين .

وكانت العقبة التى تواجه ملوك كمبوديا هى نهوض تابعيهم السابقين فى سيام . ولم

---

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٣٣ ، ٣٤ .

تكن سيام وحدها هى التى نهضت فإن القرن الثالث عشر لم يأت إلا ويجد أن جميع الشعوب التى كانت خاضعة لكمبوديا قد استقلت واحدة بعد الأخرى[1] .

وبوصول السياميين تم انتقال كمبوديا من الهندوكية إلى البوذية . وهكذا تأسست أسرة " هيناتايان " البوذية فى نهايات القرن الثالث عشر.

وثمة وثيقة تاريخية هامة توضح كل هذه الحقائق ... وهى عبارة عن وصف لزيارة قام بها صينى يدعى " شوتاكوان" إلى مدينة انجكور فى عام ١٢٩٧ .

ولأن انجكور قريبة جدا من سيام فقد ظلت عاصمة للبلاد حتى القرن الرابع عشر أما العاصمة الحالية " بنوم بنيه " فقد تأسست فى عام ١٣٨٩ م .

وكنتيجة لغزو سيامى جديد تم فى نهاية القرن السادس عشر ظلت كمبوديا خاضعة لسيام ولفيتنام طوال بضعة قرون تالية .

ولا يمل الفرنسيون مطلقا من تردد زعمهم أنهم أنقذوا كمبوديا من استعباد جيرانها لها . لكن الشئ المؤكد أن الشعب الكمبودى قد ظل على الدوام قادراً على إظهار بسالته فى النضال ضد المعتدين أيا كانوا ومن أى مكان جاءوا ... وعندما أسسوا نظامهم الحديث كان دفاعهم الباسل من أجل تحقيق الاستقلال فى منتصف القرن العشرين دليلا يوضح أنهم لم ينسوا مطلقا كيف يحافظون بأنفسهم على مصالحهم[2] .

٢- لاوس :

فى سنة ١٣٥٣ م أسس فانجيم ... وهو ابن أحد زعماء قبائل لاوس مملكة " لان اكسانج " المعروفة باسم مملكة المليون فيل ...وأقام فانجيم مملكته فى منطقة " لوانج برابانج " بلاوس . وقد عقد فانجيم زيجة ناجحة ، فقد تزوج من احدى بنات ملك كمبوديا الأمر الذى كفل له أن يقيم علاقات ودية مع جيرانه السياميين والكمبوديين .

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٣٤ .
(٢) نفسه ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

ولقد بلغت هـذه المملكة ذروة قوتها فى القـرن السابع عشـر عندما اكـتملت أراضى لاوس بانتزاعها ولايتى " سارافان" و"شامبا ساك " من كمبوديا .

وفى عام ١٦٤١م أى فى قمة الازدهار العظيم لملوك لاوس أرسل " فان دايمن " حاكم بتافيا الهولندى بعثة إلى فينتيان عاصمة لاوس .

وقـد سجل " جيـريت فان واسـتـهوف " يـوميـاته خـلال هذه الرحلة ... وفى هذه اليوميات يصف واستهوف الرهبان البوذيين المزدحمين فى العاصمة ...قائلا " هنا رهبان كثيرون جدا اكثر من عدد الجنود فى جيش ألمانيا[١] "

وبالرغم من أن لاوس كانت فى أوج عظمـتها فـإنها لم تكن لتقـارن بجارتيها فـيتنام وكمبوديا ، فإن " واستهوف " يلاحظ فى تقريره البالغ الدقة لحياة البلاط الملكى فيها .

وعندمـا حـان وقت التدخل الفـرنسى الغـادر فى شـئـون مملكة المليـون فيل ... فـإن المفاوضات لم تجر مع اللاوسيين أنفسهم وإنما مع المحتلين السياميين .

ومنذ أمد طويل وهذه المنطقة تلفت أنظار الأوربيين ففى سنة ١٥٣٥م وصل البرتغالى "دى فاريا" بأسطوله إلى ميناء فاى فو الفيتنامى ... وعقب احتلال ماكو فى سنة ١٥٥٧م بدأ البرتغاليون يزورون بانتظام موانى فيتنام بالرياح الموسمية .

ولم يتخلف الهولنديون هم الآخرون ... فقد أسسوا وكالة تجارية كبيرة فى "فاى فو" منذ القرن السـابع عشر . وكـانت لهم مؤسسة فى هانوى منذ ١٦٣٧م حتى سنة ١٧٠٠م وهذه التجارة المربحة فى الذهب والحرير والتـوابل اجتذبت مزيدا من الأوربيين فأسست شركة الهند الشرقية الإنجليزية وكالة لها فى هانوى سنة ١٦٧٣م . ومع التجار على نفس السفن جاء المبشرون[٢] .

---

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٣٦ .
(٢) نفسـه ، ص ٣٨ .

فقـد زار "الكسندر دى رودس" وهو أحد الآباء الجوزيـت هذه المنطقة فى ١٦٢٦م - ١٦٢٧م وأسس إرساليات جـزويتية تضم قساوسة برتغـاليين وأسبان فى كل مكان زاره ... ثم مالبث الآباء الفرنسيون أن لحقوا بهم .

وقد أبرز رجال الدين منذ الوهلة الأولى اهتمامهم الفائق بالتجارة ... فقد كتب "دى روس" نفسه أنهـا منطقة غنيـة جداً أرضـها خـصبـة يرويها ٢٤ نهـراً ... وهناك مناجم للذهب وكميات كبيرة جداً من التوابل ويأتى الصينيون إلى هنا ليشتروا الحرير ... الذى يكثر لدرجة أن السكان يصنعون منه شباك الصيد وحبال السفن" .

وهكذا ... ومنذ اليوم الأول ارتبطـت البعثات التـبشيـرية بالتجارة وشكلتـا نوعاً من التعاون فيما بينها .

وفى سنة ١٦٦٠م أسست فعلاً شـركة لتحقيق هذا التعاون وفى عقد تـأسيسها نصت "م ١٣" (أن الهدف الأساسى من تـأسيس هذه الشركة هو فتح الطـريق أمام رجال الدين ... وسوف ينقلون على سفن الشركة هم وخدمهم وأمتـعتهم مجاناً وسيقدم لهم الطعام بالمجان أيضاً) .

وتنص "م ١٤" على (أن كل المجتـمع يأمل أن يسـتـخـدم رجـال الدين نفـوذهم فى البلدان التى سيقيـمون فيها لضمان سلامة التـجارة وأن يعملوا على أن يكفل للوكالات التجارية الحق فى ممارسة البيع والشراء بحرية) .

ولكى يتمكن المبـشرون من تسهـيل نشر عقائدهم عـمدوا إلى كتـابة اللغة الفيتنامية بالحروف اللاتينية بدلاً من النقوش الصينية وكان هذا بلا شك نجاحاً كبيراً [(١)] .

---

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٣٩ .

ولكن الحكام المحليين لم ينظروا بعين الرضا لهذه الكتابة الجديدة التى كان طبيعياً أن تجذب إليها الأنظار بدلاً من تلك الكتابة المعقدة والتى تحتاج إلى وقت طويل لمدارسة نقوشها الصينية العديدة[1] .

لقد أحس هؤلاء الحكام بالخطر من هذه الكتابة الجديدة ... وقد كانوا بعيدى النظر فعلاً ... فعندما أزف موعد الغزو الفرنسى ... استخدم الفرنسيون الفيتناميون الكاثوليك كقاعدة اجتماعية تحمى نظامهم الاستعمارى .

وفى سنة ١٩٥٢م تساءل الكاتب الفرنسى ديفللر ... "ماذا بقى لنا فى الفيتنام؟ ... هل بقى لنا هناك ولو موطىء لقدم ؟ هل بقى لنا الكاثوليك ؟ ولكن الكاثوليكية الفيتنامية لن يكون أمامها سوى الدمار الكامل إذا ما حاولت أن تتساوم مع الإمبريالية الأجنبية مثلما فعلت من قبل فى القرن التاسع عشر" .

لقد فهم ديفللر درساً مازال الأمريكيون أغبى من أن يفهموه ... فهم يحاولون بعد ذلك أن يحكموا فيتنام الجنوبية عن طريق "لنجودين ديم" وهو مسيحى .

والشىء الذى نعرفه هنا ... هو إنه بدون نشاط هؤلاء الغربيين فى الفيتنام فى القرنين ١٧، ١٨ ... لكان غزو فرنسا للفيتنام أكثر صعوبة بكثير .

وفى لاوس وكمبوديا نشط التجار والمبشرون طوال القرنين ١٧، ١٨ ولكن انعدام النظام داخل البلاد ... وقلة عدد السكان والتناقضات التى وقعت بين القوى الأوربية هناك قد خففت من وطأة هذا الضغط بالنسبة لما حدث فى الفيتنام . لكن نفس أساليب القهر بقيت هناك أيضاً .

وقد كتب المؤرخ الفيتنامى "بنجوين فان كوي" ونتيجة لتشجيع عمليات الاستعمار بواسطة حكومة نابليون الثالث وحكومة الجمهورية الثالثة الفرنسية شهدت السنوات

---

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٤٠ .

التى تلت عام ١٨٥٠م أو عام ١٨٥٢م موجات من الأوربيين تدفقت من البر والبحر على الهند الصينية وشهدت نشاطاً استعمارياً متزايداً ... كانت نتيجته المباشرة قيام فرنسا بغزو الهند الصينية(١) .

٤- سـيام :

تأسست محطات تجارية برتغالية في سيام فى القرن السادس عشر ، وفى أوائل القرن السابع عشر كان عدد كبير من اليابانيين على جانب من النشاط سواء فى الحرب أو التجارة . وفى عام ١٦٠٢م أسس الهولنديون محطة تجارية فى بتانى حيث حذا الإنجليز حذوهم وظلوا هناك حتى انسحبوا من سيام فى سنة ١٦٢٣م . ثم حصل الهولنديون على حق احتكار التجارة الأجنبية فى سيام بمقتضى معاهدة تجارية عام ١٦٦٤م . غير أن المؤامرات الفرنسية أفسدت هذه المعاهدة ، وذلك على حين فشلت سفارة فرنسية وحملة حربية فرنسية عام ١٦٨٥م فى إدخال المسيحية والنفوذ الفرنسى .

وقد أدت الحوادث السابقة إلى ثورة شعبية كانت بداية لفتنة حرب أهلية طويلة بدأت منذ عام ١٦٦٧م . وقامت بورما بغزو إقليم ايوثيا عام ١٧٦٧م ، وحلت ذلك الإقليم على قبول السيطرة البورمية حتى أسس "راما الأول" عام ١٧٨٢م الأسرة الملكية الحاكمة فى سيام وعاصمتها بانجكوك وهى الأسرة التى حكمت سنة ١٩٣٩م(٢) .

أسـرة تشـاكـرى :

ويعتبر تدمير ايوثيا على يد البورميين نهاية مملكة سيام القديمة . فبعد سنين طويلة من الحروب طُرد البورميون من الأراضي السامية وتأسست أسرة جديدة تشاكرى وأولهم "راما الأول" ١٧٨٣ - ١٨٠٩م [فرابو ذايود فاتشولالوك] أول الفرع الجديد . وأنهى

---

(١) مالكولم سالمون ، أضواء على الهند الصينية ، ص ٤١ .

(٢) وليم لانجر ، موسوعة تاريخ العالم ، جـ ٤ ، ص ١٤٣٢ ، ١٤٣٣ .

راما الأول آخر الأمر النزاع الطويل مع بورما (١٧٩٣م) وأعاد توطيد إشرافه على الحكام المحليين فى جميع أنحاء البلاد ، كما استولى على جزء من كمبوديا وذلك باقتسامها مع آنام .

وتوالى الملوك على سيام مثل "راما الثانى" [فرابوذالوس فانوبهلاى] (١٨٠٩ - ١٩٢٤م) وراما الثالث [فرانانج كلاو] (١٨٢٤ - ١٨٥١م) وامتاز حكمه بإعادة الاتصال بالدول الغربية ، حيث أبرم معاهدة تجارية مع بريطانيا العظمى فى ٢٠ يونيو ١٨٢٦م . وقد أعقب هذا عقد معاهدة تجارية مماثلة مع الولايات المتحدة الأمريكية فى ٣٠ مارس عام ١٨٣٣م . ولكن كان ينقص الاتفاقيتين الشىء الكثير ، إذ لم ينص فيهما حتى على إقامة التمثيل القنصلى . كما أن كمبوديا وضعت تحت حماية سيام عام ١٨٤٤م .

وأما راما الرابع [فرتشوم كلاو مونجكوت] ١٨٥١ - ١٨٦٨م قام بدراسة نظام الحكم فى الغرب باعتباره راهبا وأخذ فى عملية تمدن سيام . وعقد معاهدة جديدة مع بريطانيا العظمى فى ١٨ أبريل عام ١٨٥٥م ، على غرار المعاهدة الإنجلو - الصينية ففتح أبواب سيام من حيث تعين قناصل مع إدخال نظام عدم خضوع الأجانب لقوانين البلاد المقيمين فيها . والحق فى مزاولة التجارة فى أنحاء المملكة . وأبرمت بعد ذلك معاهدة مماثلة مع الولايات المتحدة ٢٩ مايو عام ١٨٥٦م . ومع فرنسا ١٥ أغسطس عام ١٨٥٦م . ثم مع دول أخرى بعد ذلك . وبسط الفرنسيون الحماية على كمبوديا عام ١٨٦٣م . عندئذ تنازل السياميون عن مطالبهم بعد مفاوضات طويلة[١] .

ويعتبر راما الخامس [فراما تشولالو نكورن] ١٨٦٨ - ١٩١٠ المؤسس الحقيقى لدولة سيام الحديثة . بعدما بلغ سن الرشد عام ١٨٧٣م ، كرس راما نفسه كلية أو كاد لإصلاح

(١) وليم لانجر ، موسوعة تاريخ العالم ، جـ ٦ ، ص ٢٢٦٩ ، ٢٢٧٠ .

نظام الحكم وتحسين الأحوال فى دولته . وألغى النظام الإقطاعى ، والتقليل من الرق حتى تم القضاء عليه ، وأصلح النظام الإدارى [بيروقراطية مركزية] وأصلح نظام البريد ، ونظام المالية والضرائب ، وأعد جيشاً على النظام الحديث ، أدخل التلغراف سنة ١٨٨٣م ، وتم افتتاح أول خط حديدى عام ١٨٩٣م .

الأزمة السياسية مايو - أغسطس عام ١٨٩٣م :

وترجع هذه الأزمة إلى أن فرنسا تقدمت باقتراح عام ١٨٨٥م لتحييد سيام وأدى ذلك إلى ازدياد الاحتكاك والنزاع على الحدود نزاعاً مستمراً ، ثم أفضى إلى الأزمة السياسية . وحاول الفرنسيون فترة طويلة من السنين أن يوسعوا ممتلكاتهم غرباً إلى نهر ميكونج ، ولكن هذه السياسة لم تلق معارضة سيام فحسب ، بل وإنجلترا أيضاً التى كانت ترغب فى إبقاء سيام كحاجز بين بورما وأملاك فرنسا . وأدت المناوشات على الحدود فى ما ـ عام ١٨٩٣م . إلى إرسال سفينتين حربيتين إلى بانكوك فى يوليو . فأطلق السياميون النار عليها فرد الفرنسيون على ذلك بتقديم إنذار شديد اللهجة فى ١٣ يوليو ، ورفضت سيام هذا الإنذار ، ففرض الفرنسيون عندئذ حصاراً (٣١ يوليو) ، أدى إلى حدوث أزمة قصيرة الأمد ولكنها حادة ، بينهم وبين الإنجليز . واضطر السياميون إلى الإذعان وفى نهاية الأمر قبلوا[١] .

وتم عقد معاهدة مع الفرنسيين فى ٢ أكتوبر عام ١٨٩٣م ، تنازل السياميون بمقتضاها عن كل حق لهم فى الأراضى الواقعة شرق نهر ميكونج . كما دفعوا تعويضات مقدارها ثلاثة ملايين من الفرنكات واستمر الفرنسيون فى احتلال شنتايون حتى عام ١٩٠٥م .

وفى ١٥ يناير عام ١٨٩٦م تم اتفاق إنجلترا وفرنسا وأنهى الاحتكاك طويل الأمد بين الدولتين فيما يختص بالمسألة السيامية . واعترف البريطانيون بالمكاسب التى حصلت

---

(١) وليم لانجر ، موسوعة تاريخ العالم ، جـ ١ ، ص ٢٢٧٠ ، ٢٢٧١ .

عليها فرنسا فى عام ١٨٩٣م وتنازلوا عن مطالبهم بإبقاء سيام كحاجز بين بورما والمستعمرات الفرنسية وقد ضمن الجانبان استقلال سيام . وفى نفس الوقت لبى ملك سيام الدعوة لزيارة العواصم الأوربية .

وشهدت الأعوام التالية المعاهدات التى تمت بين فرنسا وسيام وبين إنجلترا وفرنسا بخصوص سيام أيضاً ، حيث تم عقد معاهدة بين فرنسا وسيام فى ١٣ فبراير ١٩٠٤م حلت محل اتفاق عام ١٨٩٣م . وفيها ردت فرنسا شانتابون إلى سيام ، فى حين تنازلت سيام عن باساك وميلوبرية وذلك الجزء من لوانج الذى يقع على الضفة اليمنى (الغربية) من نهر الميكونج وتنازلت سيام أيضاً عن كبرات على الساحل . وفى ٢٢ مارس عام ١٩٠٧م ، اتفقت فرنسا مع سيام على أن ترد لها باتامبونج وسيمراب وسيزوفون على حدود كمبوديا وتأخذ فى مقابل ذلك منطقة كبرات ودانساى . ووافقت فرنسا على تعديل نظام عدم خضوع الأجانب لقوانين البلاد المقيمين فيها وذلك بأن خولت لسيام الحق فى تطبيق قوانينها على الآسيويين الفرنسيين .

وفى ١٨ أبريل عام ١٩٠٧م تم الاتفاق بين إنجلترا وفرنسا ليؤكد استقلال سيام ، ولكنه يحدد مناطق نفوذ كل منهما فالأراضى الواقعة غرب نهر مينام هى منطقة النفوذ البريطانى ، والأراضى التى تقع شرق النهر هى منطقة النفوذ الفرنسى . وتنازلت إنجلترا فى عام ١٩٠٩م عن نظام الامتيازات الأجنبية نظير التنازل عن كيدة ، وكميلاتتان وترنجانو دبدليس لولايات الملايو[1] . أما راما السادس [فاجيرافود] ١٩١٠-١٩٢٥م الذى تلقى تعليمه بإنجلترا استمر فى اتباع سياسة تطبيق النظم الغربية الحديثة : مشروعات رى . تعليم . إصلاح التقويم ، والتقليل من العمل الجبرى .

---

(١) وليم لانجر ، موسوعة تاريخ العالم ، جـ٦ ، ص ٢٢٧١ ، ٢٧٧٢ .

٥ - بـــورمـــا :

منذ العهـود القديمة كـانت بورما خاضـعة للنفوذ الهنـدى . وفى القرن الثالث عشر الميلادى أنشأ الهندوكيون المنتشرون وقتـذاك فى أنحاء البلاد جاليات تجارية على شاطىء تنسرين وعند مصبات الأنهار الكبرى . ونمت هذه الجاليات حتى أصبحت ممالك صغيرة ذات علاقات مع القبائل التبتية البورمية الموجودة فى نهر أروادى .

كانت العـلاقة التـجارية مع الصين أقل أهمـية ، ومع هذا وصلت إلى تشـانج أن عام ٨٠٢م سفارة من إحدى ولايات بورما ، وفى عام ١٠٤٤م استولى "انوراتا" على السلطة الملكية فى مـدينة باجان ، وبفضـل رعايته للبـوذية الهناياتية ، فتـوحها شـمالاً وجنوباً - جعل من هذا المدينـة المركز السيـاسى والدينى والثقافى فى بـورما . وتقدمت لغة بورما المكتوبة ، وترجمت الكتب البوذية المقدسة ، أما المبانى المعمارية فإستلهمت الأنماط المتبعة فى سيلان والهند الجنوبية ، وخلف أنوارتا ملوك صالحون .

وفى عام ١١٠٦م قوبـلت سفارة من بورما فى عـاصمة أسرة سونج فى الصـين كأنها دولة أجنبية تماما . ورفضت بورما دفع الجزية للمغول اعتباراً من سنة ١٢٧١م وما بعدها ، وبسبب اغـارات البورميين على يونان ، وبعـد وفاة "نارايتهـا بات" الذى حكم بورما من عام ١٢٥٤ إلى عام ١٢٨٧م هبطـت جيوش مغوليـة على مدينة باجان ونهبتها وهدمت سلطتها . وأدت غزوة قبائل الشان التى دفعـها المغول نحو الجنوب إلى تقسيم بورما إلى عدد مـن المقاطعـات الصغيـرة وأهمهـا تونجو وبيـجو فى بورمـا الجنوبية وآفا فى وادى اورروادى الأوسط والأسفل[(١)] .

وحدثت بعض الحـوادث فى بورما بعـد وصول عدد قليل من الـرحالة الأوربيين فى القرن الخامس عشـر ومنهم "نيقولا دى كونتى" حوالى ١٤٣٥م . ثم حصـل البرتغاليون

---

(١) وليم لانجر ، موسوعة تاريخ العالم ، جـ ٣ ، ص ٩٣٦ .

على امتيازات تجارية في مرطبان بمقتضى معاهدة عام ١٥١٩م ، عقدوها لهذا الغرض ،
وصار جزء كبير من التجارة الأجنبية في أيدى الأوربيين . واستولى "تابين شويتى"
حاكم تونجو "١٥٣١ - ١٥٥٠م" على بيجو عام ١٥٣٩م ، وتتوج ملكاً على بورما
السفلى عام ١٥٤٢م . واتخذ لنفسه لقب "ملك بورما كلها" بعد أن مد سلطانه شمالاً
إلى بانجان عام ١٥٣٦م . وهاجم بمساعدة مرتزقة من البرتغاليين هجوما غير ناجح كلا
من أراكان في الغرب وسيام في الشرق . أما خليفته "باين نونج" (١٥٥١ - ١٥٨١م)
فقد استولى على آفا ، وهدم مملكة تاى في شينجامى عام ١٥٥٧م في شمال سيام .
وأخضع ايوثيا إخضاعا مؤقتاً عام ١٥٦٣م . ونتيجة لهذه الحروب أخذت الحكومة
المركزية تتدهور[1] .

وتهدمت بيجو عام ١٦٠٠م ، وقسمت بورما إلى عدد من الدول الصغيرة ، وافتتحت
شركة الهند الشرقية الهولندية وشركة الهند الشرقية الإنجليزية مراكز صناعية .

وفي عام ١٧٣٥م وحد "الونج يايا" بورما بتأييد من شركة الهند الشرقية الإنجليزية
برغم معارضة الفرنسيين . واستطاع خليفته الثانى أن يهدم ايوثيا سنة ١٧٦٧م وأن
يخضع سيام موقتاً وأن يحتفظ بساحل تناسيرم في قبضة بورما[2] .

وقامت دولة بورما الحديثة على فتوحات "الونجبايا" ١٧٥٢ - ١٨٦٠، واستطاع
خلفاؤه دفع غزوات الصين (١٧٦٦ - ١٧٦٩) ولكنهم لم يستطيعوا الصمود في سيام
عام ١٧٧١م وقام الملك "بودوبايا" (١٧٨١ - ١٨١٩م) بغزو أراكان عام ١٧٨٤م
واغتصاب أجزاء من الحدود الهندية والصلح مع سيام عام ١٧٩٣م والاستيلاء على
ساحل تناسيرم في نفس العام .

---

(١) وليم لانجر ، موسوعة تاريخ العالم ، جـ ٤ ، ص ١٤٣١ ، ١٤٣٢ .

(٢) نفسه ، ص ١٤٣٢ .

واستمر بعد ذلك "باجيدو" ملكاً (١٨١٩ - ١٨٣٧م) فى التقدم نحو الهند واستولى على مانيبور واسام وغزا كاشار وسرعان ما أدت به سياسة التوسع هذه إلى الاصطدام بشركة الهند الشرقية البريطانية .

الحروب البورمية الأولى (١٨٢٤ - ١٨٢٦م) :

على الرغم من مقاومة بورما العنيفة ، لم يكن باستطاعتها الصمود فى وجه جيش حديث . فاستولى البريطانيون بقيادة سير " ارشيبالد كامبل " على رانجون ، ثم سيام ، وتافوى ، ومرجوى ، ومارتابان وبيجو . وقد فشلت محاولة البورميين استعادة رانجون عام ١٨٢٥ م . تقدم البريطانيون إلى ايرا وادى فى نفس الوقت اكتسحوا أركان . وفى ٢٤ نوفمبر عام ١٨٢٦ م حصل البريطانيون بمقتضى معاهدة يندابو بالقرب من آفا على أسام وأركان وساحل تناسيرم هذا بالإضافة إلى تعويض وتخويلهم الحق فى إرسال مقيم إلى آفا لم يستمر إلا إلى عام ١٨٣٧م .

وفى عهد الملكين " ثارا وادى مين " (١٨٣٧ -١٨٤٦) و" باجان مين " (١٨٤٦ - ١٨٥٢م) استمر الاحتكاك مع البريطانيين ، واستمر حكام بورما فى معاملة الإنجليز بازدراء كما استمروا فى وضع العقبات أمام توسع التجارة البريطانية[1] .

الحرب البورمية الثانية (١٨٥٢ -١٨٥٣م) :

استولى الجنرال جودوين على رانجون ثانية ، واحتل بيجو أيضا وضمها فى ٢٠ يناير عام ١٨٥٣م. وقد أدى ذلك إلى قيام الثورة فى العاصمة وخلع الملك وتولية "مندون مين" (١٨٥٣ -١٨٧٨م) الذى وصف بأنه أحسن ملك تولى عرش بورما فى العصر الحديث . وافق مندون على المكاسب التى حصل عليها البريطانيون بدون عقد معاهدة

---

(١) وليم لانجر . موسوعة تاريخ العالم ، جـ ٦ ، ص ٢٢٦٧ .

رسمية . وحاول طوال فترة حكمه الإبقاء على علاقات ودية مع جارته . وبنى مندلاى عام ١٨٥٧ م وأصبحت عاصمة الدولة .

وأبرم اتفاقية تجارية مع بريطانيا العظمى عام ١٨٦٢ م حددت المكوس الجمركية بـ ٥٪ وأعطى البريطانيون الحق فى مزاولة التجارة فى جميع أنحاء الدولة ، وقامت حملة بريطانية فى عام ١٨٧٥ م لاستكشاف الطريق من بهامو إلى يونان ، ولكنها توقفت بعد مقتل المترجم الإنجليزى.

وتولى الملك تيبو (١٨٧٨ - ١٨٨٥م) . ودل هذا الملك على أنه رجل بليد العقل قليل الحكمة ، فمن بدء توليه العرش أثار المتاعب بتدخله فى شئون التجارة البريطانية . وفى نفس الوقت اتصل بالفرنسيين من أصحاب المصالح وتفاوض معهم لتأسيس بنك ملكى ، وإنشاء خط حديدى يمتد من مندلاى إلى الحدود الهندية ، وهذا الموقف العدائى نحو بريطانيا أدى إلى قيام الحرب البورمية الثالثة .

الحرب البورمية الثالثة ١٨٨٥م :

أرسل البريطانيون فى ٢٢ أكتوبر عام ١٨٨٥م إنذاراً إلى تيبو يطلبون إليه استقبال مبعوث بريطانى ووقف تدخله فى شئون التجارة ، كما طلبوا إليه أن توجه سياسة بورما الخارجية فى المستقبل لمشورة الحكومة الهندية .ولما رفض الملك هذا الإنذار ، أبحرت حملة من السفن البريطانية بقيادة سير " هارى بدنلر جاست" واحتلت مندلاى فى ٢٨ نوفمبر ، وسلم تيبو نفسه فأرسله البريطانيون إلى الهند .

وضم البريطانيون بورما العليا فى أول يناير عام ١٨٨٦ م ، ولكن قامت حرب عصابات متقطعة واستمرت عدة سنين ، ولم يتم إخضاع ولايات شان حتى عام ١٨٨٧م وتلال تشين حتى سنة ١٨٩١ م واعترف باتفاق إنجليزى صينى بمركز إنجلترا فى بورما . وبذا أفقدت هيبة الصين بأن استمرت بورما فى إرسال بعثات الجزية كل عشر سنوات .

تم عقد اتفاق تعيين الحدود مع سيام عام ١٨٩٣م ومع فرنسا عام ١٨٩٥م بشأن الحدود مع كوشين - الصين ، ومع الصين عام ١٩٠٠م لتحديد الحدود بين الدولتين[١] .

اتحــاد بورمــا :

كان الوطنيون في بورما يكافحون ضد الوجود الإنجليزي منذ عام ١٩٢٠م . وحين حاول البريطانيون ، في عام ١٩٤٠م إسكات المعارضة ، تمكن ثلاثون من بينهم وهم "الرفاق الثلاثون" والذى كان من بينهم أونج سان ونى وين من الهرب ، وعرضوا خدماتهم على اليابان . وقاموا بتكوين "جيش تحرير بورما" ، وساعدوا فى عام ١٩٤٢م القوات اليابانية على احتلال بورما ، ومنذ هذا العام ، قام الغزاة بوضع مجموعة من أبناء بورما على رأس الحكومة ، وعلى رأسهم الدكتور "باماو" ، ودعوا الوطنيين إلى تشكيل حزب واحد ، وكان أمينه العام "تاكين نو" .

وفى العام التالى ، وبالتحديد فى أول أغسطس ١٩٤٣م ، وصلت بورما إلى الاستقلال ، وأصبح باماو فى نفس الوقت رئيساً للحكومة ، ورئيساً للدولة . ومع ذلك ، فقد حدث هنا ، كما حدث فى أماكن أخرى ، أن العناصر المتقدمة قد ابتعدت عن المحتلين . ومنذ عام ١٩٤٤م ، بدأت منظمة سرية فى تنظيم نفسها ، ثم انضم إليها "أونج سان" وأعوانه ، وتحددت المعارضة فى نفس الوقت الذى حدثت فيه الهزائم اليابانية على الحدود الهندية ، وبحثوا عن اتفاق مع البريطانيين قبل عودتهم .

وتمت عملية إنهاء الاستعمار هنا بطريقة سلمية . وقام المواطنون والوطنيون فى بورما بتشكيل جبهة موحدة فى شكل "الرابطة المعادية اللاشيتية من أجل حرية الشعب" والتى كانت تضم ما يقرب من عشرة تشكيلات مختلفة . وقام الإنجليز من جانبهم بإرسال أحد الرجال من ذوى الآراء المتحررة كحاكم عام ، وهو هـ . ورانس H. Rance وعينوا

(١) وليم لانجر ، موسوعة تاريخ العالم ، جـ٦ ، ص ٢٢٦٩ .

"أونج سان" مساعداً للحاكم العام ووزيراً للدفاع (سبتمبر ١٩٤٦م) . فقال الشيوعيون ، الذين كانت أعدادهم كبيرة داخل الرابطة ، بالانشقاق فى اتجاهين مختلفين: "الألوية البيضاء" و "الألوية الحمراء" عن العناصر التى كان أونج سان قد قام بطردها من الحزب الواحدة بعد الأخرى . وانتهت المفاوضات التى كانت قد بدأت فى لندن فى شهر يناير ١٩٤٧م باتفاق وقّع عليه كل من "أونج سان" "وأتلى Attlee" ، ونجح مؤتمر عقد فى بانجلونج فى شهر فبراير فى أن يضم إلى سياسة رانجون بعض رؤساء الأقليات فى الشمال وفى الشرق ، بينما أتت الانتخابات التى وقعت فى شهر أبريل لكى تدعم نجاح الرابطة . وفى شهر يوليو قامت العناصر اليمينية باغتيال أونج سان مع سبعة أعضاء آخرين من حزبه ، ولكن هذا الانقلاب المسرحى لم يغير شيئاً من الاستقلال الذى أعلن رغم ذلك فى الوقت المحدد له فى شهر يناير ١٨٤٨م .

وكانت هناك مشكلات عديدة تواجه الرأى العام الذى ظهر فى بورما . وكانت هناك فى أول الأمر المشكلات الاقتصادية . وكما هو الحال فى تايلاند ، فإن بورما كانت مخزناً للأرز ، فلم يكن هناك خطر حقيقى للمجاعة ، ولكن الحقول كانت مخربة ، وبهائم الحرث مات معظمها ، أما آبار إنتاج البترول ، وهو الإنتاج الرئيسى لما تحت الأرض ، فكان من الصعب استخدامها ، وأما العاصمة فكانت نصف مخربة . وكانت هناك مشكلات عنصرية بنوع خاص ، إذ أن هذا "الاتحاد" كان عبارة عن عملية تجميع ، فحول هالى بورما (حوالى ١٨ مليون) الذين يحتلون قلب البلاد ، كانت هناك تجمعات عديدة من "الأقليات" الثقافية المتميزة عن بعضها : ففى الغرب وفى الشمال ، كان هناك الصين ، والناجا والكاشين ، وفى الشرق وفى الجنوب الشرقى كان هناك الشان (تاي) والكارين وحتى فى رانجون نفسها ، كانت هناك أقلية هندية كبيرة تطرح مشكلة عويصة ، وكذلك طائفة صينية صغيرة . وعلينا أن نشير ، خلاف ذلك إلى وجود قوات صينية من قوات

الكومنتانج الذين كـانوا قد طردوا من إقليم يونان فى عـام ١٩٤٩م . وأقاموا فى شـمال البلاد ، وينتظرون وقت تزويد حكومة تايوان لهم بالتمرين . واستخدم حكام بورما ، من أجل السيطرة على هذه القـوى المريعة ومن أجل تـدعيم العناصـر المخـتلفة ، وسـيلتين قويتين : الأيدلـوجية البـوذية والتى انتشـرت بواسطة كهنتـها ، والتى تعتـبر كـذلك قوة اجتماعية ، والجيش الذى يعتقد أنه قد تمرن فى الحروب الوطنية ، ويعتقد أن لديه أحدث وسائل الثبات والتنظيم .

وقام تاكين نو Thakin Nu والذى أصـبح يسمـونه بعـد ذلك يونـسو U nu ، بهذه المحاولة الأولى ، وكان قد ظل فى السلطة حـتى عام ١٩٦٢ فيما عدا خمسـة عشر شهراً من الحكم العـسكرى فى عام (١٩٥٨ - ١٩٦٠) . وأعـلن أن البوذية سـتكون هى "دين الدولة" وذلك فى عام ١٩٦١م . وكذلك الحـال بالنسبة للمار كبسيـة ، الأمر الذى جعله يتحدث عن اتجاه إشتراكى أميل للغاية .

ومنذ عام ١٩٤٨م كان الإصـلاح الزراعى قد سمح بتقلـيل مساحات الملكيـة الكبيرة ولقد أتمه بعـد ذلك فى عام ١٩٥٤م قانون آخر قـام بتأميم ممتلكات الأجـانب ، وكذلك المصارف ، وهو الذى أنزل ضـربة قاضية للـمقربين من الهنود . وقامـوا فى عام ١٩٥٢م بنشر خطة لمدة ثمانية أعوام من أجل ذلك وأعطيت الأولوية من بعيد للزراعة ، ورغم أن الأرز كان يمثل ٨٠٪ من قيمة الصادرات . أمـا فى الخارج ، فإن حكومة يونو قد رسمت لنفسـها سياسة حيـاد تام ، وقللت إلى أقصى حد ممكن من القروض الأجـنبية ، وأعلنت أنها مستعدة للتعاقد عليها سواء مع اتحـاد الجمهوريات السوفيتية أو مع الولايات المتحدة أو مع غيرها وعلاقاتها جيدة مع حكومة بكين ، ووقعت معها على اتفاق بشأن الجنود فى عام ١٩٦١م (وهو نفس العـام الذى أصبح فيـه أحد أبناء بورما ، وهو يـوثانت سكرتيراً عاماً للأمم المتحدة) . ومع ذلك ، فإن الأقليات المحيطة ، وخاصة الكارين ، والذين كانوا

قد قاموا من قبل بثورة خطيرة فى عـام ١٩٤٨م ، لا يزالون يطالبون دائماً باستقلال ذاتى أوسع . وبدا أن يونو سوف يوافق هذه المرة ، ولكن انقلاباً عسكرياً سريعاً وقع فى شهر مارس ١٩٦٢م ، أوصـل الجنرال "نى وين" للسلطة ، ومعـه الجيش ، الـذى كان معـادياً لكل سياسة كونفيديرالية . وسجن يونو ، وكـذلك الكثيرين من السياسة ، ولم يعد أحد يتحدث عن أن البوذية هى دين الدولة . ولكن التجربة الاشتراكية مستمرة من حيث المبدأ ، وعاد الحزب الجديد إلى نظام الحزب الواحد ، وعمل على النهوض بالفلاحين ، واستمر فى سياسة التأميم . أما بالنسبة للخـارج فإن نفس سياسة الحياد هى التى يعلنوها ، وقاموا بطرد آخر المعمرين الأوروبيين ، وفى نفس الوقت أقفلوا الحدود أمام الأجانب ومع ذلك فعلينا أن نلاحظ أن نوعـاً من التوتر قد نشـأ مع الصين (يوليو ١٩٦٧) ، وإنهم سمحوا للولايات المتحدة بتقـديم مهـمات لعـدد ١٥٠,٠٠٠ جندى فى جيش بورما . ونجد حكومة الجنرال نى وين أنهـا مضطرة إلى مواجـهة معـارضة تتزايد قـوة ، وتتشكل بنوع خـاص بين عناصـر الكارين والشـان الذين يطالبـون دائمـاً باستـقـلالهم الذاتى ، الشيـوعيين ، الذين يعـيدون تنظيم أنفـسهم منذ عـام ١٩٦٨م ، واختـاروا اتجاهاً مـوالياً للصين ، ويضاف إليهم كذلك بعض العناصر المدنيـة ، المتجمعة وراء يونو ، الذى أطلق سراحـه فى عام ١٩٦٨م ، والتـجأ إلى بانكوك ، وكـذلك حزب الديموقـراطية البـرلمانية الجديد ، والذى كـونه هذا الأخيـر فى المنفى ، والذى يعد بالعـودة لنظام برلمانى ، وبنوع خاص بالسـير على الأسـس الكونفـيدرالية . وابتـداء من عام ١٩٧١م ، أعـدت حكومة رانجون النظر فى سياستها الخارجية ، وبدأت بورما فى فتح أبوابها فى وجه الغربيين .

الفلبيـــن

تمتد جزر الفلبين فى جنوب شرق آسيا بين دائرتى عرض ٢٣َ ٤ْ ، ٢٥َ ٢١ْ شمالاً ، وخطى طول ١١٦ْ ، ١٢٧ْ شرقاً ، وهى تتألف من ٧١٠٠ جزيرة متباينة المساحة منها ٤٣٢٧ جزيرة بدون أسماء لصغر مساحتها وضئالة أهميتها ، فى حين تحمل باقى الجزر اسماء محدودة وعددها ٢٧٧٣ جزيرة . وتبلغ مساحة جزر الفلبين ١١٥٨٣٠ ميل مربع [نحو ٣٠٠ ألف كيلو متر مربع] يحدها بحر شرق الصين من الغرب ، وبحر سولو من الجنوب الغربى . وبحر سيليبس من الجنوب وبحر الفلبين من الشرق ، وقناة باشى Bashi التى تفصلها عن تايوان من الشمال .

يتبين من التحديد السابق أن جزر الفلبين تدخل فى نطاق القوس التكتونى الكبير الممتد حول نطاق المحيط الهادى والمعروف باسم Ring of Fire ، لذلك كثيراً ما تتعرض جهات البلاد المختلفة للحركات التكتونية العنيفة التى تتراوح بين الزلازل والثورات البركانية ، وفيما يلى عرض لأهم جزر الفلبين وأكبرها مساحة[1] .

- جزيرة لوزون Luzon [الجزيرة الشمالية] ، أهم جزر الفلبين وأكبرها مساحة حيث تبلغ مساحتها ٤٠٤٢٠ ميل^{٢} .

- جزيرة ميندناو Mindanao [الجزيرة الجنوبية] ثانى جزر الفلبين من حيث المساحة إذ تبلغ مساحتها ٣٦٥٣٧ ميل^{٢} .

- جزيرة سامار Samar تقع فى النطاق الأوسط المحصور بين الجزيرتين الشمالية والجنوبية وتبلغ مساحتها ٥٠٥٠ ميل^{٢} .

- جزيرة نجروز Negros ، تقع فى النطاق الأوسط لجزر الفلبين وتبلغ مساحتها ٤٩٠٦ ميل^{٢} .

---

(١) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ .

- جزيرة بالاوان Palawan أكثر جزر الفلبين الكبيرة تطرفا صوب الغرب وتبلغ جملة مساحتها ٤٥٥٠ ميل٢ .

- جزيرة باناى Panay ، تمتد فى النطاق الأوسط لجزر الفلبين إلى الشمال من جزيرة نجروز ، وتبلغ مساحتها ٤٤٤٦ ميل٢ .

- جزيرة مندورو Mindoro ، تقع جنوب جزيرة لوزون ، وتبلغ مساحتها ٣٧٥٩ ميل٢ .

- جزيرة ليتى Leyte ، تقع جنوب جزيرة سامار فى النطاق الأوسط وتبلغ مساحتها ٢٧٨٦ ميل٢[1] .

- جزيرة سيبو Cebu ، تقع إلى الغرب من الجزيرة السابقة وتبلغ مساحتها ١٧٠٧ ميل٢ .

- جزيرة بوهول Bohol ، تقع شرق الجزيرة السابقة وتبلغ مساحتها ١٤٩٢ ميل٢ .

- جزيرة ماسبات Masbate ، تقع جنوب جزيرة لوزون بالنطاق الأوسط وتبلغ مساحتها ١٢٦٢ ميل٢[2] .

- مجموعة جزر سولو Sulu ، تمتد جنوب غرب جزيرة ميندناو فى شكل أرخبيل طولى يفصل بين بحر سولو فى الشمال الغربى وبحر سيليبيس فى الجنوب الشرقى ، وتبلغ جملة مساحتها ٣٧٩ ميل٢ .

- جزيرة مارينديكو Marinduque تقع جنوب جزيرة لوزون وتبلغ مساحتها ٣٤٧ ميل٢ .

- جزيرة تاوى تاوى Tawi - Tawi ، تقع جنوب جزر سولو بالقرب من الطرف الشمالى الشرقى لجزيرة كاليمنتان ، وتبلغ مساحتها ٢٢٩ ميل٢ .

---

(١) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٤٦١ .

(٢) نفســـه ، ص ٤٦٢ .

- جزيرة سيكيجور Siauijor ، تقع شمال غرب جزيرة ميندناو وتبلغ مساحتها ١٢٩ ميل٢ .

- جزيرة رومبلون Romblon ، تقع فى النطاق البحرى المحصورين جزيرتى ماسبات ومندورو وجنوب الجزيرة الشمالية ، ولا تتجاوز مساحتها ٣٢ ميل٢[1] .

المظاهر الطبيعية

الفلبين جزر ذات طبيعة جبلية ظهرت فوق سطح البحر خلال الزمن الجيولوجى الثالث أثناء الحركة الألبية شأنها فى ذلك شأن أقواس الجزر التى تحف باليابس الأسيوى من ناحيتى الشرق والجنوب الشرقى وإن كانت تضم عدداً كبيراً من الجزر التى ترجع فى أصل نشأتها إلى النشاط البركانى أو التكوينات المرجانية[2] .

ويغطى معظم جهات جزر الفلبين تكوينات رسوبية متنوعة ينتمى بعضها للزمن الثالث وبعضها الآخر عبارة عن تكوينات طفحية بركانية تنتمى للزمنين الجيولوجيين الثالث والرابع .

ويتلخص النظام الجبلى لجزر الفلبين فى امتداد سلاسل جبلية طولية من الشمال إلى الجنوب تمثل نتاجاً للعديد من الحركات الأرضية المتتالية والأنشطة البركانية يتخللها فى بعض النطاقات انحناءات حوضية منخفضة المنسوب حيث يقل مستواها عن منسوب سطح البحر لذلك غمرتها المياه وكونت المسطحات المائية البحرية التى تفصل بين جزر الفلبين وهذا يفسر اختراق المرتفعات الجبلية لجزر الفلبين فى إتجاه عام من الشمال إلى الجنوب والتى تظهر سلاسلها بوضوح فى الجزر كبيرة المساحة ، ويتراوح منسوب هذه المرتفعات بين ٥٠٠٠ - ٨٠٠٠ قدم فوق مستوى سطح البحر فى حين تبلغ أقصى

---

(١) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٤٦١ ، ٤٦٢ .

(٢) نفسه ، ص ٤٦٢ .

ارتفاع لها فى قمة أبو Apo بجزيرة ميندناد [٩٦٩٠ قدم] وقمة بولوج Pulog بجزيرة لوزون [٩٦٠٠ قدم] .

ويوجد فى الفلبين نحو ٢٠ بركانا نشطاً أشهرها بركان هيبوك / هيبوك Hibok - Hi-bok ، الواقع فى جزيرة كميجون Camiguin الممتدة شمال جزيرة ميندناو ، ويوجد فى البلاد أكمل مخروط بركانى فى العالم حيث يتميز بتناسق انحدار سفوحه فى جميع الجهات وهو جبل مايون Mayon البالغ ارتفاعه ٧٩٤٣ قدم فوق منسوب سطح البحر والواقع فى جزيرة لوزون وتمتد عند سفوحه مدينة ليجاسبى Legaspi [نحو ١٠٠ ألف نسمة](١) .

وتشغل السلاسل الجبلية مساحات من جزر الفلبين مما لم يعط الفرصة لامتداد السهول الساحلية لمسافات طويلة حيث يلاحظ أن مثل هذه السهول لا يتجاوز عرضها فى الجزر كبيرة المساحة عشرة أميال ، وأدت سيادة الطبيعة الجبلية فى جزر الفلبين إلى وعورة سطوحها وضيق نطاقات الأودية والسهول التى تتمثل أهمها وأكبرها مساحة واكثفها استقلالا فيما يلى :

- نطاق السهل الأوسط فى جزيرة لوزون .

- وادى كاجايان Cagayan فى شمال شرق جزيرة لوزون ، ويجرى هنا نهر كاجايان أهم أنهار الفلبين وأطولها حيث يبلغ طوله [٣٥٤ ميل - ٢٢٠ ميل٢] .

- سهل بيكول Bicol فى جنوب شرق جزيرة لوزون .

- النطاق السهلى فى غرب جزيرة نيجروز .

- النطاق السهلى فى جنوب شرق جزيرة باناى .

- سهول أجوسان Agusan ، كوتوباتو Catobato فى جزيرة ميندناو .

---

(١) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٤٦٢ .

- ويتخلل النطاقات الجبلية عدد كبير من البحيرات أهمها بحيرتى دى باى de Bay فى جزيرة لوزون ، لاناو Lanao فى جزيرة ميندناو(١) .

ولعبت طبيعة الفلبين كجزر جبلية إلى جانب موقعها الفلكى وتعرضها لهبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية والرياح التجارية الشمالية الشرقية دور مباشر فى تحديد الخصائص المناخية السائدة ، فبينما تنتمى الجزر الجنوبية للمناخ الاستوائى تنتمى معظم جزر الفلبين للمناخ الموسمى المدارى ، والحقيقة أن الطبيعة الجزرية وماتبعها من سيادة المؤثرات البحرية تلعب دوراً يفوق فى تأثيره المناخى دور الموقع بالنسبة لدوائر العرض ، ولتأكيد ذلك أن متوسط درجة الحرارة الشهرية يتراوح فى جزر باتانس Patanes الواقعة عند دائرة عرض ٣٠َ ٢٠ْ فى أقصى الشمال بين ٧٢ْف فى يناير ، ٨٣ْف فى يونيو ، فى حين يتراوح فى مانيلا [عند دائرة عرض ٤٠َ ١٤ْ] بين ٧٧ْف فى ديسمبر ٤٢َ ٨ْف فى مايو ، بينما يتراوح فى مدينة رمبونجا [عند دائرة عرض ٥٥َ ٦ْ فى أقصى غرب جزيرة منيدوناد بين ٧٩ْف فى فبراير ، ٨٠ْ فى مايو .

وتتباين الأمطار فى كميتها وفصلية سقوطها تبعاً لملامح البيئة الطبيعية وخاصة فيما يتعلق بمنسوب سطح الأرض ومحاور امتداد السلاسل الجبلية بالنسبة لاتجاه الرياح ففى بعض المناطق التى تقع فى ظل المطر كما هى الحال بالنسبة لوادى كاجايان فى جزيرة لوزون وبعض جهات جزيرة ميندناو تقل كمية الأمطار السنوية عن ٦٠ بوصة بل أنها تقل عن ذلك كثيراً فى النطاقات منخفضة المنسوب كما فى منطقة داديانجاز Dadianges فى النطاق الداخلى بجنوب جزيرة ميندناو حيث لا تتجاوز كمية أمطارها السنوية ٣٩,٩ بوصة ، فى حين تسقط الأمطار الغزيرة على باقى الجهات حيث يبلغ متوسطها ٨٠ بوصة سنوياً بل أن بعض النطاقات تستقبل ضعف هذه الكمية أى نحو ١٦٠ بوصة فى السنة(٢) .

---

(١) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٤٦٢ ، ٤٦٤ .

(٢) نفســـــه ، ص ٤٦٤ ، ٤٦٥ .

وتتباين أقاليم الدولة من حيث أغزر شهور السنة مطراً وأكثرها جفافاً وذلك تبعاً للخصائص المحلية المتعلقة بأشكال السطح ، وبصورة عامة تستقبل النطاقات الغربية من جزر الفلبين معظم أمطارها خلال الفترة الممتدة بين أواخر شهر يونيو ونهاية شهر سبتمبر لتعرضها لهبوب الرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، في حين تتسم شهور الشتاء في هذه النطاقات بالجفاف لعدم وصول الرياح الشمالية الشرقية إليها لاعتراض السلاسل الجبلية مسار هذه الرياح ، وإذا اتخذت مانيلا كنموذج لأمطار النطاقات الغربية نجد أن كمية الأمطار التي تسقط عليها خلال الخمسة شهور الممتدة بين ديسمبر وإبريل لا تتجاوز ٩ , ٥ بوصة وهو ما يكون ٣٣ , ٧٪ فقط من اجمالي أمطارها السنوية البالغة ٦ , ٨١ بوصة في حين تسقط عليها ٩ , ١٦ ، ٣ , ١٦ بوصة خلال شهري يوليو وأغسطس على الترتيب وهما أغزر شهور السنة مطراً[١] .

وتستقبل النطاقات الشرقية من جزر الفلبين معظم أمطارها خلال الفترة الممتدة بين شهري نوفمبر ومارس عندما تهب عليها الرياح التجارية الشمالية الشرقية الممطرة ، كما تستقبل كميات أخرى متباينة من الأمطار خلال باقي شهور السنة نتيجة لهبوب الرياح الموسمية ، وعموماً تختلف النطاقات الشرقية من الفلبين عن مثيلتها في الغرب في أنه لا يسودها موسم جفاف حقيقي كالذي يسود الغرب خلال شهور الشتاء ، ومن العوامل التي تسهم في غزارة الأمطار في النطاقات الشرقية الواقعة شمال ميندناو تعرضها لهبوب أعاصير التيفون التي تحدث في أواخر الصيف وخلال الخريف والتي يظهر تأثيرها بوضوح في النطاقات السهلية في شرق جزيرتي لوزون وسامار بصفة خاصة .

وتتسم النطاقات الداخلية من الجزر والمحصورة بين النطاقات الغربية والشرقية السابق الإشارة إليها بنظام أنتقالي للمطر وإن كان يشبه النطاقات المجاورة وخاصة في كمية

---

(١) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٤٦٥ .

الأمطار الساقطة ، فبينما يوجد فصل جاف قصير يمتد خلال الشهور الأولى من السنة فى معظم الجزر الشمالية والوسطى ، يكاد يختفى هذا الفصل الجاف فى الجزر الجنوبية وخاصة فى بوهول ، شرق ليتى وسط ميندناو حيث تكاد تماثل الأمطار هنا مثيلتها فى النطاقات الشرقية من حيث الكمية ، وعلى الرغم من وجود العديد من الاختلافات المحلية إلا أن النطاقات الإنتقالية الوسطى تمثل الأقاليم الوحيدة فى الفلبين التى تكفى أمطارها الساقطة خلال نصفى السنة لزراعة الأرز دون حاجة إلى مياه الرى(١) .

ونغطى الغابات نحو ٤٤٪ من جملة مساحة البلاد ، وهى تتراوح بين غابات المانجروف التى تغطى النطاقات المستنقية المتناثرة فى الأقاليم السهلية البحرية منخفضة المنسوب [٥٩٣٩٥ هكتار] ، والغابات المدارية الرطبة التى تنمو فى مناطق السهول وأقاليم المرتفعات منخفضة المنسوب نسبياً والبعيدة فى مواقعها عن النطاقات الساحلية ، وتوجد اكثف نطاقاتها فى جزيرة ميندناو ، وتعد الماهوجنى أهم أشجارها وأكثر استقلالاً ، وتنمو الغابات المختلطة دائمة الخضرة على السفوح الجبلية مرتفعة المنسوب .

وتشغل حشائش السافانا مساحات واسعة تقدر بنحو خمس مساحة جزر الفلبين حيث تقدر مساحتها بنحو ٢ مليون هكتار(٢) .

---

(١) محمد خميس الزوكة ، آسيا ، ص ٤٦٦ .

(٢) نفســـه ، ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

جـــزر الفلبيـــن

اكتشف ساجلان جزر الفلبين حيث مات قتيلاً فى معركة مع السكان الأصليين عام ١٥٢١م . ولتعزيز مقاطعة كاستيل بأسبانيا فى حق امتلاك الفلبين ضد البرتغال أرسل الملك شارل الخامس بعثة باشراف جارسيا جوفر دى لوباز الذى توفى فى الطريق وقامت البعثة بزيارة مندوناو ولكنها اصطدمت بمعارضة البرتغال فلم تحقق أية نتائج .

وفى عام ١٥٢٧م وتبعاً لأوامر حكومة أسبانيا أرسل كورتيز من المكسيك الفارو سافدرا سيدون فى حملة بحرية ولكن أسطوله تفرق دون اجتياز أى شيء . وحدا الاخفاق فى هذه المحاولات بشارل الخامس فى عام ١٥٢٩م إلى أن يعقد مع البرتغال معاهدة سرقسطة التى بمقتضاها أصبح الحد الفاصل بين ممتلكات البرتغال وأسبانيا فى الشرق الأقصى هو الخط الواقع على بعد ٢٩٧ ١/٢ فرسخاً إلى الشرق من موليو كاس التى ظلت فى حوزة البرتغال ومع أن الفلبين كانت داخلة فى دائرة نفوذ البرتغال إلا أنها لم تقم باحتلالها .

ومنح الملك شارل الخامس عام ١٥٣٢م بدرو دى الفاردو سلطة القيام بالكشف والاستعمار فى المحيط الهادى ، ولكنه تخلى عن المشروع لكى يقوم بغزو كويتو . ومنح انطونيو دى مندونرا عام ١٥٤١م نائب الملك فى أسبانيا الجديدة تفويضاً للقيام بنفس الغرض على أن يشارك الفاردو فى نتائج العمل .

وأرسل مندوزا روى لوبيزدى فيلالوبوس إلى الفلبين فنزل إلى الشاطيء وأطلق على الجزر اسمها المعروف ولكن السكان الأصليين أجلوه عن البلاد ثم وقع أسيراً فى يد البرتغال .

وعملاً بأوامر الملك فيليب الثانى أوفد فيلاسكو نائب الملك بعثة إلى الفلبين باشراف ميجل لوبيز الذى قام بانشاء أول مستعمرة سان ميجل وأخضع الأهالى الأصليين وأسس مدينة مانيلا [١٩ مايو ١٥٧١م التى انشأ بها مجلساً (١٥٨٣م) وتم إخضاع

الجزر لحكومة أسبانيا الجديدة ، وفى ٢٢ سبتمبر سنة ١٧٦٢م قام الأسطول الإنجليزى بقذف مانيلا واستولى عليها . ولكن تم جلاء الانجليز عنها بموجب عقد صلح مع أسبانيا سنة ١٧٦٤م .

وكان نتيجة السياسة الأسبانية أن قام الأهالى بتنظيم جمعيات سرية من الأهالى الأصليين لمقاومة الحكم الأسبانى . وفى عام ١٨٩٦م . بدأ عصيان السكان الأصليين بزعامة ايميلو اجوينالدو . وتم إعدام الدكتور جوزيه ريزال أحد الزعماء الوطنيين المبرزين . ثم تم عقد اتفاقية بياك ناباتو فى ١٤ ديسمبر سنة ١٨٩٧م بين الحاكم العام بريمودى ريفيرا وبين أجوينالدو . وبذلك انتهى العصيان وتقرر تنفيذ الاصلاحات المطلوبة فى مدى ثلاثة سنوات وغادر اجوينالدو والزعماء الآخرون الجزر مقابل دفع مبالغ لهم .

وشهد عام ١٨٩٨م قيام الحرب الأمريكية الأسبانية وانتصار الأميرال ديوى على الأسطول الأسبانى فى مضيق مانيلا . ووصل اجوينالدو الذى أخذ فى تنظيم جيش وطنى تحت رعاية أمريكا . وأعلن اجوينالدو الاستقلال وأقام حكومة مؤقتة برياسته ، وسقطت مانيلا فى يد القوات الأمريكية بمعاونة اجوينالدو .

وبمقتضى معاهدة باريس سلمت أسبانيا الجزر إلى الولايات المتحدة الأمريكية مقابل ٢٠ مليوناً من الدولارات وأشرف على حكومة البلاد الجنرال ايلويل س أوتيس . وفى عام ١٨٩٩م احتج اجوينالدو على السيادة الأمريكية ودعا الأهالى إلى إعلان الاستقلال ، وأعلن دستور مالولوس وعيّن اجوينالدو رئيساً لحكومة الثوار التى بدأت الثورة ضد الحكم الأمريكى فى ٤ فبراير ١٨٩٩م .

ونتيجة لذلك أرسلت الولايات المتحدة عام ١٨٩٩م لجنة عرفت باسم اللجنة الفلبينية الأولى برياسة ج. ج سكورماو التى وعدت بمنح البلاد الحكم الذاتى فى أوسع حدود الحرية ولكن الثورة ظلت قائمة . ثم وصلت اللجنة الفيلبينية الثانية فى عام ١٩٠٠م برياسة القاضى ويليم هـ . تافت إلى مانيلا وبدأت تتولى الإدارة وتقوم بتنظيم حكومة

البلاد . وتم تكوين الحزب الاتحادى الفلبينى بقصد توطيد السلام والأمن تحت سيادة الولايات المتحدة الأمريكية .

وفى عام ١٩٠١م أعطى تعديل سبونر لمشروع قرار مخصصات الجيش رئيس الولايات المتحدة سلطة إنشاء حكومة مدنية فى جزر الفلبين ، ووقع اجوينالدو فى الأسر نتيجة لخطة عسكرية دبرها الجنرال فردريك فنستن ، أقسم اجوينالدو يمين الولاء للولايات المتحدة وأذاع بياناً ينصح فيه أهل الفلبين بالخضوع واستمرت حرب العصابات إلى حد ما حتى أبريل ١٩٠٢م . ثم عين القاضى تافت أول حاكم مدنى لجزر الفلبين ، وانضم ثلاثة من أهل الفلبين ، وأنشأ مكتباً للتعليم ، ووضع النظام القضائى ، وأنشأ محكمة عليا من سبعة أعضاء وست عشرة محكمة ابتدائية .

وفى أول يوليو عام ١٩٠٢م وافق الكونجرس الأمريكى على مشروع خاص بالفلبين يعتبر أول قانون تشريعى لحكم الجزر وينص على انشاء هيئة تتكون من مجلس شيوخ بالتعيين ومجلس نواب منتخب مع الإحتفاظ لكونجرس الأمريكى بحق الفيتو . وشهد عام ١٩٠٣م بدأ صك العملة للفلبيين . واشترت حكومة الفلبين أراضى الرهبان من الكنيسة الكاثوليكية . ثم عيَّن حكاماً على البلاد .

وصدر قانون الانتخاب عام ١٩٠٧م الذى نص على أن يكون عدد أعضاء المجلس النيابى ٨٠ عضوا ، وتم تكوين الحزب الاتحادى الوطنى للمطالبة بالاستقلال ، واجراء الانتخابات لأول مجلس نيابى فبلغ عدد الناخبين ١٠٥ آلاف انتخبوا ٣٢ من القوميين و٢٠ من المستقلين و١٦ من التقدميين وعقد المجلس وأصبح هو المجلس الأدنى وقد أصبحت اللجنة الفلبينية هى المجلس الأعلى . وزاد عدد أعضاء اللجنة إلى ٩ أعضاء فى عام ١٩٠٨م منهم أربعة من أهل الفلبين . وصدرت تعريفة باين أولدرتش عام ١٩٠٩م الجمركية سمحت للولايات المتحدة بحرية استيراد مقادير محددة من منتجات الفلبين (السكر والطباق) وكميات كثيرة من الكتان .

وأصبحت اللغة الإنجليزية اللغة الرسمية عام ١٩١٣م وسمح باستعمال اللغة الأسبانية حتى ١٩٢٠م.

الفلبين فى الحرب العالمية الثانية حتى وقتنا المعاصر

بعد بضعة ساعات من الغارة التى قام اليابانيون بها على بيرل هاربر، فى ٨ ديسمبر ١٩٤١، قاموا بعملية قصف جوى على القواعد الأمريكية فى الفلبين؛ وبعد بضعة أيام من ذلك نزلت القوات اليابانية هناك، ودخلت مانيلا التى أعلنت مدينة مفتوحة، فى شهر يناير ١٩٤٢. وبعد مقاومة قصيرة شارك فيها، وهو أمر هام، سكان الفلبين، أصبح على الأمريكيين أن يسلموا أو أن ينسحبوا؛ وتمكن الجنرال ماك آرثر من أن يصل إلى أستراليا، وكذلك الرئيس كيزون Quezon الذى تمكن بهذه الطريقة من أن يضمن الإشراف على تكوين حكومة فى المنفى. وظلت النفوس بشكل عام، وأكثر منها فى أى مكان آخر فى جنوب شرقى آسيا، موالية "للغربيين" المنهزمين، ولم يتمكن اليابانيون إلا من كسب عدد بسيط من المتعاونين. ورغم أنهم كانوا متشددين بنوع خاص تجاه الأقلية الصينية، إلا أنهم حاولوا منذ عام ١٩٤٢ أن يعيدوا تجميع المتعلمين فى حزب واحد هو "رابطة خدمة الفلبين الجديدة" ثم قاموا فى ١٤ أكتوبر ١٩٤٣ بمنح "الإستقلال" رسمياً؛ وأعلن أن لغة التاجالوج هى اللغة الرسمية، ورفع علم الفلبين، وانسحبت الإدارة اليابانية. وتحت هذه المظاهر الحرة، استمروا فى تسيير البلاد بشكل منظم، فاستمر إرسال المواد الغذائية إلى اليابان، كما استمرت عملية إستغلال موارد المناجم؛ الأمر الذى أدى سريعاً، وبنوع خاص فى جزيرة لوزون إلى ظهور مقاومة عتيقة، أسمت نفسها بإسم "الجيش الشعبى المعادى لليابان". وكان هذا الجيش يسيره عدد من القادة الشيوعيين، وتمكن من الإحتفاظ بمناطق عديدة حرة، وأسهم فى الإنتصار النهائى للحلفاء. وبعد معركة ليت البحرية الكبيرة فى شهر أكتوبر ١٩٤٤، تمكن ماك آرثر من إعادة غزو الأرخبيل، ودخل إلى مانيلا فى شهر فبراير ١٩٤٥.

جلال يحى، العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية.

وكان الموقف صعباً جداً فيما بعد الحرب ؛ فكانت المعارك الساخنة التى وقعت بأسلحة حديثة قد خربت ، وكما هو الحال فى بورما ، مناطق بأكملها . وظاهرة تميز فى ذلك الوقت تاريخ الفلبيين هو الإعادة السريعة للعلاقات السياسية والإقتصادية التى كانت تربطها قبل الحرب بالولايات المتحدة . وفى الوقت الذى كان الأوربيون يستعيدون فيه بكل صعوبة مواقع أقدامهم فى البلاد الأخرى فى جنوب شرقى آسيا ، قامت أغلبية كبيرة من أبناء الفلبين بإستقبال الأمريكيين فى بلادهم على أنهم محررين . ومنذ عام ١٩٤٦ ، سمح قانون تجارة الفلبين لهم بإعادة تصحيح الأوضاع الإقتصادية والمالية فى البلاد ، وذلك فى الوقت الذى منحهم فيه إتفاق عسكرى أسر التنازل ، ولمدة تسعة وتسعين عاماً ، مايزيد على عشرين قاعدة جوية بحرية فى الأرخبيل . وفى نظير ذلك ، منحتهم واشنطون الإستقلال فى ٤ يوليو ١٩٤٦ . مؤكدة بهذا الشكل ما كانت طوكيو قد عملته منذ ثلاث سنوات وانتهجت بذلك وبكل تصميم ، وقبل لندن ، ولاهاى ، وباريس ، حلاً حراً إنتهت كل هذه العواصم بالسير على نهجه فيما بعد .

ومنذ عام ١٩٤٦ ، وإذا كانت الحياة السياسية فى مانيلا قد ظهرت من أحد الأوجه على أنها متحركة ، بما فيها من إنتخابات صاخبة ، وصراع حاد بين الحزب الوطنى والحزب الإتحادى ، إلا أن النظام نفسه ، والذى كان يستوحى إلى حد بعيد من النمط الأمريكى ، بسلطات الرئيس الواسعة ، وبوجود مجلسين ، قد أظهر أنه ثابت تماماً . ويمكن تفسير ذلك بلاشك ، وكما هو الحال فى تايلاند ، بوجود إتجاه إجتماعي محدد واحد . فكان المجتمع الفلبينى فيما بعد الحرب هو دائماً يمثل ، وإلى حد بعيد ، سليل ذلك المجتمع الذى كان المعمرون الإسبانيون قد شكلوه منذ القرن السادس عشر . فكانت هناك مجموعة صغيرة نسبياً من الأعيان ، لا تزال تمتلك إيرادات المزارع ضخمة ، والتى كانت قد كونتها فى الماضى الجماعات الدينية ، وكانت تشرف وتسيطر على أغلبية السكان ، الذين ينتمون إليها . وكان هؤلاء الرجال المحليين كثيراً ما يتخاصمون

ويتحاربون لمسائل تتعلق بالمصالح الشخصية ، ولكن سيطرتهم ظلت قوية ، وبشكل يدفعهم إلى أن يتفقوا جميعاً على نظام يحمى إمتيازاتهم بالفعل . أما الحزبان فلم يكونوا إلا مجرد فكرة ، وبدون برامج محددة ، وكان من الممكن الإنتقال من الحزب إلى الحزب الآخر ، إذا ما تطلبت أمور المستقبل الفردي ذلك . وفيما بعد الإستقلال ، كان هناك خطر واحد حقيقى يهدد هذه الجماعة من الأعيان ؛ وكان يتمثل فى الجيوش الشعبية ، والتى كان لا يعجبها ذلك الوفاق الناشىء بين المحافظين وبين الأمريكيين ، وفى هذه البلاد التى كانت لا تزال زراعية بشكل أساسى (زراعات الأرز والذرة ، والمزارع الضخمة لجوز الهند ، وقصب السكر والطباق) كانت أقل من نصف مساحة الأرض المزروعة مملوكة لمن يزرعها ؛ فإنتشرت ثورة الفلاحين وامتدت تحت قيادة لوى تاروك Luis Taruc وقام الجيش الشعبى بتوزيع الأراضى ، وتنظيم الإدارة فى "مناطق محررة" وكانوا من وقت لوقت يهددون المناطق المجاورة لمانيلا نفسها . وتمكن الرئيس رامون ماجسايساى Ramon Magsaysay ، والذى كان فى الرئاسة منذ عام ١٩٥٣ إلى ١٩٥٧ ، وبمساعدة مستشارين أمريكيين (مثل الكلونيل لانسدال Lansdal) بنزع الفتيل من القنبلة ، وانتهى الكثيرون من رجال الجيوش الشعبية ، ونتيجة لإغراء وعود قيام الحكومة بعملية إصلاح زراعى ، وأيضاً نتيجة لإرهاقهم من ضربات القوات الحكومية ، إلى أن يلقوا السلاح ، وسلم تاروك نفسه فى عام ١٩٥٦ . وهكذا تأكدت من جديد السيطرة الآتية مما وراء المحيط الهادى على مانيلا ، التى وقعت فى عام ١٩٥٤ على المعاهدة التى تنشىء حلف جنوب شرقى آسيا .O.T.A.S.E وهو الحلف الذى يمثل حجر الزاوية فى عملية محاربة الشيوعية فى جنوب شرقى آسيا .

وابتداء من سنوات الستينيات ، وبتحديد أكثر منذ وقت الحملة الانتخابية لعام ١٩٦٥ ، والتى انتهت فى شهر يناير ١٩٦٦ بإنتخاب الرئيس ماركوس ، Marcos عاد إلى الظهور من جديد إتجاه وطنى ، تسير معه فى خط موازى حركة معادية للإتجاه

الأمريكي . وسار كل شيء خطوة بخطوة وكما لو كان المثقفون في الفلبين ، وبخاصة في المدن قد شعروا شيئاً فشيئاً بإنتمائهم الآسيوي ، ورفضوا أن تكون أنظارهم متجهة صوب كاليفورنيا وحدها . ولاشك أن التكوين البطيء "لبورجوازية رأسمالية" هضمت حقوقها بشكل خاص بواسطة تلك التشريعات التي كانت تفتح سوق الفلبين في وجه رجال الأعمال الأمريكيين ، لم يكن غريباً عن هذا الإتجاه . ووجدت هذه المعارضة المتزايدة أعواناً لها كذلك في أوساط الطلاب الذين زاد قلقهم من عدم وجود عمل لهم ، وكذلك لدى عدد من رجال الدين ، الذين كان البعض منهم يرحب بإقامة "ديمقراطية مسيحية" . وقرروا أن يحددوا مثلاً العيد الوطني في يوم ١٢ يونيو (الذكرى السنوية للإستقلال عام ١٨٩٨) وليس في ٤ يوليو (١٩٤٦ - عيد نقل السيادة) ؛ وفي عام ١٩٦٦ ، قامت أقلية قوية بالإحتجاج على إرسال قوات الفلبين إلى فيتنام ، وفي نفس العام وافقت الولايات المتحدة على أن تقلل مدة التسعة وتسعين عاماً إلى أربعة وأربعين عاماً كمدة لحق البقاء في القواعد العسكرية (الأمر الذي يتركهم هناك حتى عام ١٩٩١) . وأكثر دلالة على ذلك وفي المدى البعيد هي أرقام التجارة الخارجية ؛ فلم يعد هناك في عام ١٩٦٥ إلا النصف فقط من حركة المبادلات التي كانت تتم مع الولايات المتحدة ، وهو الأمر الذي يمثل تناقضاً كبيراً بالنسبة لسنوات الخمسينات .

وظلت الفلبين وكأنها بعيدة عن المجتمع الدولي (فلم تكن لها علاقات دبلوماسية مع دول الشرق حتى عام ١٩٧٣) ، ولم تهتم إلا شيئاً فشيئاً بجيرانها الآسيويين ، وأخذوا يتحدثون هناك عن رابطة إقتصادية تقوم مع ماليزيا وتايلاند ؛ وإذا كان المشروع الذي يجمع بين ماليزيا وإندونيسيا والفلبين لم ينجح ، فإن مانيلا وجاكارتا قد تقاربتا الواحدة من الأخرى بشكل واضح ، منذ مجيء النظام الجديد إلى إندونيسيا . أما فيما يتعلق بالمبادلات مع اليابان ، فرغم أنهم يحيطونه بغموض كبير ، إلا أنه قد عاد وبنسب قوية . ومن المؤكد أن الفلبين لا تبتعد أبداً حتى الآن عن القارة الأمريكية ، التي وجدت نفسها

مرتبطة بها منذ القرن السادس عشر ؛ ولكن قوتين إجتماعيتين يمكنهما مع ذلك إقناعها في مستقبل قريب أو بعيد ، وهما تتمثلان في البروليتاريا الزراعية ، والمستعدة دائماً لزيادة صفوف الجيوش الشعبية ، وأكثر منها "البورجوازية الوطنية" التي يمكنها أن تعيد اكتشاف ، في الغرب ، تلك العلاقات الثقافية والتاريخية التي تربطها بآسيا .

وفي شهر سبتمبر ١٩٧٢ ، فرض الرئيس ماركوس الأحكام العسكرية وصادر السلطات الأساسية (حل البرلمان ، وإلغاء صحف المعارضة ، وإلقاء القبض على عدد كبير من الأعيان ومن المثقفين) . ولقد إدعى أن كسب هذه السلطة سوف يسمح بإقامة "مجتمع جديد" ، وبالقضاء على المواجهات والمصادمات السياسية ، التي هي بدون جدوى ، وبقيام عملية إصلاح زراعي في بعض المناطق . ورغم أن هذا الإجراء الذي وافق عليه جزء كبير من الأهالي إلا أنه يهدر مع ذلك بأن يزيد من حدة الهياج الشيوعي ، ومن حدة حركة الانفصال عند المسلمين في منطقة ميناء نيو .

المـــراجــــع

أولاً: المراجع العربية

- اســماعيل أحمد ياغي: تاريخ شرق آسيا الحديث، مكتبة العبيكان، الرياض ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.

اسماعيل أحمد ياغي، محمود شاكر. العالم الاسلامي الحديث والمعاصر

- بانيكار ك.م: أسيا والسيطرة الغربية ــ ترجمة عبد العزيز جاويد مراجعة أحمــد خــاكي ــ الجمهوريــة العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، الإدارة العامة "ثقافة، القاهرة"
- بيير نوفان: تاريخ العلاقات ــ الدوحية ١٨١٥-١٩١٤، تعريب جلال يحي
- تشســتربين: الشــرق الاقصـــى، موجز تاريخي، ترجمة حسين الحوت، مــراجعة فــريد عبد الرحمن، القاهرة، ١٩٥٨ــ سلسلة الألف كتاب رقم ٥٩.
- جــاد طه: محاضرات في تاريخ آسيا الحديث، القاهرة ١٩٨٤ جامعة عين شمس ١٩٨٤.
- جلال يحي: الشرق الاقصى
- جلال يحي: العالم المعاصر منذ الحرب العالمية الثانية
- ســمعان بطــرس فــرج الله: العلاقات السياسية الدولية في لقرن العشرين الجــزء الأول ١٨٩٠ – ١٩١٨ الطبعة الأولى ١٩٧٤ مكتبة الانجلو – القاهرة.
- عــبد الحميــد الــبطريق (دكتور) التيارات السياسية المعاصرة ١٨١٥ – ١٩٦٠
- عــبد العزيز سليمان نوار: التاريخ المعاصر لأوربا منذ الحرب البروسية الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية دار الفكر العربي ١٩٨٢.

- فــوزى درويــش: الشــرق الأقصى ــ الصين واليابان ١٨٥٣-١٩٧٢م، مطبعة الغباشي طنطا ١٩٨٨.
- عبد الغفار حسين: مبدأ مونرو ومتغيرات السياسة الأمريكية جـ٢ ١٨٦٠ – ١٩٠٠، الطبعة الثالثة، ١٩٩٨م. (الثورة الاصلاحية فى اليابان)
- قهر الدين الأندونيسى: هذه اندونيسيا
- محمــد خميــس الزوكة: آسيا دراسة فى الجغرافيا الاقليمية، دار المعرفة الجامعية ــ الإسكندرية.
- محمــد محمود السروجى: سياسة الولايات المتحدة الخارجية منذ الاستقلال إلى منتصف القرن العشرين، الإسكندرية ١٩٥٦.
- محمــد نعمان جلال: الصراع بين اليابن والصين، مكتبة مدبولى، القاهرة ١٩٨٩.
- مالكولم سالمون: اضواء على الهند الصينية.
- ناجاى متشيو: ميجى إيشن، ترجمة عادل عوض سلسلة الألف كتاب الثانى رقم ١٠٨.
- وليم لانجر: موسوعة تاريخ العالم جــ٤.

ثانياً: المراجع الإفرنجية

- Inazo nitobe, Japan, London, 1931.
- Kennedy, J,M.A, Ahistory of Malaya, 1400-1954, London, 1962.
- Trukhanovsky V., British foreign policy dyring world war11, Moscow, 1970

المحتويات

مقدمة ٣

الفصل الأول: الصين ٥

الفصل الثانى: اليابان ٨٧

الفصل الثالث: اندونيسيا ١٩٩

الفصل الرابع: منطقة جنوب شرق آسيا ٢٥٥

المراجع ٣٠٥



رقم الايداع بدار الكتب والوثائق المصرية

٢٠٠٢/١٧٩٨٠

الناشر

بستان المعرفة

لطبع ونشر وتوزيع الكتب

كفر الدوار ـ الحدائق ☎: ٠٤٥/٢٢٢٤٢٢٨

الإسكندرية: ٠١٢٢٥٣٤٨١٤

